مقدمات

الإمام العلامة الداعية المفكر الإسلامي الكبير

الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

غاية في كلمة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

ISBN 9953-32-097-7

مؤسسة الرسالة

مؤسسة الرسالة ناشرون

منشورات
مروان رضوان دعبول

هاتف : ٥٤٦٧٢١ - ٥٤٦٧٢٠
فاكس : ٥٤٦٧٢٢ (٩٦١١)
ص.ب : ١١٧٤٦٠
بيروت - لبنان

Resalah Publishers

Tel: 546720 - 546721
Fax: (9611) 546722
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

Email:
resalah@resalah.com
Web site:
Http://www.resalah.com

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٤م. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

www.abulhasanalinadwi.org

مقدّمات

الإمام العلّامة الدّاعية المفكّر الإسلامي الكبير

الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

١٣٣٣ - ١٤٢٠هـ
١٩١٤ - ١٩٩٩م

جمعها ورتّبها

محمد منتظر عبد الحفيظ

مجاز في الدراسات الإسلامية واللغة العربية

تقديم

الشيخ محمد الرّابع الحسني النّدوي

مؤسسة الرسالة ناشرون

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

www.abulhasanalinadwi.org

تقديم الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد الرابع الحسني الندوي
ندوة العلماء - ص ب: ٩٣ - لكهنؤ (الهند)
هاتف: ٢٢٩١٧٤، ٣٢٣٨٦٤(٠٥٢٢) فاكس: ٧٨٧٣١٠، ٧٨٨٣٧٦

Mohammad Rabey Hasani Nadwi
P.O.Box No. 93 - LUCKNOW - 226007 (INDIA)
Phones: (0522) 323864, 229174 - Fax: 788376, 787310
E-Mail: nadwi@nadwi.net & Rabeynadwi@yahoo.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن العالم الإسلامي قد حظي في القرن الماضي بشخصيات علمية وقيادية متعددة كانت مجالات اختصاصاتها العلمية والعملية مختلفة فيما بينها، ومحددة في واحد أو اثنين منها بصورة عامة، أما شخصية العالم المفكر الداعية العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي فقد امتازت من بين هذه الشخصيات الجلية، وذلك بكون أعماله التي لها قيمة موضوعية في مجالات متعددة لا مجال واحد أو مجالين، وظهرت ميزة تنوع موضوعاته هذه في تأليفه ومحاضراته المطبوعة، أما التأليف فقد ظهرت له كتب ذات قيمة علمية في الفكر والأدب والتاريخ والتربية والدعوة، وهي تدل على الجوانب الفكرية والتوجيهية المتنوعة في موضوعات الاجتماع والدين والأدب، وكل هذه الموضوعات جاءت في كتب سماحته مرتبطة بما يهم الأمة الإسلامية، في تاريخ فكرها وحالتها الاجتماعية والخلقية وفي أسسها التعبدية ومقتضيات الدعوة والتربية لها مع بيان المثال الرائع والأسوة العالية من حياة رعيل الأمة الإسلامية الأول، فقد حمل هذا الرعيل الكريم الرسالة المقدسة التي اشتملت على الأمانة التي عرضها الله تعالى على مخلوقاته وحملها الإنسان وهي خلافة الله في هذه الأرض، فقد أدى الرعيل الأول لهذه الأمة هذه الرسالة، فبشر العالم وأنذره من عواقب الانحراف في الحياة في مختلف مجالاتها، وقام رجاله بالإصلاح والتربية الناجحة لمن اتصلوا بهم، ثم سارت على أثر هذا الرعيل الأول أجيال تالية من الأمة الإسلامية قوة وضعفاً في أداء المسؤولية، ولقد بنى سماحة العلامة أبي الحسن الندوي عمله التأليفي على موضوعات منبثقة من هذه النقطة في مجال الفكر والبحث فتطرق في موضوعات مختلفة، ولا شك أن ذلك كان يقتضي منه أن تكون مؤهلاته أيضاً متنوعة بخبراته العلمية والفكرية والأدبية وإن كان ذلك صعباً؛ لأنه يقتضي تنوعاً كذلك في موضوعات الدراسة، ومعرفة لمقتضيات الحياة الراهنة والحياة السابقة، ثم قدرة على إحسان الأداء والتوضيح.

www.abulhasanalinadwi.org

لقد بدأ الشيخ الجليل العمل التأليفي منذ أن كان شاباً وذلك في اللغة العربية بكتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» وجعل الكتاب مشتملاً على جوانب عديدة من الناحية العلمية، ففيه الجانب التاريخي، والجانب الديني، والجانب الفكري، كما تميز أسلوبه في هذه الجوانب بالخصائص الأدبية، إنه استعرض في تأليفه هذا أحوال العالم القديم من ناحية ظروف الحياة والاتجاهات الدينية في شعوبه، ثم تحدث عن ذلك التحول الكبير في منهج الحياة في المجالات الاجتماعية والدينية والخلقية الذي أحدثه الإسلام، ثم سار في بحثه مع موكب التاريخ الاجتماعي والفكري للعالم، وذكر ما بلغ إليه الغرب أخيراً من رقي علمي وحضاري مع انحطاط خلقي وروحي شديدين، وذكر مع ذلك تخلف الأمم الشرقية في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والفردية وفي الاهتمامات العلمية وفيها الأمة الإسلامية، وبذلك انتقلت قيادة العالم من الأيدي المسلمة إلى أيدي الأمم الغربية رغم تقصير هذه الأمم في التمسك بأسباب الفضيلة الإنسانية ومكارم الحياة، لقد قارن سماحته بين المدنيتين، مدنية التجرد عن الفضيلة الإنسانية ومكارم الحياة، ومدنية الحمل لرسالة الأمانة المقدسة خلافة الله في الأرض، وذكر أنه لابد لأي أمة من الأمم تتصدى للقيادة الإنسانية أن تجمع بين الجانبين، جانب التقدم العلمي والمادي مع الرشاد الفكري والصلاح الخلقي، ونصح الأمة الإسلامية باختيار السبل النافعة في هذا المجال لاستعادة القيادة التي كانت بأيديها في عهدها الأول.

كان هذا الكتاب للعلامة الشيخ الندوي بداية لعمله التأليفي في موضوعات عديدة، وقد نال قبولاً عظيماً على المستوى العالمي لاشتماله على فحص المرض ثم على وصف العلاج، وتقدم سماحة العلامة في تأليفه فقدم كتاباً آخر ووضعه مشتملاً على التاريخ المسلسل للفكر الإسلامي والإصلاح الخلقي والاجتماعي منذ بدء الإسلام إلى العصر الحديث باسم «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» وكان عملاً فكرياً وبحثاً تاريخياً مفصلاً.

واختار في تأليف له أخر موضوعاً دينياً بحتاً تحدث فيه عن أسرار السلوك الديني والتعبدي في الإسلام، وحصر البحث فيه في الأركان الأربعة في الإسلام، الصلاة والزكاة والصيام والحج، فظهر المؤلف في هذا الكتاب كباحث للتخصص في الموضوع الديني الخالص، ومع ذلك لم يتصف أسلوب كلامه مع علميته بالجفاف الفكري، بل جاء ممتزجاً بالفكر وجمال الأسلوب.

واختار في كتاب آخر الموضوع الحضاري والسياسي للشعوب العاملة اليوم، تحدث فيه عن سياسة هذه الشعوب الاستبدادية وتآمرها على الشعوب الضعيفة وتسخيرها لفكرها المادي، فكان متصفاً بدراسة فكرية وكان بحثاً علمياً.

www.abulhasanalinadwi.org

كما طرق سماحته الموضوع الأدبي الخالص أيضاً وظهرت له مؤلفات ومقالات عديدة اشتملت على مادة أدبية ونقدية.

كما ظهر سماحته في عدد من مؤلفاته ورسائله كرجل إرشاد وإصلاح خلقي واجتماعي، فصدرت له كتب ومجموعات محاضرات قيّمة في هذا الجانب وقد ظهر اختصاصه العلمي في موضوع التربية والتعليم، فقد بحث وألف في موضوع التربية والنظم التعليمية والمناهج الدراسية فظهر سماحته في كتاباته حول هذا الموضوع كمتخصص في التعليم، وكان سماحته قد شغل منصب مدرس لعلوم القرآن والآداب العربية، وشغل منصب رئيس للّجنة التعليمية العليا بندوة العلماء، فكان سماحته مع كل ما كتبه في موضوعات الفكر والأدب والتعليم والتاريخ والدين والإرشاد الاجتماعي قد مارسه عملياً في أوائل عهده العلمي العملي، فكانت كتابته في تلك الموضوعات عن بصيرة وتجربة عملية.

ويمكن للاطلاع السريع على خصائص عمله العلمي قراءة المقدمات التي تقدم بها في مؤلفاته المتنوعة المتعددة من ناحية الموضوع، وفي مؤلفات غيره من أصحاب العلم، ولقد أحسن **الأستاذ محمد منتظر وهو ممن درس في ندوة العلماء** بجمع مقدمات الكتب المختلفة بقلم سماحة الشيخ الندوي في مجموعة لها، وبذلك جعل الأمر ميسوراً لكل من يريد أن يطلع مبدئياً على فكر سماحة الشيخ الندوي واتجاهاته العلمية والأدبية فإنه لن يضطر اضطراراً إلى طلب الكتب المختلفة لسماحته وقراءتها قراءة مستفيضة إذا كان يريد اختصاراً في معرفة ما أراد سماحته وما استعرضه من أحوال وأفكار مختلفة لتاريخ الإسلام في تاريخ الأمة الإسلامية فكرياً ودينياً وما أحاط بها من ظروف السيادة والشرف، وظروف التخلف والضعف وما تفتقر إليه لترشيد حياتها والعودة إلى منصب القيادة.

شكر الله سعي الأخ محمد منتظر وأجزل الله له الأجر.

٦/ ٨/ ١٤٢٥هـ
٢٢/ ٩/ ٢٠٠٤م

محمد الرابع الحسني الندوي
ندوة العلماء لكناؤ

★ رئيس ندوة العلماء؛ ورئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند؛ وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة
ونائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية؛ ورئيس المجمع الإسلامي العلمي، ورئيس المجلس التعليمي الديني؛ وعضو مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية
Rector Nadwatul Ulama, President All India Muslim Personal law Board, Member World Muslim League Makkah, Vice President Universal League for Islamic Literature, President Academy of Islamic Research & Publication, President Deeni taleemi council, Member Oxford Center for Islamic Studies - Oxford (U. K.)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي المقدمات

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين الطيبين ، ومن تبعهم بإحسان و دعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

وبعد:

فقد أحببت أن أجمع مقدمات[١] الإمام الندوي رحمه الله تعالى، و التي قدم فيها لعدد من المؤلفات والمصنفات، و ذلك لما لها من أهمية بالغة وقيمة غالية، فهي تحتوي على فوائد كثيرة قلما نجدها في الكتب، لأنها نتائج التفكير الطويل و ثمرات التدبر العميق، كما أنها خلاصة ما وصل إليه من خلال أبحاثه و دراساته عبر عقود من الزمن .

هذا ولقد تفتقت هذه الفكرة في ذهني منذ قرأت كتاب ذكريات لرائد الأدب العربي و أعجوبته الفذة الشيخ علي الطنطاوي عليه الرحمة والرضوان حيث أعلن فيه سماحته عن رغبته الكبيرة في أن تجمع مقدماته التي كتبها وقدم بها لعدد من الكتب والمؤلفات في سفر واحد[٢]، على أني ما كنت أفكر بمثل ذلك قبل قراءتي لهذا الكتاب.

وما أظن نفسي مخطئاً فيما قد فعلت ، فعالم جليل كأبي الحسن الندوي يجدر بالخلف من بعده أن يعتني بكل كلمة قالها أو سطر سطّره من كتاب أو بحث أو تقديم ، ذلك أن الشيخ الندوي رجل بلغ من العلم مبلغاً عظيماً ، وكان على درجة رفيعة من حسن الارتباط بالله ، وصدق التوجه إليه ،فجاء علمه مشبعاً بأنوار معرفة الله ،وذاك هو العلم النافع .

ولئن كان ذلك كذلك فحري بنا ـ نحن أبناء الشيخ في العلم والطلب ـ أن نفي الشيخ حقه أو نحاول على الأقل وذلك من حيث الاعتناء بآثاره التي خلّفها للأمّة من بعده، وبما تركه للأجيال اللاحقة في رياض العلم والمعرفة. وما جمعي لمقدمات الشيخ ، واعتنائي بها لإخراجها في سفر يلملم تبعثرها ويوحد تفرقها إلا مشاركةً متواضعةً في

---

(١) وهي مقدماته التي كتبها باللغة العربية

(٢) جمعها فيما بعد الأستاذ مجد مكي في كتاب وقد طبع في دار المنارة

www.abulhasanalinadwi.org

حقل الخدمة للعلم وذويه ، متمثلةً في الوقوف مع علم من أبرز أعلام الأمّة و أعيانها ، ذلك هو الشيخ أبو الحسن الندوي، في زاوية من زوايا علومه ومعارفه ، حيث جمعت ما أسعفني به توفيق الله تعالى من مقدمات له ، قدّم فيها لكتب ومصنفات في فنون من العلم مختلفة ، وموضوعات متفرقة ،وأحسب أن تلك المقدمات من الأهمية والنفع بمكان،ولسوف تعرف هذا جليا لما تقف على منهجه في التقديم و نظرته إليه و أسلوبه فيه كما سيأتي .

منهج الشيخ في التقديم :

لم يكن الشيخ ينظر إلى التقديم على أنه لون من ألوان المجاملة أو الإطراء فضلا عن يأخذ شكل السمسرة أو التسويق بل إنه رحمه الله أقام التقديم على أسس و قواعد ووضع له أهدافا و مقاصد و اعتبره عملا علميا مستقلا قائما بذاته كأي عمل علمي و أدبي آخر من التأليف و التحقيق والشرح وما إلى ذلك ، فجاءت مقدماته مرتكزةً على أسس متينة من المعرفة والمنهج ، فهي كانت تضيف دائما إلى «الكتاب المقدم له» إما من حيث المعلومات التي قد فاتت المؤلف أو من حيث النتائج التي لم يصل إليها أو من حيث التساؤلات التي لم يستطع غيره أن يثيرها أو الاستنباطات الدقيقة التي وصل إليها خلال دراساته الطويلة أو الأفكار القيمة التي نور بها القارئ أو الفتوحات الربانية التي فتحها عليه الباري عز وجل

فالتقديم عنده لا يعني قصيدة مدح أو إطراء ولا يهدف إلى مجاملة أدبية اعتادها كثير من الكتاب والأدباء كما لا يشوبه أي من شوائب السمسرة التجارية .

يقول فضيلة الشيخ أبو عبد الله عبد الغني بن أحمد التميمي (من علماء مدينة الزرقاء ـ الأردن) في مجلة الصحوة الإسلامية[١] تحت عنوان:

(تقديمات الشيخ وتعليقاته) .

"أما تعليقات الشيخ و تقديماته لعديد من الكتب الحديثية فيصلح كل تقديم منها أن يكون وصفا مختصرا دقيقا للكتاب و إبرازاً لأهم مسائله ،ونكاته ، و فوائده على جانب ما يتمتع به الشيخ من تمكن من ناصية البيان ولطف العبارة و غوص على المعاني بحيث يعطي القارئ صورة شاملة وافية عن الكتاب الذي يقدم له .ويمهد لذلك بنبذةٍ تاريخية

(١) مجلة الصحوة الإسلامية ، عدد ممتاز ص ٨٥ .

www.abulhasanalinadwi.org

علمية يطوف خلالها بالقارئ عبر حقب التاريخ والأديان والحضارات المختلفة".

و لعل من الفائدة أن أسوق كلاما له بهذا الصدد يبين فيه نظرته إلى التقديم و منهجه فيه وإليك فيما يلي بيانه ، يقول رحمه الله :

«و كذلك تقديم كتاب لمؤلف معاصر أو عالم كبير أو صديق عزيز ليس عملا تقليديا يقوم به الكاتب مجاملة أو تحقيقا لرغبة المؤلف أو الناشر أو إرضائه إنه شهادة وتزكية و لهما أحكامهما و آدابهما و مسئوليتهما و قد يتحول من شهادة بالحق و تقويم للكتاب تقويماً علمياً و بيان مكانته فيما كتب و ألف في موضوعه و مدى مجهود المؤلف في إخراج هذا الكتاب و نجاحه في عمله التأليفي أو التحقيقي إلى سمسرة تجارية أو قصيدة مدح و إطراء من شاعر من شعراء المديح فيفقد قيمته العلمية و الأدبية و يتجرد من الحياة و الروح و لا بد في التقديم من زيادة معلومات و إلقاء أضواء على موضوع الكتاب و مقاصده و على حياة المؤلف و مكانته بين العلماء و المعاصرين في عصره ومصره و على تكوينه العقلي و نشوئه العلمي و الدوافع التي دفعته إلى التأليف في هذا الموضوع رغم وجود مكتبة واسعة في موضوعه أو مجموعة من الكتب التي وضعت في هذا الموضوع و لا يكون التقديم مجموع كلمات تقريظ و مدح يمكن أن يحلى بها جيد أي كتاب إذا غير اسمه و اسم مؤلفه.

و لابد من أن تكون بين المقدم للكتاب و بين موضوعه صلة علمية أو ذوقية أو دراسة وافية للموضوع و ما ألف فيه و ارتباط وثيق كذلك بينه و بين المؤلف يمكنه من الاطلاع على تركيبه العقلي و العلمي و العاطفي إذا كان الكتاب في موضوع علمي أو فكري أو أدبي أو دعوي وعلى مدى إخلاصه لموضوعه و اختصاصه و تفانيه فيه و رسوخه في العلم والدين و أخذهما من أصحاب الاختصاص فيه المعترف بفضلهم إذا كان الكتاب في موضوع ديني كالتفسير و الحديث و الفقه و ما إلى ذلك.

و يجب أن يكون هذا التقديم عن اندفاع و تجاوب وتحقيق لرغبة نشأت في نفس المقدم بعد قراءة هذا الكتاب تحثه على كتابة هذا التقديم و تحبب إليه المهمة و تيسرها له بحيث إذا امتنع عنها اعتبر نفسه مقصرا في أداء حق و إبداء مشاعر و انطباعات وأبدى حاجة في نفس يعقوب ما قضاها و ذلك هو التقديم الطبيعي المنصف الذي له أثره وفائدته»[١].

---

(١) شخصيات وكتب للشيخ الندوي ص ـ ٩ ـ ١٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

هذا ومع تكامل الفكرة في ذهني ،وتمام القناعة بهذا العمل فقد قمت بجمع ما استطعت جمعه من مقدمات الشيخ أبي الحسن رحمه الله فبلغ عدد المقدمات عندي أربعين مقدمةً، وأعتقد أن هناك مقدمات أخرى لم أهتد بعد إليها ؛لعدم توفر الفهرس الذي يجمعها باستثناء ما ذكره الشيخ في كتابه شخصيات وكتب.

أملي أن أستدرك ما فاتني منها في أيام قادمة والشكر لمن يرشدني للحصول عليها.

هذا وقد استحسنت أن أضيف إلى هذه المقدمات الأربعين بعض مقدمات الشيخ وهي خمس مقدمات لخمس كتب من تأليفه وتصنيفه ،ذكر أنها أحب كتبه إليه فصار عدد المقدمات بذلك خمساً وأربعين مقدمةً رتبتها بحسب الموضوعات مراعيا ضمن الموضوع الواحد الترتيب الزمني لكتابة المقدمة، الأقدم فالذي يليه ثم الذي يليه[١]، فجاءت مرتبة وفق التقسيم الآتي:

القسم الأول: في علوم القرآن والسنة.

القسم الثاني: في السيرة النبوية.

القسم الثالث: في التصوف والأخلاق.

القسم الرابع: في الأدب العربي.

القسم الخامس: في التاريخ وتراجم الرجال.

القسم السادس: في التربية الإسلامية.

القسم السابع: موضوعات من أبواب وعلوم متفرقة.

القسم الثامن: مقدمات الشيخ لأحب كتبه.

كما أعددت لمحة عن حياة الشيخ ووضعتها في أول الكتاب ووضعت ملحقا في مؤلفات سماحة الشيخ الندوي باللغة العربية في آخر هذا الكتاب.

وبعد:

فهذه درر ثمينة ولآلئ قيمة وأزهار طيبة كانت منثورة ومبعثرة ولم تكن سهلة المنال لقاصدها فجمعتها وجعلتها في عقد واحد و باقة واحدة حيث صارت سهلة المنال

(١) وما لم أعثر فيه على تاريخ الكتابة جعلته في ختام كل موضوع .

www.abulhasanalinadwi.org

ومتناول الأيدي و إمكانية الاستفادة منها بسهولة لمن يقصدها وليس شيئاً جديداً من عندي .وما مثلي إلا كمثل إنسان رأى جواهر ودرراً ثمينةً مبعثرةً هنا وهناك فجمعها ونظمها في عقد واحد أو كمثل شخص دخل حديقة غناء فيها من أحاسن الأثمار والورود والأزهار ما يدهش الأبصار فامتدت يده رفقا إليها فجعلها في باقة واحدة ووضعها في كأس فكانت بهجة للقلب ، وفتنة للعين .

وهكذا كان مثلي في هذا الكتاب حيث جمعت مقدمات الشيخ الندوي التي قدمها للمؤلفين و رتبتها حسب ترتيب الموضوعات والترتيب الزمني و هاأنا أقدمها للقارئ .

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب المسلين وأن يبقيه ذخرا لي ولشيخنا الجليل يوم الدين ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء ٨٨ ـ ٨٩]

في الختام أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أسدى إلي معروفا أثناء جمعي لهذه المقدمات سائلا المولى أن يجزيه عني خير الجزاء.

و الله أرجو أن يتقبل مني هذا الجهد اليسير و الحمد لله في البدء والختام و صلى الله على عبده المجتبى ونبيه المصطفى سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والطيبين وسلم تسليما كثيرا

كتبه

العبد الفقير إلى رحمة ربه

محمد منتظر عبد الحفيظ

دمشق في ٢/ ٢/ ٢٠٠٤

www.abulhasanalinadwi.org

لمحة عن حياة الشيخ

الأسرة الطيبة

اسمه و نسبه: علي أبو الحسن بن فخر الدين الحسني ينتهي نسبه إلى عبد الله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. في أوائل القرن السابع الهجري هاجر بعض أجداده و هو الأمير السيد قطب الدين محمداليماني (المتوفى عام ٦٧٧هـ) إلى الهند، و أقام مدة في دهلي عاصمة الهند ثم سافر إلى ولاية اترابراديش شمالي الهند، و استوطن في قصبة الولاية حينذاك (كرامانك بور)[١]

أبوه: علامة الهند و مؤرّخها السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني رحمه الله صاحب المصنفات المشهورة: "نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر في تراجم علماء الهند و أعيانها" طبع أخيرا باسم " الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" في ثمانية مجلدات، و "الهند في العهد الإسلامي" ، و الثقافة الإسلامية في الهند".

أمه ـ رحمها الله ـ كانت من السيدات الفاضلات ، المربيات النادرات المؤلفات المعدودات تحفظ القرآن و تكتب و تؤلف و تقول الشعر.

و لد سماحة الشيخ الندوي ـ رحمه الله ـ في قرية (تكية كلان) بمديرية (رائي بريلي) لولاية اترابرديش في السادس من محرم الحرام عام ١٣٣٣هـ الموافق عام ١٩١٤م، نشأ و ترعرع في كنف أبوين كريمين بما أضفى الله عليهما من نعم الوئام و الانسجام. بدأ دراسة القرآن الكريم في البيت ثم تعلم اللغتين الأردية و الفارسية.

توفي أبوه عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) و هو في السنة التاسعة و أشهر من عمره فتولى تربيته أمه الفاضلة و أخوه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني الذي كان في السنة الأخيرة من دراسته للطب بعد تخرجه في دارالعلوم ديوبند و في دارالعلوم ندوة العلماء.

بدأ دراسة اللغة العربية على الشيخ خليل بن محمد الأنصاري اليماني سنة ١٣٢٤هـ (١٩٢٤م) وأتم دراسته للغة العربية و بعض أمهات الكتب و المصادر العربية عند الشيخ اليماني رحمه الله ثم التحق بقسم اللغة العربية بجامعة لكهنو بإشارة منه ، و نال شهادة فاضل أدب بتفوق، و فاز بامتحان (فاضل حديث) في السنة الأخرى.

---

(١) انظر : أبو الحسن علي الحسني الندوي (الداعية الحكيم)، د. محمد إجتباء الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

و درس ما بين ١٩٢٧ ـ ١٩٣٠م اللغة الأردية و آدابها و اطلع على مصادرها ومدارسها فأتقنها و برع فيها.

و شرع يقرأ اللغة الإنكليزية في الفترة ما بين (١٩٢٨ ـ ١٩٣٠م) على الشيخ خليل الدين و كان متمكنا منها و من آدابها ثم ذهب إلى معلم اللغة الإنكليزية الكبير الأستاذ (محمد سميع الصديقي) ليتلقى دروسا في الأدب الإنكليزي و كان قد تعلم من هذه اللغة قدراً استفاد منه في الرجوع إلى المصادر الإنكليزية أثناء تأليف كتبه كما استفاد منها في رحلاته إلى إنكلترا و أمريكا و الدول الغربية الأخرى.

و قد تخصص في اللغة العربية و آدابها على أديب العربية الكبير و نابغتها الدكتور تقي الدين الهلالي حين مجيئه إلى ندوة العلماء ـ لكهنو.

الدراسة العليا المنتظمة:

و التحق الأستاذ الندوي طالباً منتظماً بدارالعلوم ندوة العلماء، و قرأ على محدّث العصر فضيلة الشيخ (حيدر حسن خان) الصحيحين : (البخاري و مسلم)، و سنن الترمذي و أبي داود، و شيئا من تفسير البيضاوي في التفسير و بعض سور القرآن الكريم، و أقام عنده عامين، أعطاه إجازة في الحديث النبوي بخط يده لصلته الوثيقة به وعنايته الزائدة بشأنه و ذلك سنة ١٩٢٩م.

و خلال إقامته في دارالعلوم ندوة العلماء، قرأ بعض أبواب الفقه على الشيخ شبلي الفقيه ثم ارتحل إلى دارالعلوم ديوبند ليتلقى دروس الحديث النبوي من شيخ الإسلام حسين أحمد المدني ـ الذي كان من كبار زعماء حركة الاستقلال في الهند، و كذلك تلقى بعض دروس الفقه على الشيخ الفاضل (إعزاز علي) و أخذ بعض الدروس من الشيخ عبد الحي الفاروقي في علوم القرآن و تفسير بعض السور.

و أخيراً تتلمذ على أكبر عالم في علوم القرآن و تفسيره ، و هو شيخ التفسير أحمد علي اللاهوري، و كانت له مقررات خاصة و دراسات عليا متخصصة للمتخرجين في المدارس و الجامعات الإسلامية في الهند و ذلك في عام ١٩٣٢م واستفاد منه في علوم القرآن و تفسيره كثيرا جداً[١] .

حياته العلمية و جهوده الدعوية (علمه و فضله):

بدأ التدريس من عام ١٩٣٤م، وعُيِّن مدرسا في دارالعلوم ندوة العلماء ، و درس

(١) انظر : أبو الحسن علي الحسني الندوي (الداعية الحكيم) د. محمد إجتباء الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

فيها التفسير و الحديث و الأدب العربي و تاريخه و المنطق، و في فترة التدريس في ندوة العلماء استفاد من الصحف و المجلات الصادرة في البلاد العربية مما عرّفه على البلاد العربية و أحوالها و علمائها و أدبائها و مفكريها عن كثب.

منذ عام ١٩٣٧م توسع الشيخ الندوي في مطالعته و دراسته خارجا عن نطاق التفسير و الحديث و الأدب و التاريخ و استفاد من كتب المعاصرين من الدعاة و المفكرين والفضلاء العرب و الزعماء السياسيين.(١)

وفي عام ١٩٣٩م قام برحلة استطلاعية إلى مدن البلاد و جوانبها أمكنة و مراكز ومؤسسات دعوية و دينية و علمية و شخصيات تأثر باثنتين منها خاصة، و أعجب بهما كثيراً، و قويت صلاته بهما، و استفاد منهما و تربى عليهما إلى أن وافاهما الأجل و هما الشيخان الجليلان الشيخ الرباني المربي عبد القادر الرائي بوري، والداعية المصلح المخلص الشيخ محمد إلياس كاندهلوي مؤسس جماعة الدعوة و التبليغ رحمهما الله تعالى. فتلقى من الأول التربية الروحية و من الثاني الدعوة و الإصلاح، و قضى زمنا طويلا في رحلات دعوية متتابعة.(٢)

أسس مركزا للتعليمات الإسلامية عام ١٩٤٣م و نظّم فيها حلقات درس القرآن الكريم و السنة النبوية. و أسس حركة " رسالة الإنسانية" عام ١٩٥١م و المجمع الإسلامي العلمي في لكهنو عام ١٩٥٩م.

اختير عضوا في المجلس الانتظامي لندوة العلماء عام ١٩٤٨م و عُيِّن نائب المعتمد (وكيل) ندوة العلماء للشئون التعليمية عام ١٩٥١م و اختير معتمداً بعد وفاة العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله عام ١٩٥٤م.

عُيِّن أمينا عاما لندوة العلماء عام ١٩٦١م و استمر في هذا المنصب حتى وفاته رحمه الله.

شارك في تأسيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (اترابراديش) عام ١٩٦٠م وفي تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند عام ١٩٦٤م و في تأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام ١٩٧٢م.(٣)

---

(١) انظر: سماحة الإمام الداعية أبي الحسن الندوي ، إعداد. طارق زبير الندوي.

(٢) انظر: المصدر السابق .

(٣) انظر: سماحة الإمام الداعية أبي الحسن الندوي طارق زبير الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

أهم مؤلفاته:

نشر له أول مقال بالعربية في مجلة "المنار" للسيد رشيد رضا المصري عام ١٩٣١م، حول شخصية الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد و حركته. وظهر له أول كتاب باللغة الأردية عام ١٩٣٨م بعنوان" سيرة سيد أحمد شهيد"، و نال قبولا عاما في الأوساط العلمية و الدينية في شبه القارة الهندية (الهند و باكستان و بنغلاديش حالياً).

ألف كتاب " مختارات من أدب العرب" عام ١٩٤٠م، و كذلك اشتغل في الفترة ما بين ١٩٤٢ ـ ١٩٤٤م بتأليف سلسلة الكتب المدرسية باللغة العربية، و كتب " قصص النبيين للأطفال" و سلسلة أخرى باسم " القراءة الراشدة".

فرغ من تأليف كتابه المشهور "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" عام ١٩٤٧م، وألف عام ١٩٤٧م رسالة بعنوان " إلى ممثلي البلاد الإسلامية" موجهة إلى المندوبين المسلمين و العرب المشاركين في المؤتمر الآسيوي المنعقد في دهلي.

دُعي أستاذا زائرا في جامعة دمشق عام ١٩٥٦م، و ألقى فيها محاضرات بعنوان "التجديد والمجددون في تاريخ الفكر الإسلامي" وكان عدد المحاضرات ثماني محاضرات، و آخرها كانت بعنوان" حجة الإسلام الإمام الغزالي مصلحاً اجتماعياً" و أضيفت إليها محاضرتان عند الطبع عن الشيخ عبد القادر الجيلاني، و مولانا جلال الدين الرومي رحمهما الله. و قد طبعت جامعة دمشق هذه المحاضرات بعنوان " رجال الفكر والدعوة في الإسلام"، و كذلك طبعتها دور النشر العربية عدة مرات في أربع أجزاء كبيرة.

ألقى محاضرات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٦٣م و قد طبعت هذه المحاضرات بعنوان" النبوة و الأنبياء في ضوء القرآن".

ألف كتابه حول القاديانية بعنوان " القادياني والقاديانية" عام ١٩٥٨م، و كتابه "الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية " عام ١٩٦٥م، وكتابه الأركان الأربعة عام ١٩٦٧م، والعقيدة و العبادة و السلوك عام ١٩٨٠م، و"صورتان متضادتان" عام ١٩٨٤م، و"المرتضى" في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عام ١٩٨٨م.[١]

شارك في تحرير مجلة "الضياء" العربية عام ١٩٣٢م، و مجلة "الندوة" الأردية عام ١٩٤٠م و أصدر مجلة " التعمير" الأردية عام ١٩٤٨م. وهذه المجلات كلها تصدر من

(١) انظر: طارق زبير الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

ندوة العلماء لكهنو الهند. و تولى كتابة افتتاحيات مجلة "المسلمون" الصادرة من دمشق في الفترة ما بين ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م، و ظهرت له مقالات في مجلة "الفتح" للأستاذ محب الدين الخطيب.

أشرف على إصدار جريدة "ندائي ملت" الأردية الصادرة عام ١٩٦٢م، و أشرف ـ أيضا ـ على مجلة " البعث الإسلامي " الشهرية العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٥م، وجريدة "الرائد" العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٩م، و مجلة "تعمير حياة" الأردية الصادرة منذ عام ١٩٦٣م أيضا.

رحلاته:

سافر إلى مدينة لاهور عام ١٩٢٩م، و كانت أول رحلة له إلى بلد بعيد.[١] حيث تعرّف على علمائها و أعيانها، و التقى بشاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال، و كان قد ترجم بعض قصائده.

سافر إلى الحج عام ١٩٤٧م، و كانت أول رحلة خارج الهند و أقام هناك ستة أشهر، وتعرّف فيها على كبار علماء الحجاز من أمثال عبد الرزاق حمزه إمام الحرم المكي و أطلع فضيلته على مسوّدة كتابه" ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" أيضا فأعجب به و شجع المؤلف على نشره.

و رحل للحج مرة أخرى عام ١٩٥١م وتعرف على أدباء الحجاز وكتابها ثم تكررت رحلاته إلى البلاد المقدسة.

زار مصر للمرة الأولى عام ١٩٥١م، و مكث في القاهرة ستة أشهر تقريباً، و كان كتابه " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" قد سبقه إلى الأوساط العلمية، فكان خير معرف لمؤلفه. و في الرحلة نفسها سافر إلى السودان و الشام و القدس و الأردن، والتقى بالسودان مع أعيانها و كبار رجالها.

أقام في الشام ٤٨ يوماً و زار مدن سوريا و التقى مع كبار علمائها و أدبائها، و في فلسطين زار بيت المقدس و تشرف بزيارة المسجد الأقصى و صلى العيد فيه.[٢]

و زار الشام للمرة الثانية زائراً في كلية الشريعة بجامعة دمشق عام ١٩٥٦م، وسافر

---

(١) لم تقسم الهند بعد إلى باكستان.

(٢) طبعت مذكراته لهذه الرحلة الطويلة بعنوان : مذكرات سائح في الشرق الأوسط.

www.abulhasanalinadwi.org

في هذه الرحلة ١٩٥٦م إلى لبنان أيضا، و التقى فيها مع الشخصيات الدينية و العلمية، وكذلك سافر في الرحلة نفسها إلى تركيا لأول مرة، و مكث فيها أسبوعين طبعت مذكراتها بعنوان "أسبوعان في تركيا الحبيبة".

سافر إلى الكويت عام ١٩٦٢م و إلى الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٧٤م و إلى قطر عام ١٩٩٠م و في عام ١٩٧٣م إلى أفغانستان و إيران و لبنان و العراق(١). سافر إلى الأردن عام ١٩٨٤م و ألقى محاضرات في جامعة اليرموك و كذلك زار اليمن و ألقى محاضرات في جامعة صنعاء في العام نفسه، و زار المغرب الأقصى عام ١٩٧٦م، وسافر إلى الجزائر عام ١٩٨٢م، ثم عام ١٩٨٦م، وسافر إلى بورما عام ١٩٦٠م، و إلى باكستان عام ١٩٦٤م ، ثم عام ١٩٧٨م، و سافر إلى بنغلاديش عام١٩٨٤م.

كانت رحلته الأولى إلى أوروبا عام ١٩٦٣ و الثانية ١٩٦٤م، و الثالثة عام ١٩٦٩، و الرابعة إلى لندن كانت عام ١٩٨٣م بمناسبة تأسيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، ثم تكررت رحلاته إلى إنكلترا. زار بلجيكا عام ١٩٨٥م و سافر إلى أمريكا وكندا عام ١٩٧٧م و زار أمريكا مرة أخرى عام١٩٩٣م. سافر إلى ماليزيا عام ١٩٨٧م وألقى محاضرات في عدة جامعات هناك، سافر إلى تاشقند و سمرقند و خرتنك وبخارى، عام١٩٩٣م لحضور مناسبة تأسيس مركز علمي تذكارا للإمام البخاري.(٢)

وفاته:

كان سماحة الشيخ الندوي رحمه الله أصيب بجلطة (الفالج) بالجانب الأيمن من جسده في اليوم السادس عشر من شهر آذار عام ١٩٩٩م، و لقد تحسنت صحته بعد علاج و عناية مشددة و بفضل دعوات المسلمين له و لكن أنهكه هذا المرض و اشتد الضعف.

و كان من عادة الشيخ أنه يقضي شهر رمضان في بيته في القرية ، و لكن الأطباء قد قرروا بأن سماحة الشيخ سيقضي شهر رمضان في لكهنو هذه السنة لتسهيلات طبية و لكنه استأذن الأطباء لقضاء العشر الأواخر من الشهر المبارك في قريته (تكيه كلان)، و سافر مع بعض أقربائه و عدد كبير من محبيه إلى القرية ٢٠ من رمضان و ٢٩ ديسمبر ١٩٩٩م و كان يرافقه معالجوه الأطباء و كان اليوم الثالث من قدومه يوم الجمعة وهو آخر يوم لسنة ١٩٩٩م و آخر يوم لحياة سماحة شيخنا المربي الجليل في هذه الدنيا فقد وافاه الأجل في

(١) اقرأ مذكراته لهذه الرحلة في كتابه: "من نهر الكابل إلى نهر اليرموك".
(٢) طارق زبير الندوي ص: ١٩ ـ ٢٠

www.abulhasanalinadwi.org

٢٢أو ٢٣ في البلاد العربية من رمضان المبارك و كان قد استعد لصلاة الجمعة و جلس يتلو سورة الكهف قبل الصلاة كعادته ، منذ الصغر و لكنه شرع يتلو سورة (يس) عوضا عن سورة الكهف، و قرأ عدة آيات ثم أصابته فجأة سكتة قلبية لقي على أثرها ربه عز وجل. فإنا لله و إنا إليه راجعون[١] .

توفي في أيام مباركة في العشر الأواخر من شهر رمضان وقد صلي عليه صلاة الغائب في عدد من الأقطار الإسلامية و العربية حيث صلي عليه في الحرمين الشريفين صلاة الغائب عقب صلاة العشاء في أفضل ليلة من ليالي العام ليلة سبع وعشرين الليلة المباركة التي يرجى فيها إجابة الدعاء و قد صلى عليه ما يقارب ثلاثة ملايين مصل[٢] كما صلى عليه سماحة الشيخ أحمد كفتارو مع حشد كبير من المسلمين صلاة الغائب عقب صلاة الجمعة في دمشق الفيحاء في مجمع أبي النور الإسلامي [٣] ووفاة الشيخ في هذه الأيام المباركة و انشغال المسلمين بالصلاة عليه والدعاء له في أكثر عواصم العالم الإسلامي كل هذا من بشائر الخير والرحمة له إن شاء الله تعالى.

نسأل الله العلي القدير أن يتغمد سماحة شيخنا الفاضل برحماته ، وأن يلقيه الزلف و الغفران و يرفع درجته في أعلى درجات المقربين عنده و أن يجعل الآخرة التي انتقل إليها خيراً له من الدنيا التي خرج منها و أن ينفعنا والمسلمين جميعاً به ظاهراً وباطناً. ويفيض علينا و على المسلمين أنوار بره و عرفانه.

استجب اللهم دعاءنا وحقق رجاءنا فإنك غاية السؤل ومنتهى الأمل[٤] .

آمين

والحمد لله رب العالمين

---

(١) وقد نعى إلي فضيلة الأستاذ الدكتور محسن عثماني الندوي نبأ وفاته و أنا في الحرم المكي فكانت كصاعقة نزلت من السماء اهتز لها كياني وارتعدت لها فرائصي و تزلزلت لها قوتي و طاقتي فبكته العيون و خشعت لفراقه القلوب لكن قضاء الله حل في عبد من عباده و لابد لنا من التسليم والرضا بقضاء الله وقدره و حسبنا الله و نعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(٢) من رسالة عزاء للعلامة عمر بن محمد السبيل إمام الحرم المكي الشريف (مجلة الصحوة الإسلامية ـ عدد ممتاز عن الشيخ الندوي)

(٣) و قد كنت واحدا ممن صلى عليه في الحرم المكي و كذلك في جامع أبي النور

(٤) للإطلاع على حياة سماحة الشيخ الندوي بالتفصيل أنظر كتاب "أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم " تأليف الدكتور محمد اجتباء الندوي و كذلك كتاب " مسيرة الحياة " للشيخ أبي الحسن الندوي نفسه وكلاهما مطبوع في دار القلم ـ دمشق ـ بيروت

www.abulhasanalinadwi.org

الإمام الندوي

١- أمين ندوة العلماء العام ورئيس دار العلوم التابعة لها

٢- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

٣- عضو المجلس الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة

٤- رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

٥- رئيس المجمع الإسلامي العلمي في لكناؤ

٦- رئيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية

٧- رئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند

٨- رئيس مجمع دار المصنفين بأعظم كره الهند

٩- رئيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية

١٠- عضو المجلس الاستشاري بدار العلوم ديوبند الهند

١١- عضو رابطة الجامعات الإسلامية بالرباط

١٢- عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد باكستان

١٣- عضو مجمع اللغة العربية في دمشق

١٤- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١٥- عضو مجمع اللغة العربية الأردني

١٦- عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل بيت بالأردن

وذلك عدا عضويته لكثير من الجامعات الإسلامية والمنظمات الدعوية ولجان التعليم والتربية

www.abulhasanalinadwi.org

تقدير وتكريم

١- اختير عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٦م

٢- إدارة الجلسة الأولى لتأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٩٦٢م نيابة عن رئيسها سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وقد حضر أولها جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود كما حضرها الملك إدريس السنوسي حاكم ليبيا وشخصيات أخرى ذات شأن وقدم فيها مقاله القيم بعنوان "الإسلام فوق القوميات والعصبيات"

٣- اختير عضوا في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢م ظل عضوا فيه إلى انحلال المجلس وانضمام الجامعة في سلك بقية الجامعات السعودية تابعة لوزارة التعليم العالي قبل أعوام

٤- اختير عضوا في رابطة الجامعات الإسلامية منذ تأسيسها

٥- اختير عضوا مؤازرا في مجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٨٠م

٦- تمَّ اختياره لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٠م

٧- دعا إلى أول ندوة عالمية عن الأدب الإسلامي في رحاب دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٨١م

٨- منح شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كشمير عام ١٩٨١م

٩- اختير رئيسا لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٨٣م

١٠- اختير عضوا في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل بيت عام ١٩٨٣م

١١- تأسست رابطة الأدب الإسلامي العالمية عام ١٩٨٤م فاختير رئيسا عاما لها

١٢- أقام عبد المقصود خوجة من أعيان جدة حفلا لتكريم سماحته بجدة عام ١٩٨٥م

١٣- أقيمت ندوة أدبية حول حياته وجهوده الدعوية والأدبية عام ١٩٩٦م في تركيا على هامش المؤتمر الرابع للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

www.abulhasanalinadwi.org

أهم الجوائز والشهادات التي منحت لسماحة الشيخ الندوي اعترافا بخدماته العلمية والدينية[١]

١- جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ١٩٨٠م

٢- شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كشمير ١٩٨١م

٣- جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩هـ التي منحت لسماحته من حكومة دبي

٤- جائزة سلطان بروناي للخدمة الإسلامية عام ١٤٢٠هـ

(١) أنظر: سماحة الإمام الداعية أبي الحسن الندوي إعداد: طارق زبير الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الأول

في

علوم القرآن والسنة

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

كتاب التبصرة في القراءات السبع

للإمام المقرئ أبي محمد مكي بن أبي طالب

حموش ابن محمد بن مختار القيسي القيرواني القرطبي

المتوفى سنة ٤٣٧ هـ ـ ١٠٤٥ م

تحقيق الدكتور المقرئ محمد غوث الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد :

فإن الدين الذي يقوم على الوحي ،وإن الوحي الذي يقوم على " القراءة " ويتصل ما انقطع منه ـ مدة خمسة قرون على الأقل ـ بالأمر بالقراءة ، فينزل أول وحي في غار حراء على خاتم الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي صلى الله عليه وآله وسلم ، مفتتحا بقوله تعالى : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق : ١ـ ٤] .

إن هذا الدين خليق بأن تكون عنايته وعناية حامليه مركزة على قراءة الصحيفة التي نزلت من السماء ، فكانت خاتمة الصحف ، وعلى حفظها وقراءتها ، وعلى إتقان هذه القراءة وتصحيحها ،وضبطها وتحقيقها ، والبحث عن الأحرف التى نزلت بها ، وتدوين العلوم التي تنبثق عن هذا العلم ، وتحري الصحة والدقة والأمانة في نقلها من جيل إلى جيل ، ومن عصر إلى عصر ،ومن رجال إلى رجال ، ومن طبقة إلى طبقة ،ومن كتاب

www.abulhasanalinadwi.org

إلى كتاب ،ومن صدر إلى صدر ، ومن فم إلى فم ، ومن لسان إلى لسان ، وأن يرافق تاريخ هذه الأمة تاريخ هذا العلم ، فلا يفترقان ، ولا تحول بينهما غفلة أو نسيان ، أو فتنة أو حدثان ، أو إنسان و شيطان ، بل يتداخل بعضها في بعض ، حتى يصلا إلى هذا العصر محفوظين صحيحين ، نقيين صافيين ، فيقرأ القرآن في هذا العصر كما قرىء في عصر نزوله ، ويحفظ تاريخ هذه القراءة وتفاصيلها من همزات ولينات ، وتفخيمات وترقيقات ، وتغليظات وإمالات ، و وصل و وقف ، كأنه شريط مسجل ، وذلك لم يسمع عن أي صحيفة سماوية ، أو كتاب إنساني ، أو أي دين وملة ، وذلك كله تفسير لقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] وقوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٧] ولذلك تكونت مكتبة من أوسع المكتبات في علم القراءات السبع لا يوجدلهانظيرفي تاريخ أي أمة .

ولما كان " كتاب التبصرة في القراءات السبع " للشيخ العلامة المقرئ الإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني القرطبي ، المتوفى ٤٣٧ هـ ، من أقدم الكتب ومن أهمها في هذا الموضوع ، ويمتاز بمزايا فنية كثيرة ، منها السهولة و وضوح المحجة ، ويعتبر من مراجع هذا الفن الأصيلة الأولى ، والإمام الداني صاحب كتاب " التيسير " الذي كان الاعتماد عليه في هذا الفن طيلة قرون ، من تلاميذ صاحب كتاب التبصرة ، وجب الاعتناء به ، ونشره ، وجعله بمتناول أيدي الطالبين ، وحلقات الدارسين ، ولكن مما جعل هذه المهمة عسيرة معقدة، هي ندورة هذا الكتاب وتواريه عن أنظار الباحثين ، فقد كانت له مخطوطتان لا ثالثة لهما ، إحداهما في مكتبة نور عثمانية باستنبول (تركيا) والأخرى في مكتبة الجامعة النظامية بحيدرآباد ، وكانت المخطوطتان في حاجة إلى تحقيق وتنقيح ، وضبط وتصحيح ، ومراجعة ومقارنة .

هنالك قيض الله أخانا الأستاذ محمد غوث الندوي ، وله باع طويل في حفظ القرآن وتجويده ، وقد نال جائزة التفوق في المباراة العالمية لتلاوة القرآن الكريم في كوالالمبور (ماليزيا) ، وقد اختبر من الحكام في مباريات القراءات في عاصمة الهند مرارا ، شهد له أهل هذا الفن بالبراعة والتفوق ، وله صبر طويل على قراءة المخطوطات ومراجعتها مع الأصول، أعانه على ذلك اشتغاله في دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد ، التي هي كبرى المؤسسات العلمية في تحقيق المخطوطات ونشر الكتب النادرة الخطية للمؤلفين القدامى .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد وضع مقدمة إضافية بحث فيها عن فن القراءات السبع ، جمع فيها معلومات قيمة ، ومواد دسمة في الموضوع ، وقد زار في سبيل إكمال مهمته المكتبات العلمية الرئيسية في الهند واستفاد من المكتبات الأجنبية أيضا ، فجاء هذا الكتاب بعد هذه المقدمة العلمية وما ناله من تصحيح وتنقيح ومراجعة ، تحفة في هذا الفن ، وعمدة في هذا الموضوع ، وجاء كاسمه " كتاب التبصرة في القراءات السبع " وللمؤلف دعوات الحفاظ والقراء ، والمؤلفين والعلماء ، وللمصحح والمعلق إعجاب المعنيين بهذا الفن وتقديرهم ، والحمد لله أولا وآخرا

غرة رمضان المبارك سنة ١٣٩٩ هـ

أبو الحسن علي الحسني الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

أوجز المسالك إلى موطأ مالك

تاليف

العلامة شيخ الحديث

مولانا محمد زكريا الكاندهلوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمد، قائد الغر المحجلين، وعلى أصحابه حفظة الكتاب والسنة، وحملة لواء الدين، ومن تبعهم بإحسان من العلماء الراسخين، الذين ينفون عن الإسلام تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

أما بعد، فإن علم الحديث من العلوم التي ألهم الله هذه الأمة ـ في أول عهدها وعلى اثر وفاة نبيها ـ العناية به، والجهاد في سبيل حفظه وتدوينه ونقله ونشره، والتهالك على تلقيه وجمعه، والتنافس في ضبطه وإتقانه، والاهتمام بكل ما يتصل به من علوم وفنون، إلهاماً قوياً واضحاً، تجلت فيه حكمة الله وعنايته بصيانة هذا الدين وإكماله، حتى كان ذلك دافعاً نفسياً لا تعرف الأمة مصدره، ولا تستطيع له قهراً ولا دفعاً؛ وكأن سائقاً يسوقها نحو هذه الغاية سوقاً قوياً عنيفاً في الظاهر، فلا تستطيع مقاومته، رفيقاً لطيفاً في الباطن، فلا تشعر بثقله ووطأته، وتجد في الانسياق إليه والاستجابة له، لذة لا تعدلها لذة، وراحة لا تعدلها راحة، فتهون لأجل ذلك عليها المتاعب والمشقات،

www.abulhasanalinadwi.org

وتقصر في سبيلها الأبعاد والمسافات، وتتدفق على طلبه من مظانه، وحفظه وروايته من أهله ونقله من مكان إلى مكان، سيول وجيوش، من أذكياء الأمم والشعوب.

ومن نوابغ البلاد والعباد، لا يعرف نظيرهم في تاريخ أمة وحضارة، ولا في تاريخ علم وثقافة.

وكان كل ذلك سراً من الأسرار الإلهية، وبرهاناً ساطعاً على مدى عناية الله تعالى بهذه الرسالة التي ختم الله بها الرسالات، وبهذه الشريعة التي قضى الله ببقائها وخلودها، وانتشارها وعمومها لجميع العصور والأجيال، ولهذا الإلهام الذي كان سبباً لاندفاع الأمة إلى حفظ الحديث النبوي مرة، وإلى استنباط الأحكام وتفريع الفروع مرة أخرى، وإلى تدوين العلوم المنبثقة من القرآن من صرف ونحو وبلاغة مرة ثالثة؛ وإلى تأليف الكتب ووضع المعاجم وتأسيس المدارس مرة رابعة، وإلى العناية بتزكية النفوس؛ وتهذيب الأخلاق وتحصيل حقيقة الإيمان، والوصول إلى درجة الإحسان، وتجديد الطب النبوي، في معالجة القلوب والنفوس، ووضع أسس هذا العلم وإرساء قواعده، إلى غير ذلك مما ألهمه أزكى نفوس هذه الأمة، وأعظمها رسوخاً في العلم والدين، وأكثرها حظاً في الإيمان واليقين، من أجلى دلائل ختم النبوة وإكمال هذا الدين، وأن عناية الله لا تفارقه لحظة واحدة، وأن مدده لا يتخلف عنه في حين من الأحيان.

وكان لكل بلد من بلاد الإسلام نصيب غير منقوص من هذا الإرث النبوي يدخل مع الغزاة والفاتحين، والدعاة والمبلغين، والأساتذة والمدرسين، والفقهاء والمحدثين، فدخل علم الحديث في أوائل الفتح الإسلامي في بلاد الهند، وكان من جملة من وفد إليها من المجاهدين في سبيل الله الربيع بن الصبيح السعدي، الذي قال عنه الجلبي في كشف الظنون: «هو أول من صنف في الإسلام» ولا شك أنه من أول المؤلفين في علم الحديث إذا لم يكن أولهم بالإطلاق، وقد مات ودفن في الهند سنة ١٦٠هـ.

وقد رافق علم الحديث العرب الذين غزوا هذه البلاد، فقد امتزج بلحمهم ودمهم، فحملوا معهم هذا العلم الشريف، وكان يرافقهم في كل غزوة علماء محدثون، وكان فيهم من سكن الهند ومات فيها، وانتشر علم الحديث[١] في دولة العرب وحكمهم، «فلما انقرضت دولة العرب من بلاد السند وتغلبت عليها الملوك الغزنوية والغورية، وتتابع الناس من خراسان وما وراء النهر صار الحديث فيها غريباً كالكبريت الأحمر،

(١) راجع لمعرفة أسماء من قصد الهند من المحدثين وأتباع التابعين كتاب «الثقافة الإسلامية في الهند» للعلامة السيد عبد الحي الحسني، فصل الحديث في بلاد الهند ص١٣٥.

www.abulhasanalinadwi.org

وعديماً كعنقاء المغرب، وغلب على الناس الشعر والنجوم والفنون الرياضية، وفي العلوم الدينية الفقه والأصول، ومضت على ذلك قرون متطاولة، حتى صارت صناعة أهل الهند حكمة اليونان، والإضراب عن علوم السنة والقرآن إلا ما يذكر من الفقه على القلة، وكان قصارى نظرهم في الحديث في مشارق الأنوار للصغاني، فإن ترفع أحد إلى مصابيح السنة للبغوي، أو إلى مشكاة المصابيح ظن أنه وصل إلى درجة المحدثين، وما ذلك إلا لجهلهم بالحديث»[١].

واستمر الحال على ذلك وتفاقم الخطب، حتى كادت صلة المسلمين في الهند تنقطع عن هذا المعين الصافي والمصدر الأصيل للدين، وأصبحت الهند تعيش في عزلة عن حركة التأليف والتعليم في البلاد العربية ، وتخلفت عن ركب العلوم الإسلامية، وأصبحت علماً مستقلاً منفصلاً؛ ولما زار الشيخ شمس الدين المصري هذه البلاد في عهد علاء الدين الخلجي في القرن الثامن الهجري آلمه ذلك وأفزعه، فكتب رسالة إلى السلطان يؤاخذ فيها الفقهاء في هذه البلاد على قلة الاعتناء بالحديث ولكن علماء البلاد احتالوا في منع هذه الرسالة عن الوصول إلى السلطان[٢].

وأدركت الهند العناية الإلهية، فأتحف الله هذه البلاد بالوافدين الكرام من المحدثين، من الحجاز، وحضرموت، ومصر، والعراق، وإيران[٣] وذلك في القرن العاشر الهجري، ولكن أكثرهم آثروا الإقامة في «كجرات» لوجود دولة إسلامية تحمي العلوم وتحتضن العلماء، وامتاز ملوكها بتحصيل علم الحديث. والشغف به، وأكثر هؤلاء الوافدين مات ودفن في أحمد آباد[٤] عاصمة حكومة كجرات.

ثم ساق بعض علماء الهند سائق التوفيق إلى الحرمين الشريفين مصدر هذا العلم ومعقله، يطول ذكر أسماءهم، أشهرهم الشيخ حسام الدين علي المتقي صاحب كنز العمال المتوفى سنة ٩٧٥هـ وتلميذه الشيخ محمد بن طاهر الفتني صاحب مجمع البحار المتوفى سنة ٩٨٦هـ[٥]، فخدما علم الحديث خدمة باهرة، وألفا مؤلفات عظيمة، حتى

---

(١) العبارة بلفظها منقولة عن كتاب «الثقافة الإسلامية في الهند» للعلامة السيد عبد الحي الحسني طبع دمشق ص١٣٥.

(٢) راجع تاريخ فيرز شاهي للقاضي ضياء الدين البرني.

(٣) اقرأ أسماءهم في كتاب «الثقافة» ص١٣٦.

(٤) وهي المدينة التي وقعت فيها في سبتمبر ١٩٦٩م المجزرة التي ذهبت ضحيتها آلاف من المسلمين.

(٥) اقرأ تراجمهما وتراجم معاصريهما من المحدثين في الجزء الرابع من نزهة الخواطر للعلامة السيد عبد الحي المذكور.

www.abulhasanalinadwi.org

جاء دور الشيخ العلامة عبد الحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي، المتوفى سنة ١٠٥٢هـ فأخذ علم الحديث من علماء الحجاز ونقله إلى الهند واتخذ دار الملك «دهلي» مركزاً له، وشمر عن ساق الجد والاجتهاد في نشر علم الحديث وخدمته تعليماً وتدريساً وشرحاً وتعليقاً، فأقبل العلماء على علم الحديث، وانتشرت الصحاح وتداولتها الأيدي ونفقت سوق هذا العلم بعد كسادها، لقلة البضاعة وزهد العلماء فيه، وخلفه ولده وأولاد أولاده، ودرسوا وألفوا، ونهض علماء كبار في كل طرف من أطراف الهند. ونبغ فيهم رجال يعترف بفضلهم وحذقهم للصناعة(١).

ثم جاء دور شيخ الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المعروف بولي الله المتوفى سنة ١١٧٦هـ فرحل إلى الحجاز، وأخذ الحديث عن الشيخ أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني وعاد وقصر همته على نشر الحديث، فقامت دولة الحديث في الهند، وهبت ريحه تجري رخاءً من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، وتهافت على طلبه رواد علم الحديث من أقصى الهند إلى أقصاها، وأصبح علم الحديث شرطاً للكمال، وشعاراً لأهل الصلاح والعقيدة الصحيحة، حتى أصبح العالم لا يعتبر عالماً حتى يبرز فيه، وتقرر تدريس الصحاح الستة في كل حلقة تدريس، وانتشر تلاميذه وتلاميذ تلاميذهم في طول الهند وعرضها، كشجرة «طوبى» التي يوجد فرعها في كل مكان، ولا يعرف أصلها ومركزها، فما من سند ولا درس ولا تأليف ولا حركة إصلاح وتجديد إلا وينتهي نسبه العلمي إلى هذه الدوحة المباركة، وفروعها السامقة، وقد صدق من قال:

من زار بابك لم تبرح جوارحه ... تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة ... والقلب عن جابر والسمع عن حسن(٢)

وخلف الشيخ ولي الله ابنه النجيب وتلميذه الرشيد الشيخ عبد العزيز بن ولي الله المتوفى سنة ١٢٣٩هـ، وقد بارك الله في تدريسه، وتخرج عليه علماء أعلام، ومحدثون عظام، أشهرهم وأعظمهم توفيقاً في نشر الحديث وتربية الأساتذة والمدرسين، سبطه الشيخ محمد إسحاق بن محمد أفضل العمري المتوفى سنة ١٢٦٢هـ، فقد انتهت إليه

---

(١) اقرأ أسماء النابهين منهم والمبرزين في كتاب «الثقافة الإسلامية» فصل علم الحديث في الهند.

(٢) قرة، وصلة، وجابر، وحسن، الكلمات التي جاءت في هذين البيتين كلها أسماء رواة الحديث الكبار، وقد ورد في تهذيب التهذيب ستة رجال اسم كل واحد منهم «قرة» مثل قرة بن إياس، وقرة بن حبيب، وقرة بن خالد وغيرهم، والمراد بصلة، هو صلة بن زفر العباسي، وجابر هو جابر بن عبد الله الصحابي المشهور و«حسن» هو الحسن بن يسار البصري الإمام المشهور.

www.abulhasanalinadwi.org

رئاسة الحديث في العصر الأخير، وأصبح المرجع والمآب في التدريس والتخريج، وشدت إليه الرحال من أقاصي البلاد، وكتب الله له من التوفيق والقبول ما لم يكتبه لأحد من معاصريه في الهند، وفي أكثر الأمصار الإسلامية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنه تبتدئ وعليه تلتقي جميع المدارس الفكرية[١] في فهم الحديث وشرحه وتأويله، وهي على اختلاف مشاربها وتباين مذاهبها ترد نسبها العلمي وينتهي بسندها في الحديث إليه، فهو مسند الهند وواسطة العقد، ومنتهى أهل الرواية في العصر الأخير.

ومن أنجب تلاميذه وأشهرهم الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد[٢] المجددي الدهلوي المتوفى سنة ١٢٩٦هـ المهاجر إلى المدينة المنورة، فقد انتفع بدروسه في الهند وفي الحرمين الشريفين خلق كثير، وتخرج على يده عدد من المخلصين والعلماء الربانيين، الذين وقفوا حياتهم على تدريس الحديث الشريف ونشره وخدمته.

وبفضل هؤلاء المخلصين الذين وهبوا حياتهم لنشر الحديث وتدريسه، والتأليف في فنونه وفروعه، أصبحت الهند مركزاً لهذا العلم ومنتجعاً لرواد هذا الفن، بعد ما عاشت قروناً متطفلة على مائدة البلاد العربية، تقتبس منها هذا العلم بعد فترة، وتشعل مصباحها بعد ما ينفد زيته من مصباح من مصابيح هذا العلم في بلاد العرب، وأُشرقت الهند بنور هذا العلم وانتشرت المصابيح في جميع نواحيها كالكواكب الدرية، وقامت في وقت واحد في مدن كثيرة في هذه البلاد وبعض قراها حلقات مختصة لتدريس علم الحديث، يشد العلماء المتخرجون في العلوم الأخرى إليها الرحال، فيعكفون على طلب الحديث النبوي عكوفاً كاملاً، سنة أو أكثر منها، وينقطعون إليه انقطاعاً كلياً، لا يشوبهم غرض، ولا يزاحمه علم، ولا يتوزع همهم، ولا يتشوش خاطرهم، يقتصرون في أكثر الأحيان على شيخ واحد، وعلى علم واحد، وعلى غرض واحد، حتى يخرجوا من هذه الحلقات أساتذة معلمين؛ ومربين مرشدين، فيلتف حولهم التلاميذ النجباء، والمتخرجون في المدارس، شأنهم مع أساتذتهم وشيوخهم، ويتصل الأمر وينتقل النور وتتسع الدائرة إلى ما يشاء الله.

---

(١) كمدرسة المحدث الشهير الشيخ نذير حسين الدهلوي وتلاميذه، وكمدرسة الشيخ عبد الرحمن الباني بتي، والشيخ عالم علي السكينوي، والشيخ أحمد علي السهارنبوري، والشيخ عبد الغني المجددي.

(٢) اقرأ لمعرفة أخباره وأخبار شيوخه «اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني» للشيخ محسن بن يحيى الترهتي، ومقدمة أوجز المسالك.

www.abulhasanalinadwi.org

وكانت هذه الحلقات التي تنبع من فرد، وتدور حوله، قائمة في أكثر المدن الرئيسية والقرى الشهيرة كدلهي، ولكناؤ، وسهارنفور، وباني بت[١]، وديوبند، ومراد آباد، وبهوبال، ومن القرى كنكوه، وكنج مراد آباد[٢] وغيرها.

وكانت كنكوه مركزاً للعلامة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي المتوفى سنة ١٣٢٣هـ تلميذ الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد المجددي، وقد جمع بين التربية والإرشاد والتدريس والإفتاء، وكان يدرس في علوم متنوعة، ثم انقطع إلى تدريس الحديث الشريف واقتصر عليه دون سائر العلوم، وقصده الطلبة والعلماء من الآفاق، وكانوا يمكثون عنده سنة يقرءون عليه الصحاح الستة، وينتفعون بصحبته وتربيته، ويتخذونه قدوة في الأخلاق والعادات، والأعمال والعبادات، واتباع السنة والنفور عن البدع ومحدثات الأمور، ويتذوقون علم الحديث ممارسة ومدارسة، ويتضلعون بحبه، ويعزمون على خدمته ونشره، وإيثاره على جميع العلوم والأشغال، لما رأوا من شيخهم التفاني في الاشتغال به، وأنه قد خالط لحمه ودمه، وظهر في حياته وحركاته وسكناته، وقد ذكره صاحب «الثقافة الإسلامية في الهند» فقال: «أخذ عن الشيخ عبد الغني المذكور، ودرس ثلاثين سنة. وكان تدريسه للأمهات الست في سنة كاملة على وجه التدبر والإتقان، والضبط والتحقيق، لا يعادله في ذلك أحد من معاصريه»[٣].

وكان من أنجب تلاميذه وأوفاهم لعلومه وتراثه العلمي، وعلى نشره أحرصهم وإفاضته الشيخ محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي المتوفى ١٣٣٤هـ، وكانت له ملكة علمية راسخة، يتوقد ذكاء وفطنة، وكان شيخه عظيم الحب كثير الإيثار له، قد اتخذه بطانة لنفسه، وراوية علمه، وكاتب رسائله، فقيد دروس الشيخ، ودون أماليه، ونقحها وحررها، فجمع ما سمع منه في درس سنن الترمذي في مجموع سماه «الكوكب الدري»[٤] وجمع ما سمعه في درس الجامع الصحيح للبخاري في كتاب آخر[٥]، فحفظ بذلك قسطاً كبيراً من علمه وتحقيقاته، وجعلها كلمة باقية في عقبه.

---

(١) كان يدرس فيها الشيخ عبد الرحمن الباني بتي المتوفى ١٣١٤هـ من كبار تلاميذ الشيخ محمد إسحاق.

(٢) كان يدرس الحديث الشريف فيها العارف الكبير الشيخ الجليل مولانا فضل الرحمن الكنج مراد آبادي المتوفى ١٣١٣هـ تلميذ الشيخ محمد إسحاق، وله إجازة عن الشيخ عبد العزيز بن ولي الله.

(٣) الثقافة ص١٤١.

(٤) طبع الكتاب في أربعة أجزاء.

(٥) سمى هذا الكتاب من بعد بلامع الدراري وتم في عشرة أجزاء.

www.abulhasanalinadwi.org

وصاحب مقدمة «أوجز المسالك إلى شرح موطأ الإمام مالك» هو ابن الشيخ محمد يحيى البار الذي أراد الله أن يكمل ما بدأه أبوه، وأن ينشر ما دونه من أمالي شيخه وعلومه، وأن يزيدها تنقيحاً وتهذيباً، ويضيف إليها الشيء الكثير من تحقيقاته وحصيلة دراسته ومطالعاته، ونتيجة فكره وتأملاته، وأن يكون ركناً من أركان علم الحديث في هذه البلاد وفي هذا العصر الأخير، يعيد إليه زهرته ونضارته، ويجدد ذكرى مآثر السلف في الانقطاع للعلم والتبتل له، وعلو الهمة، وشدة المجاهدة، وقوة النفس، والانصراف إلى معالي الأمور، والزهد في سفسافها ومحقراتها، والاستهانة بزخارف الحياة والاستغراق في المطالعة والتأليف والتعليم والتدريس، والانصراف عما لا يعنيه إلى ما ينفعه وينفع الناس، وفي سعة الأخلاق، وسماحة النفس، ورحابة الصدر، والاحتمال للأضداد والأشتات من الأعمال والأشغال، والمشارب والأذواق، والأفراد والجماعات، ما لا يوفق له ولا يقدر عليه إلا الأفراد القلائل في فترات طويلة من أهل النفوس الزكية، والقوة القدسية، والهمة القعساء العلية.

ولد في بيت عريق في العلم والدين امتاز رجاله وأسلافه بعلو الهمة، وشدة المجاهدة، والتمسك بالدين والصلابة فيه، والحرص على حفظ القرآن وقراءته وطلب العلوم الدينية، أشهرهم في الأولين الشيخ العلامة المفتي إلهى بخش الكاندهلوي (١١٦٢هـ ـ ١٢٤٥هـ) تلميذ الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي، وخليفة المجاهد الشهير السيد أحمد الشهيد البريلوي، وأشهرهم في الآخرين الداعي إلى الله المشهور في الآفاق عمه الشيخ محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي صاحب دعوة «التبليغ» المشهورة (م ١٣٦٣)، ودرس وجاهد في سبيل الله غير واحد من أفراد هذه الأسرة، وجده الشيخ محمد إسماعيل (م ١٣١٥هـ) من الذين اتفقت الألسنة على إخلاصه وصلاحه وزهده.

ولد لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان في كاندهلة من أعمال مظفر نكر، سنة ١٣١٥هـ ورضع بلبان العلم والدين، ونشأ في تصون تام، وتربية دقيقة حكيمة، ونقل إلى كنكوه، وهو قريب العهد بالفطام، فدب ودرج بين الصالحين والعلماء الراسخين، وأدرك الشيخ الكبير العلامة رشيد أحمد الكنكوهي، وسعد بحنانه وعطفه الأبوي، لما بينه وبين والده من اختصاص، وعقل أول ما عقل أيامه وشفقته، وقد بلغ الثامنة من عمره حين انتقل الشيخ إلى رحمة الله تعالى، وبقي في كنكوه إلى أن بلغ الثانية عشرة من عمره، فنشأ في بيئة من أفضل البيئات في ذلك الزمان، وأكثرها محافظة على الآداب

www.abulhasanalinadwi.org

والسنن، وأبعدها عن الفساد الذي بدأ ينتشر في البلاد، ووالده يعتني بتربيته أشد الاعتناء، ويحاسبه على النقير والقطمير، ويأخذه بعلو الهمة في كل شيء، والإقبال على العلم وصحبة الصالحين إقبالاً كلياً، والابتعاد عن الاختلاط بالناس، وكان والده أشد اعتناءاً بالتربية منه بالتعليم، فقرأ مبادئ اللغة الأردية والفارسية على عمه الشيخ محمد إلياس، وحفظ القرآن.

ثم انتقل مع والده سنة ١٣٢٨هـ إلى سهارنفور المركز العلمي الكبير، وأقبل على العلم إقبالاً بالقلب والقالب، واشتغل به بهمة عالية، وقلب متفرغ، وبدأ درس الحديث على والده وقد تهيأ تهيؤاً كبيراً، ودعا في آخر الدرس دعاءً طويلاً، ومن ذلك اليوم أصبح الحديث أكبر همه وغاية رغبته، وشعاراً يعرف به، وغلب على اسمه فاشتهر في آخر الأمر بشيخ الحديث، وقرأ الصحاح على والده ـ غير سنن ابن ماجة ـ سنة ١٣٣٣هـ. ثم قرأ صحيح البخاري وسنن الترمذي على العالم الجليل والمربي الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري[(١)] ـ الذي قدر الله أن يكون أكبر خلفاءه، وناشر علومه، ومفيض بركته ـ سنة ١٣٣٤هـ، وكان ذلك بطلب واقتراح من الشيخ لما توسم فيه من النجابة، وصدق الطلب وعلو الهمة، ولما بينه وبين والده من الحب العميق، والرباط الوثيق، وقضى هذه المدة في عكوف كامل على الدراسة، وفي إجهاد النفس وإرهاقها في المطالعة، والاطلاع على المصادر، والاستعداد للدروس.

وكان مما أكرمه الله به، أن شيخه أبدى رغبته وحرصه الشديد على وضع شرح لسنن أبي داود، وطلب منه أن يساعده في ذلك وأن يكون له فيه عضده الأيمن، وقلمه الكاتب. وكان ذلك مبدأ سعادته وإقباله، ووسيلة وصوله إلى الكمال، واختصاص لا مزيد عليه بالشيخ، فكان الشيخ خليل أحمد يرشده إلى المظان والمصادر العلمية التي يلتقط منها المواد، فيجمعها الشيخ محمد زكريا ويعرضها على شيخه، فيأخذ منها ما يشاء. ويترك ما يشاء، ثم يملي عليه الشرح فيكتبه، وهكذا يكون كتاب «بذل المجهود في شرح سنن أبي داود» في خمسة أجزاء كبار، وفتح ذلك قريحته في التأليف والشرح، ووسع نظره في فن الحديث، ثم اهتم بطبعه في المطابع الهندية، والعناية بتصحيحه وإخراجه بإخلاص كامل، ومجاهدة شديدة، فنال بذلك رضا شيخه، وحاز ثقته حتى انتهى ذلك إلى ما انتهى إليه من خلافة ونيابة، وإقبال القلوب والنفوس إليه، وما وفق له من بعد، من جلائل الأعمال، وفضائل الأخلاق.

---

(١) اقرأ ترجمته في الجز الثامن من «نزهة الخواطر».

www.abulhasanalinadwi.org

وعين مدرساً في مظاهر العلوم التي كان يدرس فيها شيخه. ووالده من قبل. والتي تعلم فيها، وكان ذلك غرة محرم سنة ١٣٣٥هـ وهو من أصغر الأساتذة سناً وأشبهم عمراً، براتب زهيد لا يتصور في هذا الزمان، وأسند إليه تدريس كتب لا تسند عادة إلى أمثاله في العمر وفي أول التدريس، ولم يزل يتدرج فيها حتى أسندَ إليه تدريس بعض أجزاء من صحيح البخاري في سنة ١٣٤١هـ، وأثبت المدرس الشاب جدارته وقدرته على التدريس، حتى أصبح رئيس أساتذة هذه المدرسة وانتهت إليه رئاسة تدريس الحديث أخيراً، وكان أكثر اشتغاله بتدريس سنن أبي داود، ويدرس النصف الثاني من صحيح البخاري في آخر السنة، وبعد وفاة الشيخ عبد اللطيف مدير المدرسة، آل إليه تدريس الجامع الصحيح بكامله، فواظب عليه مدة طويلة مع ضعف بصره وأمراضه الكثيرة ولم يعتذر عنه إلا في أول السنة الدراسية في سنة ١٣٨٨هـ.

ولم يأخذ الشيخ محمد زكريا ما عين له من المرتب، ولما اضطر بأمر شيخه إلى أن يأخذها مجموعة لينفقها في الحجة الثانية سنة ١٣٤٤هـ التي رافق فيها أستاذه ليكمل تأليف بذل المجهود، أخذها الشيخ محمد زكريا امتثالاً لأمر شيخه، وتطييباً لخاطره. ثم ردها إلى المدرسة بجملتها، وهكذا كان اشتغاله بالتدريس طول هذه المدة تطوعاً وتبرعاً، لا يأخذ في ذلك أجراً ولا يبغي جزاءاً، وعرضت عليه مرتين وظيفتان للتدريس براتب كبير يزيد على راتبه «الرمزي» في مظاهر العلوم أضعافاً مضاعفة، وكان امتحاناً شديداً لإخلاصه وعلو همته، فقد كانت هذه الوظائف مما يتنافس فيها المتنافسون، ويتهالك عليها الطالبون، فاعتذر منها في صرامة وعزم، وفي ثقة وإيمان فكافأه الله على ذلك مكافأة لم يكن يتصورها، وعوضه من ذلك بما هو خير وأبقى.

وكانت سفرة ١٣٤٤هـ للحج التي رافق فيها شيخه هي سفرة شيخه الأخيرة للحج ومبدأ سفره للآخرة، فأكمل تأليف «بذل المجهود» وهنالك حصلت له الإجازة العامة والخلافة المطلقة عن الشيخ خليل أحمد، وفي هذه الرحلة وأثناء إقامته في مدينة الرسول. عليه أفضل الصلاة والتسليم. بدأ في تأليف كتاب «أوجز المسالك في شرح الموطأ» لإمام دار الهجرة وهو في التاسعة والعشرين من عمره. بدأ في تأليفه في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، عند أقدام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبارك الله في الكتابة والتأليف، فأكمل في بضعة شهور ما لم يكمله في سنين عديدة في الهند، ووصل في الشرح إلى أبواب الصلاة، وظل مشتغلاً به بعد عودته إلى الهند، تتخلله فترات طويلة حتى أكمله في ستة أجزاء كبار.

www.abulhasanalinadwi.org

وعاد إلى الهند مكرماً محبباً، مثقلاً بالأعباء، قد شخصت إليه الأبصار، وارتفعت إليه الأصابع، واتجهت إليه القلوب، فأقبل على التدريس والتأليف بجميع همته، وتوفى شيخه في الحجاز سنة ١٣٤٥هـ فآلت إليه المشيخة ورئاسة تدريس الحديث، والإشراف على تربية أصحابه، والاتصال بمراكز العلم المنتشرة حوله، وبالجماعات الدينية التي تلوذ به، وتلتقي عليه، وتصدر عن رأيه، وبيته ملتقى العلماء والطلبة، والواردين والصابرين، الذين قد يحملون آراء متناقضة، وأذواقاً مختلفة، وينتمون إلى مدارس متباينة، ورأيه الحصيف وما رزقه الله من السداد والاقتصاد يؤلف بين القلوب المتنافرة والآراء المتباينة، ومائدته الواسعة تجمع كل صنف من الناس، وكل طبقة من الرجال، وكل فرد من الجماعات المتنافسة، وهو محافظ على أوقاته وأشغاله، دؤوب في المطالعة والتأليف، بشوش منبسط مع الوافدين، يؤتي كل ذي حق حقه، ويعرف لكل صاحب فضل فضله، وينزل الناس منازلهم، لا يشغله تلقي الضيوف وحسن وفادتهم عن المطالعة، ولا تشغله المطالعة وما فطر عليه من حب العلم وحب الانزواء والخلوة، عن البشاشة، وبذل الود، وطيب النفس، ولا يشغله كل ذلك عن الاشتغال بربه، والانفراد بعبادته ومناجاته، وعن تربية المريدين، وعن حضور حفلات التبليغ، وعن وضع كتب ورسائل في الإصلاح والدعوة إلى الله، في أسلوب سهل يتنزل فيه إلى مستوى العامة، وقد تلقيت هذه الرسائل بقبول عام وانتفع بها خلق لا يحصون، وظهرت لها طبعات لم تتيسر إلا لكتب دينية معدودة في عصرنا، هذا مع جذبة قاهرة إلى رفض جميع الأشغال والمسؤوليات، والفرار من الناس، والتبتل الكلي، والتفرغ للعبادة، والمناجاة، والاشتغال مع الله، ولا يقدر على قهر هذا الدافع وجمعه بكل ما يشتت القلب ويكدر صفاء النفس، إلا كبار الأقوياء، الذين أراد الله أن ينفع بنفوسهم وأنفاسهم، وعلومهم ومؤلفاتهم.

وأوقاته مشغولة بأمور نافعة، موزعة بينها، يحافظ عليها بكل دقة وشدة، فإذا صلى الفجر جلس قليلاً، مشغولاً بحزبه ووِرده، ثم يخرج إلى بيته ويجلس مع الناس، ويتناول الشاي من غير فطور وأكل، ويكثر عدد الناس في هذا الوقت، ثم يطلع إلى غرفة مطالعته فيشتغل بالمطالعة والتأليف، ولا يزوره في هذا الوقت إلا من يطلبه أومن يكون مستعجلاً من الضيوف، وغرفته هذه تذكر بالسلف المنقطعين إلى العلم والتأليف، فهي آية في البساطة والتقشف، مجردة عن كل زينة وتكلف ويثقل عليه أن يزعجه أحد بزيارته ويصرفه عن شغله؛ فإذا كان وقت الغداء نزل وجلس مع الضيوف الذين يكثر عددهم عادة وهم من طبقات شتى، فيؤنسهم ويلاطفهم، ويبالغ في إكرامهم، والتفقد لما يسرهم

www.abulhasanalinadwi.org

ويلذهم، فيكثر من ذلك، ثم يقيل، فإذا صلى الظهر اشتغل بإملاء الرسائل والرد عليها[(١)] قليلاً، ثم خرج إلى الدرس، وكان يشتغل به ساعتين كاملتين قبل العصر، فإذا صلى العصر جلس للناس، وقدم لهم الشاي وهم في عدد كبير، يتوهم الزائر أنه في حفلة صغيرة، وأنه شيء جديد، وهو له عادة، فإذا صلى المغرب اشتغل طويلاً بالتطوع والأوراد، ولا يتناول طعام العشاء عادة، إلا إكراماً لضيف كبير.

وهو مربوع القامة، جسيم وسيم، أبيض اللون مشرب الحمرة، كأنما فقئ في وجنتيه حب الرمان، كثير النشاط لا يعرف الكسل، خفيف الروح، بشوش ودود، كثير الدعابة مع الذين يأنسهم أو يحب أن يؤنسهم، سريع الدمعة، جريح المقلة كلما ذكر شيء من أخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو الصحابة والأولياء أو أنشد بيت رقيق مرقق فاضت عيناه، وتملكه البكاء، وهو يغالبه ويخفيه فتنم عليه الدموع، وليس الحديث له صناعة وعلماً فحسب، بل هو ذوق وحال يعيش به ويعيش فيه.

وتوفى عمه الكبير الذي كان صنو أبيه وأستاذه وصهره، ومن أحب الناس إليه، وأعظمهم حنواً عليه الشيخ محمد إلياس سنة ١٣٦٣هـ فكان المصاب عظيماً، والواقع كبيراً. فتحمله في صبر العظماء، ثم توفى ابن عمه الذي كان عضده الأيمن. وأحب إليه من أولاده، والذي كانت حياته كلها غناءً للمسلمين، وذخراً للدين، وكان فضله كبيراً على المسلمين، الشيخ محمد يوسف بن إلياس سنة ١٣٨٤هـ فطم الأمر وعظم الخطب، وكانت الخسارة فادحة، وتتابعت المحن والحوادث، ومن قبل توفى الشيخ حسين أحمد المدني سنة ١٣٧٧هـ، والشيخ عبد القادر الرائي فوري سنة ١٣٨٢هـ، وكان شديد الحب لهما، فتحمل كل هذا في إيمان وصبر، ورضىً وتفويض، وآلت إليه نيابة كل واحد منهم، في إكمال المبتدئين وتربية المريدين، وتوجيه القاصدين، والإشراف على مراكز العلم والدين، هذا مع إجهاد شديد للنفس في النوافل والعبادات، وفي الجمع بين الأشتات والمتناقضات، خصوصاً في رمضان، فإنه ملازم لختمه للقرآن في كل يوم، وطول السهر في الليل، والاجتزاء بالأكل اليسير، ويصوم عنده بضع مئات من الناس، ويعتكفون أكثر الشهر، وكلهم ضيوفه، فأثر كل ذلك في صحته، وفي بصره، وهو صابر محتسب، دائب مستمر، لا يتوانى ولا يكل، ولا يسأم ولا يمل، وسافر للحج للمرة الثالثة بطلب من ابن عمه الحبيب، الشيخ محمد يوسف، وإلحاح منه سنة ١٣٨٣هـ، وللمرة الرابعة مع الشيخ إنعام الحسن أمير جماعة التبليغ وختنه العزيز سنة ١٣٨٦هـ،

(١) علمت في بعض زياراتي أن عدد الرسائل التي تأتيه من أنحاء مختلفة يتراوح عددها بين ٤٠ و٥٠.

www.abulhasanalinadwi.org

وكان إقبال الناس عليه عظيماً في كلتا الرحلتين، خصوصاً في باكستان، فكان الناس يفدون لزيارته من أنحاء بعيدة وينتهزون فرصة مروره بهذه البلاد فينتفعون بصحبته ودعائه.

وسافر على جناح الشوق والحنين المرة الخامسة إلى الحجاز في صفر ١٣٨٩هـ وكأنه مدفوع إلى ذلك لا يملك صبراً ولا قراراً، وقد نذر صوم شهرين متتابعين شكراً على هذه النعمة، وملازمة الوضوء إلا للاضطرار، وقد أسعد الله كاتب هذه السطور بمرافقته في هذه الرحلة، فرأى من علو همته وقوة إرادته، وشدة أدبه مع الرسول ﷺ وآله وسلم، وشدة حبه له، وشوقه إليه، ومن علو استعداده ومداركه، وما أكرمه الله به في هذه المدة من القرب والاختصاص، ما جدد ذكرى الأقدمين، وصدق ما جاء في كتب أخبار السلف الصالحين، فكان يجلس تجاه أقدام أفضل الرسل ساعات متواليات، مشغولاً مراقباً، رغم ضعفه وكبر سنه وعلله الكثيرة، لا يفتر ولا يشبع من ذلك، وكان يتمنى البقاء في هذه البقعة المباركة وفي هذا الجوار الكريم حتى يفارق الدنيا ويلحق بربه، ويعز عليه حديث العودة، إلا أن دعوات المسلمين وما يعانونه في هذه البلاد من مشاكل ومسائل، تطلب بقاءه بجوارهم، وما تعانيه المدارس الدينية من أزمات ومعضلات. وما تحتاج إليه في الهند جماعة التبليغ من إرشاد وتوجيه، وإشراف ومراقبة، اضطرته إلى العودة، فعاد بسلامة الله في شهر ذي القعدة ١٣٨٩هـ، ومر في طريقه من باكستان فتهافت عليه الناس تهافت الفراش على النور، والتفوا حوله في كل مكان كان ينزل فيه وظهر من إقبال الناس عليه وحبهم له، ما لم يسمع من زمن بعيد.

بارك الله في حياته ونفع بعلومه وأنفاسه، ومتع به الإسلام والمسلمين وأبقاه ذخراً للعلم والدين.

وهذه مقدمة أوجز المسالك نتشرف بتقديمها، ونقدم هذه المقدمة إلى القراء، ونتحف العلماء وطلبة هذا الفن، بما جاء فيها من علم جم، ومادة غزيرة، ومعلومات مفيدة قد تشتت في بطون الأسفار، وكتب التاريخ والأخبار. حتى أصبحت بذلك موسوعة صغيرة فيما يتصل بكتاب الموطأ ومؤلفه العظيم، هذا إلى ما جاء فيها مما يختص بالهند وأخبار كبار الأساتذة والمحدثين فيها، وشيوخ المؤلف، وما جاء فيها من أصول وقواعد، ودرر وفرائد. ونسأل الله أن ينفعنا والمسلمين بها.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دار العلوم ندوة العلماء لكهنو (الهند)

يوم الجمعة ٢٣ شوال ١٣٨٩هـ

www.abulhasanalinadwi.org

لامع الدراري على جامع البخاري

تأليف

شيخ الحديث العلامة

محمد زكريا الكاندهلوي السهارنفوري

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين؛ وخاتم النبيين، محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنه يسعد كاتب هذه السطور أن يقدم لمقدمة «لامع الدراري على جامع البخاري» لبقية السلف وحجة الخلف الشيخ العلامة محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي السهارنفوري، بعد ما أكرمه الله بتقديم لمقدمة «أوجز المسالك إلى شرح موطأ الإمام مالك» وكلتا المقدمتين العظيمتين كانتا في غنى عن تقديم وتعريف، ولكن مؤلفها العظيم أراد أن يكرم كاتب هذه السطور بهذا التقديم، ويشركه في هذه الكرامة، وأراد أن يضم إليها سعادة جديدة، فكانت له الحسنى وزيادة.

وإن كاتب هذه السطور يقف حائراً مبهوراً أمام هذه الكرامة التي هي فوق همته، وأكثر من قدره وقيمته، فكأنه كَسَا ثوباً سابغاً فضفاضاً قد فصل على من هو أطول منه قامة؛ وأكثر منه جسامة، وقد كان في علماء هذا الشأن والمشتغلين بصناعة علم الحديث من كان أجدر بهذه الكرامة وأقدر على هذا التقديم من كاتب هذه السطور، ولكنه فضل من المؤلف وشرف للكاتب.

www.abulhasanalinadwi.org

لقد أصبحت هذه المقدمة كتاباً مستقلاً مفيداً يستحق أن ينشر بمفرده فقد أصبحت مقدمة ضافية في علوم الحديث وأنواع المؤلفات فيها ومراتبها وطبقتها وخصائصها ودائرة معارف فيما يتصل بالإمام البخاري وسيرته وأخباره ودقائق حياته وجلائلها؛ وخفيات أموره وظواهرها، وما خصه الله به من مواهب وخصائص، ومنهجه في التأليف، وما التزمه من التزامات وشروط في وضع هذا الكتاب، وبما تلقته هذه الأمة من اعتناء وقبول؛ وإقبال وتقديم، وتوثيق وتصحيح، وثقة واعتماد، وتناقل وتوارث، وشرح وإبراز لكل ناحية من نواحي هذا الكتاب، تخطر على قلب بشر أو ينتقل إليها الذهن الإنساني، وهي غاية ما يصل إليه الذكاء ويتبلغ إليه الخيال في التحقيق والتدقيق، والتجزية والتحليل؛ والشرح والتفصيل، وغاية ما عرف من الاعتناء بكتاب لمؤلف من مؤلفي العالم، ولإنسان في تاريخ التأليف والتصنيف وفي تاريخ العلم والحضارة، عبر القرون والأجيال، وعبر الحدود والثغور، فلو زعم زاعم أو ادعى مدع أنه لم يعتن بكتاب بشري في أي ملة وديانة، وفي أي لغة وأدب، وفي أي موضوع ومقصد، وفي أي عصر من العصور، مثل ما اعتنى بالجامع الصحيح للإمام البخاري، لما كان مجازفة من القول ولا مبالغة في الدعوى، ولا إسرافاً في الحكم، ولكان لهذا القول وجاهة علمية ودلائل تاريخية، قائمة على استعراض طويل دقيق، محايد أمين للمكتبة العلمية العالمية، ونتاج العقول والأقلام، ومحصول القرائح والهمم، من فجر التاريخ إلى يوم الناس هذا.

ولنظرة عجلى فيما تضمنت هذه المقدمة من معلومات وتفاصيل عن مدى اعتناء الأمة الإسلامية بهذا الكتاب الذي اعتبرته أصح كتاب بعد كتاب الله، وأوثق مصدر للحديث النبوي، وكيف تناولته بالبحث والتنقيب، وكيف عصرت عقولها وصبت آخر قطرة من قطراتها، واستفرغت جهدها واستنفدت قوتها وطاقاتها، وأفنت أعمارها وأوقاتها في الكشف عن خباياه وحل غوامضه واستقصاء شروط المؤلف فيه، ومعرفة رجاله ورواته واستعراض ما قيل عنه وما اعترض عليه وذب به عنه والمحاكمة في كل ذلك؛ ومقارنته بمجاميع السنة الأخرى، وتفضيله على قرينه «الجامع الصحيح» للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، وفيما وقع بينهما من اختلاف في بعض الأصول والشروط، ثم كيف خدم الكتاب من نواح مختلفة؛ لا يقع على أكثر منها الذهن البشري عادة ولا يتجاوزها غالباً، تكفي لتصديق ما قلناه وتفصيل ما أجملناه من العناية الفائقة الخارقة للعادة بهذا الكتاب.

ويكفي القارئ أن يطلع على جهود العلماء وكبار الأذكياء في التطبيق بين تراجم

www.abulhasanalinadwi.org

الأبواب والأحاديث، وقد ذكر مؤلف هذه المقدمة سبعين أصلاً لفهم أسرار المؤلف وأغراضه في وضع هذه التراجم والوصول إلى مراده وغايته والتطبيق بينهما، وقد استقصى هذه الأصول من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع قديماً وحديثاً؛ ومن شروح البخاري؛ وضم إليها أصولاً جديدة، ألهمه الله إياها بطول ممارسته لهذا الفن ومباشرته لتدريس هذا الكتاب، وبفرط ذكائه وصدق طلبه ومثابرته على التأمل والمطالعة، وإجالة الفكر وإعمال القريحة، ففتح الله عليه بالشيء الكثير والعلم الغزير، وبما لم يسبق إليه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ وقوله تعالى: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾.

ويكفيه كذلك أن يجيل نظره في وجود المناسبة والارتباط اللطيف الدقيق بين أول كل كتاب وخاتمته من الكتب التي يشتمل عليها هذا الكتاب العظيم «الجامع الصحيح» للبخاري ولطائف ذوقية في التزامات المؤلف مثل التذكير بالموت والآخرة في آخر كل كتاب، فقد نقل المؤلف في هذه المقدمة كل ما وصل إليه اجتهاد أكبر شارح للجامع الصحيح، وهو العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه العظيم الخالد «فتح الباري» وما أضاف إليه مؤلف هذه المقدمة من نكت بديعة وإشارات لطيفة في ربط آخر الكتاب بأوله، حتى يصبح الكتاب وحدة متناسقة متكاملة، وعقداً منظماً؛ كل لؤلؤة تلتئم مع أختها وتنسجم مع شقيقتها؛ وتخدم غاية واحدة؛ هي غاية الجمال والكمال، وغاص فيه المؤلف إلى أعماق بعيدة، لا يصل إليها كل مشتغل بهذا العلم الشريف، ولا يلزم أن يوافقه في ذلك كل باحث، ويتذوقه كل قارئ، فقد يغلب ذكاؤه المفرط وهيامه بهذا الكتاب ومعانيه، وإيمانه الزائد بدقة فهم مؤلفه وبعد غوره ومراميه، فيأتي بما لا يسهل فهمه وإساغته، ولكن لا ينتقص من قيمته ولا ينكر جهد المؤلف وحرصه على استخراج الدرر واقتناص النجوم، وإعجابه الشديد بعبقرية الإمام البخاري ولطف حسه ورقة شعوره وامتحانه للعقول.

ولا نعرف كتاباً من كتب البشر ـ في المكتبة الدينية العالمية ـ تناوله العلماء والمؤلفون بالشرح والتحشية والتعليق مثل ما تناولوا هذا الكتاب، وقد كان الشرح والتعليق هو المجال العلمي الذي تظهر فيه عناية العلماء والمؤلفين في العصور القديمة، ومقياس اهتمامهم بأثر علمي، فكان أكثر الكتب شروحاً وتعليقات هو أعظم المؤلفات تقديراً، وأعلاها منزلة وأكثرها شهرة، وكان أقل الكتب شروحاً وتعليقاً، أخملها ذكراً وأقعدها شهرة وصيتاً، فيبقى مطموراً مغموراً، لا يسترعي انتباهاً، ولا يثير اهتماماً، فإذا أخذ

www.abulhasanalinadwi.org

هذا المقياس. وهو المقياس الوحيد لنجاح كتاب في عهدنا العلمي الماضي، والدليل القاطع على احتلاله للصدارة في المجلس العلمي. حكمنا بأن «الجامع الصحيح» للبخاري قد فاز بالقدح المعلى في هذا الميدان واحتل الصدارة في مكتبتنا الإسلامية التي انبثقت عن القرآن ودعوة الإسلام، وامتدت على مشارق الأرض ومغاربها، في المساحة الأرضية المكانية، وعلى القرن الأول إلى القرن الثالث عشر. على الأقل. في مساحتها التاريخية الزمانية، فقد بلغ عدد شروحه والتعليقات عليه إلى مئة وواحد وثلاثين كتاباً (١٣١) على حسب استقراء مؤلف هذه المقدمة وعلمه واطلاعه، وقد يكون العدد أكثر من هذا، فقد كان استقصاء المؤلف مؤسساً على كشف الظنون للجلبي، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده، وإتحاف النبلاء، والديباج المذهب؛ ونيل الابتهاج، ومقدمات الشروح المشهورة التي كانت في متناول يده، والثقافة الإسلامية في الهند، وبعض دراساته وتتبعاته الفردية، ولا شك أن العالم الإسلامي أوسع مما تخيله الجغرافيون، والتاريخ الإسلامي العلمي أغنى مما دونه المؤرخون، وفي الزوايا خبايا لم تقع عليها عين ولم تطلع عليها الشمس.

وإن كتاب «فتح الباري» للعلامة ابن حجر العسقلاني الذي يقع في ثلاثة عشر مجلداً ضخماً ومقدمة مبسوطة تكاد تكون مكتبة مستقلة في علوم الحديث، كتاب لا يوجد له نظير في مكتبات الديانات والملل، وإن لهذه الأمة الإسلامية أن تفتخر بهذا الأثر العلمي الخالد، وتقدمه إلى علماء الديانات والفلسفات ورواد الحضارات والثقافات، كبرهان ساطع على جهاد هذه الأمة العلمي ونبوغها الفكري وولوعها بآثار نبيها والغوص فيها إلى أعماق ليست بعدها أعماق، والوصول فيها إلى آفاق ليست وراءها آفاق، هذا، مع عدم الحط من قيمة الشروح الأخرى. وفي مقدمتها «عمدة القارئ» للعلامة بدر الدين العيني التي هي مكتبة حافلة في النحو والعربية وعلوم البلاغة والأحكام المستخرجة والفوائد المستنبطة من الأحاديث. ومع الاعتراف بإخلاص مؤلفيها ونصحهم لله ولرسوله وللمؤمنين، وإفراغ وسعهم في خدمة الحديث ونشره، والتعمق فيه إلى غاية لا يتصور فوقها، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء.

ثم يلي هذا المقياس، شدة العكوف على دراسة الكتاب والتهافت على روايته ونقله والتنافس في حمله ونشره وضمه إلى الصدور والعض عليه بالنواجذ ، وتوارث الأجيال في تلقيه جيلاً بعد جيل، وكابراً عن كابر، وتلميذاً عن أستاذ، وطبقة عن طبقة، حتى لا تعرف فترة من الزمان، نسج فيها عليه العنكبوت وساد عليه الظلام، وانقطعت روايته وتوقفت

www.abulhasanalinadwi.org

دراسته وعبث بها العابثون وتصرف فيه الخائنون المحرفون، وقد تفرد الجامع الصحيح بهذه الميزة بعد كتاب الله، فقد أخذ هذا الكتاب عن مؤلفه تسعون ألفاً من الرواة والحفاظ، وتسلسل نقله وروايته، حتى انتهى هذا الكتاب إلى مؤلفه، وبلغ حد التواتر في شهرته وصحة نقله ونسبته إلى المؤلف، لا ينكر ذلك ولا يتشكك فيه إلا من تشكك في المتواترات والحقائق العلمية التي تثبت بالضرورة، ولا يزال هذا الكتاب موضع الاهتمام والعناية وموضوع التأمل والدراسة في الحلقات العلمية في العالم الإسلامي.

وقد كان نصيب الهند - للأسباب التي بسطنا بعضها في مقدمتنا لمقدمة «أوجز المسالك» - أوفر في التمسك بهذا الكتاب والعكوف عليه درساً وتدريساً من كل بلد إسلامي في العصر الأخير، فإنه لا يزال في قمة الكتب الحديثة التي تدرس في المدارس الدينية، يقرأ من أوله إلى آخره في آخر سني الدراسة، وقد أصبح شعاراً لنبوغ الأستاذ ورسوخه في علوم الحديث والأثر، واقتداره على صناعة التدريس والتفهيم، يتجلى فيه امتياز معلم عن معلم وتفوق أستاذ على أستاذ، وأصبح شرطاً لكمال الطالب واجتهاده وفوزه ونجاحه، فلا يعتبر عالماً إلا إذا قرأ هذا الكتاب بدقة وإمعان وجهد وإتقان، ولا تزال ختمات البخاري لتفريج الكرب وإزالة ما نزل بالمسلمين عادة منتشرة وتقليداً متبعاً في أنحاء العالم الإسلامي.

وهذا كله دليل اعتناء الأمة بهذا الكتاب، وما حازه من قبول عند الله وعند الناس.

ثم خص هذا الكتاب بالإطباق على أنه قد بلغ أقصى درجات الصحة والوثاقة والتحري في نقل الصحيح الثابت والاحتياط الذي يبلغ إليه اجتهاد المجتهدين وأمانة النقلة والرواة، وأن المؤلف قد أفرغ فيه جهده ونجح فيه نجاحاً لم يكتب لمحدث آخر، وراعى فيه أدق الشروط التي عرفت في هذا الفن؛ والتزم فيه التزامات لم تعرف عن أي مؤلف في هذا الموضوع، ثم ساعدته في ذلك الملكة الراسخة التي لا يرزقها إلا واضعو الفنون والصيارفة الحذاق وأهل السليقة الذين لا يعرفهم التاريخ إلا في فترات طويلة وعلى مر القرون والأعصار، وهم في كل لغة وأدب، وكل موضوع ومقصد؛ ويجعلهم الله ميزاناً في هذه الفنون وحجة في هذه المقاصد، فيرزقهم من ثقوب النظر وصحة الحدس وسرعة الخاطر ودقة الشعور وسلامة الفكر والذوق السليم الذي لا يخطئ ما لا يرزقهم أقرانهم ونظراءهم - على جلالة قدرهم وغزارة علمهم - فيأتون في هذه الفنون والمقاصد من الحكم الصحيح السريع والوصول إلى الحقيقة والاهتداء إلى الصميم بما يشبه الإلهام، وبما يخيل إلى كثير من الناس بأنه فوق الطاقة البشرية، وما هو بإلهام دائماً

www.abulhasanalinadwi.org

وما هو فوق الطاقة البشرية، لكنه الملكة الراسخة والموهبة الربانية والتوفيق الإلهي وطول الممارسة وشدة الإخلاص.

ونظائر ذلك كثيرة في الأدب والشعر، واللغة والنحو، وعلم العروض والطب، وأولئك الأئمة لا يخضعون للقواعد التي وضعها من كان في طبقاتهم أو دونهم، ودونتها كتب هذا الفن وجاء فيها الغث والثمين واختلط فيها الحابل بالنابل، فقد يتحررون عن هذه القواعد وعن هذه الآراء والمقاييس؛ ويحكون بسليقتهم وبصيرتهم وذوقهم وتجربتهم.

ومن الظلم والجهل بالحقيقة، والتسرع في الحكم، والتقليد الأعمى، أن يخضعوا لهذه القواعد المرسومة المحدودة التي جاءت في كتب من تأخر زمانه عن زمانهم وانحط مكانه عن مكانهم فيؤخذ «تهذيب الكمال» للمزي مثلاً أو مختصراته للحافظ ابن حجر، أو «ميزان الاعتدال» للذهبي. على فضل هذه الكتب وفضل مؤلفيها على المشتغلين بهذا العلم - فيحكم على الجامع الصحيح للبخاري أو الجامع الصحيح لمسلم أو الموطأ للإمام مالك؛ فيعاد الأمر جذعاً ويستأنف النظر في هذه الكتب التي تلقتها الأمة بالقبول، وبلغ أصحابها إلى أقصى درجات في التحقيق والدقة والتحري، وتشرح تشريح الأجسام، وتسلط عليها المقاييس المحدودة التي تقبل النقاش ويتسع فيها مجال الكلام، فهذا النوع من القسوة العلمية والجفاف الفكري والعمل التقليدي سيحدث فوضى تتزلزل بها أركان الدين؛ وتتضعضع بها العقيدة واليقين، ويتورط المسلمون في اضطراب قد أغناهم الله عنه وكفاهم شره.

ولذلك كان حذاق المحدثين وعلماء أسماء الرجال يعتمدون في ذلك على البخاري ومسلم أكثر مما كانوا يعتمدون على كتب أسماء الرجال التي دونت في العصور المتأخرة؛ ويعجبني في ذلك ما نقله صاحب المقدمة عن الشيخ أبي الحسن المقدسي كان يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح «هذا جاز القنطرة» يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه؛ وقال الشيخ أبو الفتح القشيري: هكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه إلا لحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد في غلبة الظن على المعنى الذي قدمناه من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما «بالصحيحين» ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما، ويؤيده ما قال الحافظ ابن حجر (كما نقل عنه صاحب المقدمة) «وقبل الخوض فيه ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتضياً لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأمة على تسمية الكتابين «بالصحيحين» وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح فهو

www.abulhasanalinadwi.org

بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما».

وكذلك ليس من الصواب ولا من الفقه ولا من مصلحة الإسلام والمسلمين أن تثار قضية أصحية هذين الكتابين الجليلين من جديد، وتبحث، كأن الأمر أنف والموضوع بكر لم يطرق من قبل ولم يقتل بحثاً وتفكيراً، فهو يحدث كذلك فوضى فكرية ويضيع على الأمة كثيراً من جهودها وطاقاتها وأوقاتها. وهو جهاد في غير جهاد أغنى الله خلف هذه الأمة عن القيام بأعبائه بما تولاه سلف هذه الأمة، وفتح باب خطر على مصراعيه تدخل منه آفات كثيرة وتشويشات عظيمة، وليس سر أصحية هذين الكتابين وفضلهما على سائر الكتب في علو طبقة رجالهما وعدالتهم وفي الشروط الدقيقة التي التزمها المؤلفان فحسب، بل في اشتهار هذه الأحاديث التي حواها هذان المجموعان، وشدة اعتناء علماء هذا الشأن بها، وكثرة تلقي الأمة لها، وقد أحسن شيخ الإسلام الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي كل الإحسان إذ قال مبيناً لهذه النكتة في كتابه الفريد «حجة الله البالغة»: «أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع الصحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما وإنه كل من يهون أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين، وإن شئت الحق الصراح فقسهما بكتاب ابن أبي شيبة وكتاب الطحاوي ومسند الخوارزمي وغيرهما تجد بينها وبينهما بعد المشرقين وقد استدرك الحاكم عليهما أحاديث هي على شرطهما ولم يذكراها، وقد تتبعت ما استدركه فقد أصاب من وجه ولم يصب من وجه، وذلك لأنه وجد أحاديث مروية عن رجال الشيخين بشرطهما في الصحة والاتصال فاتجه استدراكه عليهما في هذا الوجه، ولكن الشيخين لا يذكران إلا حديثاً قد تناظر فيه مشايخهما وأجمعوا على القول به والتصحيح له كما أشار مسلم حيث قال: «لم أذكر ههنا إلا ما أجمعوا عليه» وجل ما تفرد به المستدرك كالموكي عليه، المخفي مكانه في زمن مشايخهما، وإن اشتهر أمره من بعد»[(١)].

وليس اتفاق الأمة وعلمائها على أصحية البخاري وفضله على سائر الكتب مجرد اتفاق ومصادفة، ولا عن طواطؤ ومؤامرة، وقد أعاذ الله هذه الأمة التي اختارها لحمل دينه وتبليغ رسالته من أن تكون فريسة غفلة وغباوة وأن تجتمع على الضلال، بل كان ذلك إلهاماً من الله ومكافأة على ما قام به مؤلف هذا الكتاب من جهاد في سبيل حفظه الأحاديث النبوية، ثم تحقيقها وتنقيحها ومعرفة رجالها ورواتها وكشف أستار الكذابين والوضاعين وتمييز الضعفاء والمجروحين ثم في نقلها ونشرها في الآفاق وجمعها في

---

(١) حجة الله البالغة ص١٢٤.

www.abulhasanalinadwi.org

مجموعة مهذبة منقحة، بحسب الطاقة البشرية والعلم الإنساني، وقد هجر في سبيل ذلك راحته وحظوظ بدنه ومطالب نفسه، ونسي لذته وغادر وطنه واكتفى من الدنيا ببلغة عيش وسداد رمق، ولقي في سبيله أذى كثيراً وتحمل في سبيله نكراناً وجفاءاً، ومحنة وبلاءاً، فقد وهب للحديث حياته وما أكرمه الله به من قوى وطاقات وحافظة لاقطة واعية وذهن وقاد وعقل نقاد ونفس كبيرة وهمة عالية؛ فكافأه الله على كل ذلك بأن قيض له أفواجاً من العلماء والأذكياء يخدمون كتابه بصنوف من الخدمة وأنواع من الجهد لم تخطر ببال أي جماعة قبلهم ولم تتيسر لكتاب بعد كتاب الله، وأشعل في قلوبهم حب هذا الكتاب والسهر على خدمته حتى لم يشعروا بلذة إلا في شرحه ونشره ولم يجدوا راحة إلا في تحقيقه وتنقيحه، حتى كوّنوا هذه المكتبة الواسعة الزاخرة التي لم توجد لكتاب؛ وفي هذه المقدمة العظيمة أضواء على هذه المكتبة وتعريف بأهم كتبها ومحتوياتها ولم يكن ذلك كله إلا مظهراً من مظاهر سنة الله في خلقه وهي: «أن الجزاء من جنس العمل» فهي سنة قديمة في الأمم والجماعات البشرية وأفراد الناس، فلما حفظ البخاري سنة رسول الله ﷺ وجاهد في سبيله حق الجهاد ووقف كل حياته وكل ما كان يملكه ويمتاز به له، كفل الله بحفظ كتابه وانتشاره وبقائه وازدهاره واعتناء الأمة به اعتناءً لا مزيد عليه، وفي هذه المقدمة قصة هذا الاعتناء وعرض لجوانبه الكثيرة ومناحيها المختلفة.

ومن سلسلة هذا الاعتناء التاريخي الطويل الذي حكى المؤلف قصته في تفصيل وجود هذا الكتاب العظيم الذي أسماه جامعه وناشره «لامع الدراري على جامع البخاري» وهو مجموع أعمال وتحقيقات للإمام الرباني شيخ المحدثين في عصره الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي في أثناء تدريس الجامع الصحيح للإمام البخاري، قيدها تلميذه النجيب الوافي الشيخ محمد بن يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي، وهو عصارة دراسات الشيخ ولباب تأملاته وعكوفه الطويل على علم الحديث دراسة وتدريساً، وقد جاء دور الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى، فنقحها وهذبها وتناولها بالشرح والإيضاح والكشف والإبانة وضم إليها ما فتح الله به عليه من نكت بديعة وإشارات لطيفة وتحقيقات نادرة وتطبيقات فائقة، لا يعرف قيمتها إلا من باشر تدريس هذا الفن سنين طوالاً، وعرضت له معضلات ومشكلات أثناء الدرس في مدة طويلة فلم يجد حلها في بطون الأسفار والكتب المتداولة والشروح المشهورة السائرة، وقد جربت ذلك أثناء تدريسي للجامع الصحيح، على قلة بضاعتي وقصر باعي وقلة اطلاعي في هذا العلم الذي لا يعرف في علوم الإسلام علم اتسع اتساعه ودق دقته.

www.abulhasanalinadwi.org

وهذه المقدمة اجتمعت فيها فوائد وعلوم قد تفرقت وتناثرت في كتب هذا الموضوع، فجمعها مؤلفها الذي أصبح له الحديث شعاراً ودثاراً وذوقاً وحالاً في هذه المقدمة، ويجد فيها المعلم والتلميذ غاية ما أورد به على البخاري واستشكل من هذا الكتاب، ثم جوابه الشافي، وشرحاً وافياً لرموز البخاري ومصطلحاته ومقاصده وأسراره في التراجم ولطائفه في التأليف، هذا عدا معلومات قيمة عن الأئمة الأربعة ومذاهبهم وبحوث مفيدة في أصول الحديث وأسماء الرجال، فجاءت شاملة كاملة وموسوعة واسعة، يجد فيها الطالب ما يفتق قريحته ويشحذ ذهنه ويرفع همته، ويجد فيها المعلم الحاذق والأستاذ الكامل ما ينير سبيله ويسهل مهمته ويوفر عليه وقته وجهوده، فللمؤلف شكر المشتغلين بهذا الفن وثناؤهم واعترافهم بالجميل، وله من الله الأجر الجزيل والذكر الباقي والدعاء الدائم.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مدير ندوة العلماء لكنهو. الهند

١٩/ ٢/ ١٣٩٠هـ

www.abulhasanalinadwi.org

الأبواب والتراجم لصحيح البخاري

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

المحدث محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

أما بعد: فمما تقرر عند المشتغلين بصناعة الحديث تدريساً وتصنيفاً وشرحاً وتحقيقاً، أن الأبواب والتراجم في الجامع الصحيح لأمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رحمه الله من أدق البحوث والمطالب ومن أعمقها غوراً، وأبعدها مدى، حتى اشتهر بين العلماء أن فقه البخاري في تراجمه وأصبح ذلك شعاراً لهذا الكتاب يتميز به عن أقرانه الصحاح على جلالة قدرها وفخامة شأنها، وأصبح مقياساً لفطنة العلماء وتوقد ذكائهم وسيلان ذهنهم وبعد غورهم واقتدارهم على فهم هذا الكتاب الجليل وحل غوامضه، وفتح أغلاقه والتوصل إلى مقاصد المؤلف، لا يشهد لمؤلف أو مدرس ببراعة في العلم وتفوق في التدريس وسعة اطلاع على الشروح والحواشي، وأقوال الأئمة والفحول من المحدثين وطول ممارسته التدريس بهذا الكتاب الشريف وإضناء القوى، وإفناء العمر في ذلك حتى يجتمع له الشيء الكثير من هذا الباب، وينفرد بتوجيهات، وتعليلات تنحل بها الألغاز، وتنفتح بها الأقفال وتخلو عنها

www.abulhasanalinadwi.org

بطون الأسفار، ولذلك عنى بهذا الموضوع العلماء قديماً وحديثاً، وأجالوا فيه قداحهم وأركضوا في هذا السباق جيادهم واعتصروا في ذلك عقولهم الراجحة وعلومهم الراسخة ولا نعرف أديباً أو لغوياً تعمق في فهم بيت من الأبيات، ومعرفة معنى من المعاني الشعرية والوصول إلى غاية من غايات الشعراء مثل تعمق شراح الجامع الصحيح والمشتغلين بتدريسه في فهم مقاصد المؤلف وشرح كلامه.

ولا نعرف ـ على طول اشتغالنا بالتاريخ العلمي ـ مؤلّفاً من مؤلّفات العلماء أو الحكماء عني به رجال ذلك الفن وعكفوا على حل غوامضه وفك مشكلاته حتى شقوا فيه الشعرة، مثل ما عني علماء الحديث بالجامع الصحيح، وما ذلك إلا لإخلاص مؤلفه لعلم الحديث الشريف وانقطاعه إليه، وجهاده في سبيله وتفانيه في ذلك، كما بيّنا ذلك في تقديمنا لمقدمة «لامع الدراري» وما ذلك كذلك إلا لشدة اعتناء الأمة الإسلامية بكل ما يتصل بالحديث النبوي ويتصل بالشخصية النبوية التي ضمن الله لها برفع الذكر وتخليد الأثر وارتفاع المنار ولسان صدق في العالمين حتى تخطت بهذه البركة وسرت إلى من اتصل به عن قريب أو بعيد، فأدركت كل من انخرط في سلك الرواة على مدى العصور والأجيال فرفعت عنه اللثام وأزالت عنه لوثة النكارة أو وصمة الجهالة، فدون في كتب أسماء الرجال، اسمه واسم أبيه وذكر كثير من أخباره وبحث عن نسبه ونسبته ودراسته ونشأته وأمانته وعدالته حتى أصبح علماً يعرف ومعرفة لا تنكّر. وفاق في ذلك على كثير من المصلحين في أمم أخرى، وكثير من العظماء والأبطال، ومؤسسي الحكومات حتى قال أحد المستشرقين الكبار وهو العالم الألماني المعروف اسبرنجر في مقدمته بالإنجليزية على كتاب الإصابة المطبوع في كلكتة سنة ١٨٥٣ ـ ١٨٦٤م: ولم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر الذي يتناول أعمال خمسمئة ألف رجل وشؤونهم لم يقتصر بهذا البر والرفد على الأولياء والمحبين من أمته والخادمين لدينه وعلمه بل تعدى ذلك إلى الأعداء الكاشحين والمناوئين لدينه نعرف به فعرف به العالم كثيراً من أعدائه الألداء ممن طوقهم وطمستهم الأيام فبقيت أسماؤهم وكثير من أخبارهم بفضل السيرة النبوية والحديث النبوي، ولولاها لذهبت أخبارهم أدراج الرياح وطارت بأسماءهم العنقاء فلا عجب إذا كان العصر الغابر والتاريخ الماضي يتمثلان ببيت الشاعر العربي ويخاطبان بهذه السحابة التي مرت بهما فأفاضت عليهما الحياة والنماء وينشدان:

فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة ... اثني عليها السهل والأوعار

www.abulhasanalinadwi.org

ونعود إلى الحديث فنقول وكان مظهراً من مظاهر هذه العناية الفائقة بهذا الكتاب الفذ، عناية العلماء بتراجم الأبواب في الجامع الصحيح فتناوله كل من شرح هذا الكتاب أو علق عليه أو عكف على تدريسه وأفرد بعضهم له تأليفات فات كثيراً من المؤرخين أسماؤها شأن العلوم الأخرى، ومن المؤلفات التي حفظت أسماؤها وجاءت الإشارة إليها ثلاثة مؤلفات في هذا الموضوع ذكرها الكاتب الجلبي المشهور باسم الحاج خليفة (م ١٠٦٧) في كتابه الشهير «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» وهي[١] كتاب الإمام ناصر الدين علي بن محمد بن المنير الإسكندراني سماه «المتوارى على تراجم البخاري»[٢]. و«ترجمان التراجم» لأبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي المتوفى سنة ٧٠٢١هـ، قال الجلبي وهو على أبواب الكتاب ولم يكمله، و«حل أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة وهي مئة ترجمة للفقيه أبي عبد الله محمد بن منصور ابن حمامة المغراوي السجلماسي المتوفى سنة ٣٧٠هـ سماه «مصابيح الجامع» وأضاف إلى هذه الكتب الثلاثة مسند الهند وأستاذ الأساتذة فيها الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي (م سنة ١٢٣٩هـ) كتاباً رابعاً في كتابه المفيد بستان المحدثين وهو «تعليق المصابيح على أبواب الجامع الصحيح» لأبي عبد الله بن محمد بن أبي بكر عمر القرشي المخزومي الإسكندراني الملقب ببدر الدين المعروف بالدماميني المتوفى سنة ٨٢٨هـ[٣] هذا ما أثر عن المتقدمين والأئمة المحققين في البلاد الإسلامية العربية ومن المعروف أن علماء الهند قد سمت همتهم في خدمة علم الحديث وتفننوا فيها كل تفنن فكانت لهم في كل فن من فنونه وغرض من أغراضه جولة، وقد انتهت إليهم رئاسة علم الحديث والصدارة في تدريسه ونشره في العصر الأخير، فلا بد أن تكون لهم مؤلفات لم تصل إلينا أسماؤها وجزى الله عنا وعنهم مؤلف كتاب «الثقافة الإسلامية في الهند» إذ حفظ لنا الشيء الكثير من مؤلفات علماء الهند في علم الحديث واستقصاها استقصاءً كبيراً ولكنه لم يذكر مما ألف في موضوع الأبواب والتراجم إلا

(١) الرسالة المحمدية ص١، دار الفتح ١٩٦٣.

(٢) كشف الظنون ص٣٦٥.

(٣) قال الشيخ عبد الحي الحسني في ترجمة الدماميني في نزهة الخواطر الجزء الثالث، وله شرح على صحيح البخاري سماه مصابيح الجامع، أوله الحمد لله الذي في خدمة السنة النبوية أعظم سيادة ذكر فيه أنه ألفه للسلطان أحمد شاه المذكور وعلق على أبواب منه ومواضع يحتوي على غريب وإعراب وتنبيه، وقد دخل ابن الدماميني مدينة أحمد آباد سنة ٨٢٠هـ، ولا بد أن يكون بهذا الكتاب قد ألف بين سنة ٨٣٠هـ ـ ٨٣٨هـ.

www.abulhasanalinadwi.org

رسالة[1] لشيخ مشائخ الهند وأستاذ الأساتذة وناشر علم الحديث في هذه الديار الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ وهي رسالة وجيزة المباني غزيرة المعاني، تكاد تكون كلها أصولاً كليةً ونكتاً حكمية ولب اللباب في فهم التراجم والأبواب، شأنه في كل موضوع يطرقه، وبحث يتناوله ومن المرجح أن مؤلف الثقافة لم يطلع على رسالة العلامة الشيخ محمود حسن الديوبندي (م١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٩هـ المعروف بشيخ الهند فإنما طبعت بعد وفاة مؤلف الثقافة (م سنة ١٣٤١هـ)[2].

وبهذا جل ما انتهى إلينا من أخبار الكتب والرسائل في موضوع الأبواب والتراجم للبخاري في الماضي وسر الغموض في هذه الأبواب والتراجم تنوع مقاصد المؤلف الإمام وبعد مراميه وفرط ذكائه وحدة ذهنه وتعمقه في فهم الحديث وحرصه على الاستفادة منه أكبر استفادة ممكنة فهو كنحلة حريصة تواقة تجتهد أن تتشرب من الزهرة آخر قطرة من الرحيق ثم تحولها إلى عسل مصفى فيه شفاء للناس.

وشأن الإمام البخاري مع الحديث النبوي الصحيح شأن العاشق الصادق والمحب الوامق مع الحبيب الذي أسبغ الله عليه نعمة الجمال والكمال وكساه ثوباً من الروعة والجلال فهو لا يكاد يملأ عينيه منه وهو كلما نظر إليه اكتشف جديداً من آيات جماله فازداد افتتاناً وهياماً ورأى جماله يتجدد في كل حين وإذا الوجه غير الوجه والجمال غير الجمال فلا قديم في الحب ولا إعادة عند المحب وصدق الشاعر:

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

ولذلك ترى الإمام البخاري لا يكاد يشبع من استخراج المسائل واستنباط الفوائد والنزول إلى أعماق الحديث والتقاط الدرر منه والخروج على قرائه بها حتى يذكر حديثاً واحداً أكثر من عشرين مرة وقد (١) روى حديث بريرة عن عائشة أكثر من اثنتين وعشرين مرة واستخرج أحكاماً وفوائد جديدة.

(٢) وروى حديث جابر قال كنت مع النبي ﷺ في غزوة فأبطأ بي جملي واعياً الحديث أكثر من عشرين مرة.

---

(١) طبعتها باسم رسالة شرح تراجم صحيح البخاري دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد سنة ١٣٣٣هـ وهي تقع في ١٢٩ صفحة بالقطع المتوسط.

(٢) والكتاب يقع في ٢٣ صفحة وهو في اللغة الأردية وفي آخره نحو أربع صفحات بالعربية وهو بمذكرات معلم أشبه منه بكتاب مستقل طبع في مطبعة «الأمان» في نكينة (بجنور).

www.abulhasanalinadwi.org

(٣) وروى حديث عائشة أن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ورهنه درعاً من حديد في أحد عشر موضعاً وعقد له أبواباً وترجم لها[١].

(٤) وروى قصة موسى والخضر في أكثر من عشرة مواضع.

(٥) وأخرج حديث كعب بن مالك في تخلفه عن غزوة تبوك في أكثر من عشرة مواضع وفوائده أكثر من خمسين.

(٦) وروى حديث أسماء في كسوف الشمس وخطبته ﷺ في عشرة مواضع. وروى حديث أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، الحديث واستخرج منه فوائد جديدة[٢].

فكأنه تأخذه النشوة والطرب عند رواية الحديث فلا يمل من إعادته وينشد بلسان الحال:

أعد ذكر نعمان لنا أن ذكره ... هو المسك ما كررته يتضوع

وكأنه يتمثل ببيت الشاعر:

وحدثتنا يا سعد عنهم فزدتنا ... شجوناً فزدنا من حديثك يا سعد

ثم يشتعل ذكاؤه الذي ضر فيه بسهم وافر ويتوقد ذهنه وتسيل قريحته فيفلت زمام التأليف ويرسل النفس على سجيتها ويستخرج من حديث واحد نتائج وفوائد لا تدور بخلد كثير من الأذكياء، وما ذاك إلا لحدة ذهنه وإفراط حبه ولم يزل المحب ملهما للبدائع ملهباً للقرائح والمحب يقع على ما لا يقع عليه المتأمل المرهق لجسمه المتعب لعقله.

وسر آخر للغموض في تراجم الأبواب أن المؤلف الإمام غير خاضع للأساليب التأليفية والقوانين الوضعية التي جرى عليها المؤلفون في فن الحديث في عصره وبعد عصره بل هو واضع طريقة خاصة في التأليف وإمام مذهب خاص فهو لم يقتصر على ما يتبادر إليه الذهن من الأحكام الفقهية المستخرجة من الأحاديث شأن أقرانه ومن سبقه من المؤلفين في علم الحديث والفقه بل يستخرج من الأحاديث فوائد علمية وعملية لا تدخل تحت باب من أبواب الفقه المعروفة وقد أحسن الإشارة إلى ذلك أكبر شراح كتابه

---

(١) عمدة القارئ للعلامة العيني مجلد ٥ص٣١٥.

(٢) نشكر لهذه الإحصائيات فضيلة الشيخ عبد الستار الأعظمي مدرس الحديث الشريف في دار العلوم ندوة العلماء.

www.abulhasanalinadwi.org

وأعرفهم بمراده العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه الفريد «فتح الباري» قال ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة.

قال الشيخ محيي الدين نفع الله به ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها وبهذا المعنى أخلى كثيراً من الأبواب عن إسناد الحديث واقتصر فيه على قوله فيه فلان عن النبي ﷺ أو نحو ذلك، وقد يذكر المتن بغير إسناد، وقد يورده معلقاً وإنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها وأشار إلى الحديث لكونه معلوماً، وقد يكون مما تقدم وربما تقدم قريباً، ويقع في كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة، وفي بعضها ما فيه حديث واحد، وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله وبعضه لا شيء فيه البتة وقد ادعى بعضهم أنه صنع ذلك عمداً وغرضه أن يبين أنه لم يثبت عنده حديث بشرطه في المعنى الذي ترجم عليه ومن ثمة وقع في بعض من نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث إلى حديث لم يذكر فيه باب فأشكل فهمه على الناظر فيه(١).

وقد زاد على ذلك حكيم الإسلام الشيخ ولي الله الدهلوي فأحسن وأجاد وأوضح التفاوت الواقع بين أفهام العلماء ومقاصد المؤلف الإمام وكان يقول بلسان الشاعر:

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ... ونزلت بالبيداء بعد منزل

قال رحمه الله وكثيراً ما يستخرج الآداب المفهومة بالعقل بالكتاب والسنة والعادات الكائنة في زمانه ﷺ ومثل هذا لا يدرك حسنه إلا من مارس كتب الآداب وأجال عقله في ميدان آداب قومه ثم طلب لها أصلاً من السنة(٢).

ومن أكثر قراءة الجامع الصحيح درساً وتدريساً وأنعم النظر فيه شهد بصدق شيخ الإسلام فيما قاله وإصابته الصميم ووجد شيئاً كثيراً مما يتأدب به ويتخلق بأخلاق الرسول ﷺ وعادات الصحابة منثوراً في ثنايا هذا الكتاب العظيم حتى يستطيع أن يستخرج منه كتاباً آخر ويسميه «الأدب المفرد» أو بما شاء وقد يستهين المختص بالفقه والحديث بقيمة هذه الثروة العظيمة وقد يلتوي عليه فهمها وحكمة وضعها في هذا

(١) مقدمة فتح الباري ص٦.
(٢) شرح تراجم أبواب صحيح البخاري ص٥ طبع حيدر آباد سنة ١٣٢٣هـ.

www.abulhasanalinadwi.org

الكتاب الذي أفرد لجمع الأحاديث الصحيحة على شروط الإمام البخاري ولكن نظر المحب يختلف عن نظر غيره وقد أراد الإمام البخاري أن يكون هذا الكتاب نبراساً للساري وصورة لما كان عليه الصحابة والمسلمون في عصر النبوة والسبب الثاني لتعقد بعض ما أورده في هذا الكتاب من الأبواب والتراجم والتوائها على فهم كثير من الشراح والمدرسين حتى قال الكرماني إن هذا قسم عجز عنه الفحول البوازل من الأعصار والعلماء الأفاضل من الأمصار فتركوها بأعذار هو عدم اطلاع أكثرهم على ما كان يسود في عصره من آراء وأقوال يشتد حولها الخصام ويكثر فيها القيل والقال وما ذهب إليه بعض معاصريه ومن تقدمه بقليل من مذاهب فإنه يعقد باباً ويأتي بترجمة وما قصده من ذلك إلا نقض ما انتشر في الناس وجرى عليه العامة أو نقل عن عالم وهو عنده مخالف للحديث وما ثبت من السنة فهو يورى بذلك أو ينظر إليه من طرف خفي، ولا يستملح ذلك ولا يفهم سر إيراده له إلا من اتسع علمه وأحاط بأكثر ما كان يوجد في عصر من الأخلاق والعادات والأقوال والآراء وكذلك اطلع على كتب معاصريه ومن سبقه بقليل كمصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة وغيرهما، وقد أشار إلى هذه النكتة الشيخ ولي الله الدهلوي في بعض مباحثه في كتابه المتقدم ذكره إذ قال وأكثر ذلك تعقبات وتبكيتات على عبد الرزاق وابن أبي شيبة في تراجم مصنفيهما إذ شواهد الآثار تروى عن الصحابة والتابعين في مصنفيهما ومثل هذا لا ينتفع به إلا من مارس الكتابين واطلع على ما فيهما(١).

وسبب آخر لهذا الغموض والتعقد وعجز العلماء والشراح عن حله ومعاناتهم في ذلك الشدة والمشقة حتى التجأ كثير منهم إلى تأويلات وتكلفات لا يسيغها الذوق السليم حتى قال الباجي وإنما أوردت هذا ههنا لما عنى به أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها وتكلفهم في ذلك من تعسف التأويل مالا يسوغ هو أن الكتاب لم يزل في دور التنقيح والتهذيب والحذف والزيادة شأن الكتب التي يعنى بها أصحابها أشد عناية ويصبون فيها علمهم ويعتبرونها عمدة بضاعتهم ورأس مالهم وزادهم في الآخرة وشأن العلماء الذين لا يزال عقلهم في نبوغ وعلمهم في نمو فلا يزال عقلهم مشغولاً بهذا الكتاب ولا يزال قلمهم يتناوله بالتحسين والتحبير وحياة الإمام البخاري لم يكن فيها هدوء واستقرار بل كان ينتقل من بلد إلى بلد ومن محنة إلى محنة ومن جفاء إلى جفاء حتى لقي ربه.

---

(١) رسالة شرح التراجم للشاه ولي الله الدهلوي ص٥.

www.abulhasanalinadwi.org

ويدل على ذلك ما نقله الإمام أبو الوليد الباجي المالكي في مقدمة كتابه في أسماء رجال البخاري، فقال، أخبرني الحافظ أبو ذر عبد الرحيم بن أحمد الهروي، قال حدثنا الحافظ أبو إسحق إبراهيم بن أحمد المستملي قال: انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربري فرأيت فيه أشياء لم تتم وأشياء مبيضة منها تراجم لم يثبت بعدها شيئاً ومنها أحاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك، قال الباجي: ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبي إسحاق المستملي ورواية أبي محمد السرخسي ورواية أبي الهيثم الكشميهني ورواية أبي زيد المروزي مختلفة بالتقديم والتأخير مع أنهم انتسخوا من أصل واحد وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طرة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما فأضافه إليه ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث[١].

وأيده العلامة الحافظ ابن حجر صاحب «فتح الباري» فقال: وهذه قاعدة حسنة يفزع إليها حيث يتعسر وجه الجمع بين الترجمة والحديث وهي مواضع قليلة جداً[٢].

وعلى كلٍّ فهذه بعض أسباب لتعقد الأبواب والتراجم في هذا الكتاب الذي اعتنت به الأمة أشد اعتناء بعد كتاب الله وصلت إليها دراسة قاصرة لمن لم يكن صاحب اختصاص في فن الحديث، وقد يكون أكثر من ذلك، والآخر في عالم العلم والتأمل والبحث ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

ولم يزل الموضوع غضاً طرياً يطرقه كل باحث في علم الحديث وكل دارس ومدرس للجامع الصحيح، كان الموضوع في حاجة بعد ضياع كتب المتقدمين الأربعة التي تقدم ذكرها إلى كتاب أكمل وأشمل وأجمع وأوعى فجاء هذا الكتاب وافياً بالغرض مسعفاً بالحاجة يصدق قول الأولين (كم ترك الأول للآخر) وكان المؤلف. بارك الله في حياته. قد ذكر في كتابه «مقدمة كتاب لامع الدراري» كلما جاء من أصول الشيخ الإمام ولي الله الدهلوي، والقواعد الكلية للتطبيق بين الأبواب والتراجم، وأبواب لا ترجمة لها، وكذلك كل ما جاء في رسالة الشيخ العلامة محمود حسن الديوبندي، وكل ما وجد من فوائد في دروس الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الكنكوهي، وكذلك كل ما وجده من أصول وقواعد في كلام الحافظ ابن حجر، والقسطلاني، والحافظ العيني، فاستوعبها

(١) مقدمة فتح الباري ص٦.
(٢) مقدمة فتح الباري ص٦.

www.abulhasanalinadwi.org

وزاد عليها مما كان خاطره أبا عذره، ولم يسبق إليه حتى بلغ عدد هذه الأصول والقواعد الكلية إلى سبعين أصلاً وقاعدة فاحتوى على علم غزير لم نجده في كتاب واحد. والغيب عند الله. فاقترحت على المؤلف كما اقترح كثير من تلاميذه نشر هذا الجزء وطبعه ككتاب مستقل فقبل هذا الاقتراح مشكوراً محسناً إلى المشتغلين بتدريس هذا الكتاب العظيم بصفة خاصة، والخادمين لعلم الحديث بصفة عامة مستحقاً ثناءهم وتقديرهم ودعوتهم الصالحة وما عند الله أوفى وأبقى وأعظم وأجل، وكان قد تناول كل كتاب من كتب الجامع الصحيح وتكلم على أبوابها وتراجمها باباً باباً، وترجمة ترجمة، فجاء الكتاب سفراً ضخماً قد يقع في عدة أجزاء، وأصبح الكتاب موسوعة أو دائرة معارف بالتعبير الحديث في كل ما يتصل بالأبواب والتراجم في الجامع الصحيح للبخاري.

مغنياً عن غيره، وبذلك أغنى طلبة علم الحديث ومدرسيه عن تتبع هذا الموضوع في كل كتاب والتقاط الدر من كل بحر، ووفّر عليهم وقتاً طويلاً وعناءً كبيراً، ولا يعرف قيمة هذا الكتاب وما فتح الله به على مؤلفه من الرأي السديد والقول الصواب، وما أتى به من لباب النقول وصفوة الأقوال، ولقي الجهد والعناء في حل غوامضه وفك مشكلاته، وقد قال القائل:

«إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه»

وندعوا الله أن ينفع بهذا الكتاب طلبة العلم وأساتذة الحديث، كما نفع بمؤلفاته الأخرى وأن يبارك في حياته، وينفع به المسلمين، ويعز به العلم والدين، وفي الأخير نعترف لزميلنا العزيز الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي بالإخلاص وبذل الجهد في طبع هذا الكتاب والإشراف على تصحيحه شأنه في مؤلفات الشيخ الأخرى، التي سعد بنشرها وطبعها في مطبعة ندوة العلماء، وتقبل الله سعيه وجزاه خيراً.

أبو الحسن علي الحسني الندوي
المسجد الجامع رائي بريلي. الهند.
يوم الأربعاء ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٩١هـ

www.abulhasanalinadwi.org

بذل المجهود في حل أبي داود

تأليف

العلامة المحدث الكبير

الشيخ خليل أحمد السهارنفوري

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد، وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد! فيسعد كاتب هذه السطور أن يقدم لكتاب «بذل المجهود في حل أبي داود» للعلامة المحدث الكبير والمربي الجليل مولانا خليل أحمد السهارنفوري ـ رحمة الله عليه، وقد سعد الكاتب ووفق لتقديم عدة كتب قيمة ومؤلفات عظيمة لتلميذه الأبر الأكبر شيخنا العلامة محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي السهارنفوري، : «مقدمة أوجز المسالك» و«مقدمه لامع الدراري» و«جزء حجة الوداع وعمرات النبي ﷺ» و«الأبواب والتراجم للبخاري».

وكاتب هذه السطور يشهد الله على أن هذه الكتابات لم تخدعه عن نفسه. وقد كان يتقدم إليها في كل مرة متهيباً خاشعاً أمام جلال الموضوع، ومكانة الكتاب العلمية، ومنزلة المؤلف الدينية، وعلو كعبه واختصاصه في علم الحديث، مؤمناً بضآلة قدر نفسه، وقلة بضاعته، وبأنه متطفل على مائدة هذا الفن الشريف. يعتبر ـ علم الله ـ أن إقدامه إلى

www.abulhasanalinadwi.org

هذا التقديم جسارة تكاد تكون وقاحة. وإساءة أدب وقلة حياء، وبأن في القطر الهندي وحده فضلاً عن شبه القارة الهندية، فضلاً عن العالم الإسلامي، من هو أجدر وأقدر وأولى بهذه التقديمات، والتعريف بالتأليف والمؤلف.

ولا يستطيع الكاتب أن يعلل هذا التكريم المتكرر إلا بحكمة إلهية خفية. وأسلوب من أساليب التربية، التي خص الله بها كبار المربين وحذاق المعلمين، وأن لهم في ذلك مرامي بعيدة ومقاصد دقيقة ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ ولعل ذلك لإثارة كوامن الشوق وتشحيذ العزم الفاتر، والهمة الكلية في دراسة هذا الفن الشريف، وإعادة الخيط النوراني الذي يربط القلوب بهذا العلم، والذي ضعف وكاد يتقطع.

وعلى كل فالكاتب يعتقد كل ذلك من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى عليه، التي لا يستوفي حق شكرها.

فلو أن لي في كل منبت شعرة لساناً لما استوفيت واجب حمده

وكتاب «بذل المجهود» هو واسطة العقد بين هذه الكتب التي أمرت بالتقديم لها، واهتمام شيخنا العلامة محمد زكريا بنشره في الحروف العربية ووصوله إلى أيدي علماء الحديث والمشتغلين بتدريسه وتحقيقه، وانتشاره في الأوساط العلمية والمدارس الدينية، وحلوله المحل اللائق به من بين شروح الحديث التي ألفت في العصور الأخيرة أعظم وأكثر، إذ هو ليس مجرد تأليف لشيخه. الذي أحبه واقترنت حياته العلمية بحياته، وليست إلا ظلاً ممدوداً لهذه الشجرة الطيبة المباركة. بل هو فلذة كبده وقطعة نفسه، وأحب أعماله إليه كما سيقرأ القارئ في السطور الآتية، فأصبح خروج هذا الكتاب في الثوب القشيب والمظهر الجديد أعز أمانيه وأكبر آماله، يتلذذ بالحديث عنه ويتسلى بالتفكير فيه، وقد طابت له الحياة وهانت عليه المحن والخضوب في سبيل نشر هذا الأثر العلمي العظيم، وتذكار شيخه الأثير الحبيب، وانتظار خروجه واكتماله، ومن دواعي الغبطة والسرور لكاتب هذه السطور أن يكون له نصيب في هذا العمل، وأن يكون عاملاً صغيراً في تحقيق هذه الأمنية العزيزة وإظهار هذه المأثرة الخالدة.

وكلمة وجيزة عن مكانة سنن أبي داؤد ومنزلته من بين دواوين السنة ومجاميع الحديث وإن كان هذا الموضوع قد استوفى في كتب أصول الحديث ومقدمات علم الحديث، وتاريخ تدوين السنة، ولم يترك الأول للآخر شيئاً، ولا يجاوز عمل كاتب مثلي إعادة ما قيل وإجمال ما فصل، ووقفة قصيرة عند شروح هذا الكتاب وتعليقاته،

www.abulhasanalinadwi.org

ونظرة إجمالية في هذا الشرح، ومكانته من بين الشروح والثغرة التي يسدها ولماذا احتاج المؤلف إلى وضعه؟ ومدى ارتباط المؤلف بهذا الكتاب وتفانيه فيه، وتعلقه به، ومدى نجاحه في هذا العمل، وكيف تم تأليف هذا الكتاب، وما هو سهم تلميذ المؤلف النابغة في تأليفه؟ وما فضله وتأثيره في حياته ونجاحه ونبوغه؟ فلكل ذلك قصة ممتعة مفيدة، فهيا عبرة لمن اعتبر، ودروس مفيدة لتلاميذ المدارس النجباء. ورواد العلم الأذكياء، وأولى الهمم من المؤلفين والعلماء ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

أما سنن أبي داود فهو من كتب الحديث التي تلقتها الأمة بالقبول وتلقاها علماء الصناعة وأئمة الفن بالاعتناء التام، وعليه المعول والاعتماد قديماً وحديثاً، وهو ثالث الأركان أو الرابع في قول (بعض المحققين) التي قام عليها بناء السنة.

ونبدأ بكلام الإمام أبي داود نفسه في وصف كتابه وذكر خصائصه فهو الثقة الصدوق فيما يقول ولا يصف كتاباً ولا يعرف غوامضه مثل مؤلفه، قال ـ رحمه الله ـ في رسالة أرسلها إلى أهل مكة في صفة كتابه.

«وهو كتاب لا يرد عليك سنة عن النبي ﷺ بإسناد صالح إلا وهو فيه، إلا أن يكون كلام استخرج من الحديث ولا يكاد يكون هذا ولا أعلم شيئاً بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب ولا يضر رجلاً أن لا يكتب من بعد ما يكتب هذا الكتاب شيئاً، وإذا نظر فيه وتدبره وتفهمه علم إذن مقداره»(١).

وقال أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي (وهو أحد كبار تلاميذ الإمام أبي داود وصاحب النسخة المشهورة للسنن)، لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله ثم هذا الكتاب، (وأشار إلى نسخة السنن وهي بين يديه) لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بتّة(٢)..

وقال أبو سليمان الخطابي صاحب معالم السنن: واعلموا رحمكم الله أن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول من الناس كافة فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم فلكل

(١) مقتبس من (رسالة أبي داود السجستاني في وصف تأويله لكتاب السنن ص٦ ـ٧) رواية أبي الحسين بن جميع عن محمد بن عبد العزيز الهاشمي عنه، طبعت في مطبعة الأنوار بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ بتحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري.

(٢) ذكره الخطابي في مقدمته سماعاً من ابن الأعرابي (معالم السن ص٨).

www.abulhasanalinadwi.org

فيه ورد ومنه شرب وعليه معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب، وكثير من مدن أقطار الأرض، فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتاب محمد بن إسماعيل ومسلم بن الحجاج ومن نحا نحوهما في جمع الصحيح على شرطهما في السبك والانتقاد، إلا أن كتاب أبي داود أحسن رصفاً وأكثر فقهاً وكتاب أبي عيسى أيضاً كتاب حسن والله يغفر لجماعتهم ويحسن على جميل النية فيما سعوا له مثوبتهم برحمته، إلى أن قال: «وكان تصنيف علماء الحديث قبل زمان أبي داود الجوامع والمسانيد ونحوهما فتجمع تلك الكتب إلى ما فيه من السنن والأحكام أخباراً وقصصاً ومواعظ وآداباً، فأما السنن المحضة فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفاءها ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضيعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داود، ولذلك حل هذا الكتاب عند أئمة الحديث وعلماء الأثر محل العجب فضربت فيه أكباد الإبل ودامت إليه الرحل»(١).

وقال شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي شارح صحيح مسلم، والمؤلفات الكثيرة الشهيرة، في قطعة كتبها في شرح سنن أبي داود: «وينبغي للمشتغل بالفقه وغيره الاعتبار بسنن أبي داود وبمعرفته التامة فإن معظم أحاديث الأحكام التي يحتج بها فيه، مع سهولة تناوله وتلخيص أحاديثه وبراعة مصنفه واعتنائه بتهذيبه»(٢).

وقال العلامة الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب «زاد المعاد» والمؤلفات المقبولة، في شرحه لاختصار المنذري «لسنن أبي داود»: «ولما كان كتاب السنة لأبي داود سليمان بن الأشعث ـ رحمه الله ـ من الإسلام بالموضع الذي خصه به بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام، وفصلاً في موارد النزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضى المحققون فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتبها أحسن ترتيب، ونظمها أحسن نظام مع انتقائها أحسن الانتقاء واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء».

وفيما نقلناه بلاغ ومقنع للدلالة على مكانة الكتاب وأهميته، وكانت نتيجته الطبيعية ومقتضى إجلال العلماء له واحتياج الفقهاء والمحدثين إليه أن يكثر الاهتمام بشرحه

---

(١) معالم السنن ص٦ ـ ٧ (المطبعة العلمية حلب).

(٢) العبارة منقولة من (الحطة في ذكر الصحاح الستة) للأمير العلامة صديق حسن خان القنوجي ص١٠٦ المطبعة النظامية كانفور طبع ١٢٨٣هـ.

www.abulhasanalinadwi.org

وخدمته، والتعليق عليه، فتناوله بالشرح كبار علماء الأمة وأئمة علم الحديث في كل عصر ومصر.

ومن أقدم شروحه وأشهرها وأغزرها مادة وأكثرها فوائد وأصولاً ونكتاً، شرح معالم السنن لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (المتوفى سنة ٣٨٨هـ) ولا يعزبن عن البال أن الخطابي. رحمه الله تعالى. لم يشرح جميع الأحاديث بل يأتي إلى الباب الذي تعددت فيه الروايات، فإذا كان المآل فيها واحداً شرح منها حديثاً واحداً، وكأنه بذلك شرح جميع الباب، وإلا شرح أكثر من ذلك على حسب ما يتراءى له وإلى ذلك الإشارة بقوله من باب كذا[١].

إلا أن الكتاب مجمع على فضله واحتوائه على فوائد كثيرة تنير السبيل للمستفيدين، وتنشئ فيهم ملكة الاستنباط وفقه الحديث، وقد جاءت في ثنايا الكتاب ثروة ذات قيمة من مقاصد الشريعة وأسرارها كما نوه بذلك شيخ الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي في مقدمة «حجة الله البالغة»[٢].

وشرحه الشيخ قطب الدين أبو بكر أحمد بن دعين اليمني الشافعي (م سنة ٦٥٢هـ) في أربعة مجلدات كبار.

وقد تناوله بالشرح شيخ الإسلام محي الدين النووي (م سنة ٦٧٦هـ) إلا أن هذا الشرح لم يتم ولو تم لكانت له مكانة مرموقة لاقتدار صاحبه على الشرح والإيضاح ورسوخه في علوم الحديث وسلامة ذهنه.

وشرحه الحافظ علاء الدين المغلطاني ابن القليج (م سنة ٧٦٢هـ) ولم يكمله وهو كتاب عظيم كثير الفوائد.

وشرحه شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المقدسي (م سنة ٧٦٥هـ) سماه «انتحاء السنن واقتفاء السنن».

---

(١) مقتبس من مقدمة الشيخ الراغب الطباخ على معالم السنن للخطابي طبع حلب.

(٢) في مكتبة دار العلوم ديوبند مقدمة للشيخ أبي طاهر أحمد بن محمد بن السلفي الأصبهاني، كتبها بطلب من جماعة للفقهاء حين إملائه لمعالي السنن في سنة ٥٤٦هـ للتعريف بصاحب السنن الإمام أبي داود وبشارحه أبي سليمان الخطابي يقول في هذه المقدمة، وقد أردت أن أقدم ههنا أيضاً فصلاً في التنبيه على جلالة أبي داود وما صنفه، وفضل أبي سليمان وشرحه، وقد جاءت هذه المقدمة في ٢٢ صفحة من القطع الكبير، وهي خطية لم تطبع بعد، (مخطوطات دار العلوم ص٩٥).

www.abulhasanalinadwi.org

وشرحه الشيخ سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي (م سنة ٨٠٤هـ).

وشرحه الشيخ العلامة ولي الدين أبو زرعة أحمد بن الحافظ أبي الفضل زين الدين العراقي (م سنة ٨٢٦هـ) قال السيوطي: «هو شرح مبسوط جداً كتب منه من أوله إلى سجود السهو من سبع مجلدات، ولو كمل لجاء أكثر من أربعين مجلداً».

وشرحه الحافظ شهاب بن رسلان الرملي الشافعي[(١)] (م ٨٤٢هـ) في أحد عشر مجلداً، وقد رأى الشيخ العلامة حسين بن محسن الأنصاري شرحه في بعض بلاد العرب وذكر أنه في ثمان مجلدات كبار كما جاء في «غاية المقصود، ص٩»[(٢)].

وشرحه الشيخ شهاب الدين بن أحمد بن الحسين الرمل المقدسي الشافعي (م ٨٤٤هـ).

وشرحه العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي (م ٨٥٥هـ) ولم يكمل.

وشرحه العلامة جلال الدين السيوطي (م ٩١١هـ) وسماه «مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود» وعليه حاشية للعلامة السيد علي بن سليمان الدمنتي البجمعوي (المتوفى في أوائل القرن الرابع عشر) وسماه «درجات مرقاة الصعود» وقد قال في مقدمته: «هذا اختصارنا لمرقاة الصعود إلى سنن أبي داود للعلامة السيوطي، وهو تعليق على نسق أصله الذي لخص به معالم السنن للإمام أبي سليمان الخطابي، وضم إليه الفوائد الزوائد والحرائد الشرائد» (وهو في جزء واحد، طبع في المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٨هـ).

وقد شرحه العلامة الشيخ محمود[(٣)] محمد خطاب السبكي المصري (م ١٣٥٢هـ)، وسماه «المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داوود»، وهو شرح حافل في عشرة أجزاء ولم يتم، وقد وصل المؤلف في شرحه إلى «باب التلبيد».

---

(١) اقرأ ترجمته الحافلة في البدر الطالع للشوكاني الجزء الأول.

(٢) استفدنا في هذا الباب من «كتاب الحطة في ذكر الصحاح الستة» للعلامة صديق حسن القنوجي «مقدمة غاية المقصود».

(٣) هو المصلح الكبير الداعي إلى الله الشيخ محمود خطاب السبكي، تعلم العلم كبيراً، وتخرج في الأزهر وكانت دراسته بكاملها في نحو سنة كما حكى هو عن نفسه في كتابه «فتاوى أئمة المسلمين» ودرس في الأزهر وقام بدعوة دينية إصلاحية، كان لها تأثير كبير في إزالة البدع والمنكرات واتباع السنة وطريقة السلف الصالح، وأسس جمعية وسماها: «الجمعية الشرعية لتعامل العاملين بالكتاب والسنة المحمدية» لقيت ابنه وخليفته الشيخ أمين محمود خطاب في مصر سنة ١٣٨٠هـ وتعرفت بكثير من أعضائها راجع «مذكرات سائح في الشرق العربي» لكاتب هذه السطور.

www.abulhasanalinadwi.org

وكان نصيب علماء الهند من خدمة هذا الكتاب الجليل نصيباً غير منقوص، شأنهم في خدمة علم الحديث عامة، وخدمة الصحاح الستة بصفة خاصة.

فأول من شرحه من علماء الهند العلامة أبو الحسن السندي ابن الهادي المدني (م ١١٣٩هـ) سماه «فتح الودود على سنن أبي داود».

وتلاه علماء آخرون فعني به العلامة المحدث الكبير شمس الحق الديانوي (م ١٣٢٩هـ) فبدأ في شرح عظيم محيط بمباحث الكتاب والمتون والأسانيد، ولو تم لكان عملاً جليلاً، ومن شروح الحديث الكبيرة الشاملة، إلا أنه لسعة دائرته وضخامة عمله لم يتم، وسماه «غاية المقصود» وقد احتوى على بحوث مفيدة وفوائد كثيرة، ولعل المؤلف قد شعر بأن هذا العمل لا يتم في حياته فضيق دائرة التأليف، وصغر إطار الكتاب وأخرج الكتاب في أربعة أجزاء، وسماه «عون المعبود» ونسبه إلى أخيه الشيخ محمد أشرف وهو من تأليفه حقيقة(١).

وترجمة الشيخ وحيد الزمان اللكهنوي الحيدر آبادي الملقب بوقار نواز جنك (سنة ١٣٣٨هـ) وتناوله بالشرح والإيضاح وسماه «الهدى المحمود في ترجمة سنن أبي داود».

وقد جمع أحد تلاميذ العلامة محمد أنور شاه الكشميري (م ١٣٥٢٩هـ) وهو الشيخ أبو العتيق عبد الهادي محمد صديق النجيب آبادي، إفادته في درس «سنن أبي داود» وضم إليها فوائد اقتبسها من «بذل المجهود» للعلامة خليل أحمد السهارنفوري، وزاد فوائد أخرى التقطها من درس العلامة محمود حسن الديوبندي المعروف بشيخ الهند، لصحيح البخاري ودرس العلامة شبير أحمد العثماني لكتاب صحيح مسلم وألف مقتبساً من كل ذلك كتاباً أسماه «أنوار المحمود» في جزأين(٢) وتم الشرح فيهما.

وللشيخ فخر الحسن الكنكوهي (م ١٣١٥هـ) تعليق على سنن أبي داود وسماه «التعليق المحمود».

وللشيخ العلامة المحدث القاضي حسين بن محسن(٣) الأنصاري اليماني تعليقات على سنن أبي داود، ولتلميذه العلامة السيد عبد الحي الحسني مؤلف «نزهة الخواطر» تعليق على السنن كذلك لم يتم.

---

(١) راجع ترجمة مولانا شمس الحق الديانوي في «نزهة الخواطر» للعلامة عبد الحي الحسني ج٨ ص١٧٩.

(٢) طبع هذا الكتاب في تجلي بريس دهلي سنة ١٣٣٠هـ وعدد صفحات الجزء الأول ٦١٠ ـ وعدد صفحات الجزء الثاني ٥٦٨.

(٣) راجع ترجمته في نزهة الخواطر ج٨.

www.abulhasanalinadwi.org

وكان الشيخ العلامة المحدث الكبير مولانا خليل أحمد السهارنفوري من كبار المعتنين بسنن أبي داود تدريساً وتحقيقاً، وكان مما جرت به العادة ووقع عليه الاتفاق في مدرسة مظاهر العلوم، التي كان مديرها ورئيس أساتذتها أن يباشر هو تدريس هذا الكتاب أو يتولاه الشيخ العلامة محمد يحيى بن إسماعيل الكاندهلوي (م ١٣٣٤هـ) لا يتخطاهما إلا نادراً، وكانت فكرة شرح هذا الكتاب تراود الشيخ منذ أيام الطلب وعنفوان الشباب، وكان يتمنى على الله أن يوفق لهذا العمل الجليل وقد شرع في ذلك فعلاً وبدا له أن يسميه «حل المعقود الملقب بالتعليق المحمود على سنن أبي داود» وأقبل على هذا العمل بعد أن انشرح صدره، وقد شرع فيه ثلاث مرار وكان الشروع فيه للمرة الثالثة سنة ١٣١١هـ إلا أنه لم يقدر له الاستمرار فيه وإكماله في ذلك الحين فصرفته عنه الأشغال العلمية، والدروس المرهقة، والأسفار المتتابعة، وقد كانت لله في ذلك حكمة خفية، فقد أراد الله أن يتم هذا العمل على يده، وقد بلغ درجة النبوغ والنضج العقلي وتوسعت دراسته واتسع نطاق علمه وظهرت كتب جديدة في شرح هذا الكتاب، فجاء الكتاب حصيلة دراسته وعصارة مطالعته.

وكان الباعث الأول على تأليف هذا الشرح هو شغفه بحديث رسول الله ﷺ الذي لا يعرف مداه وسره إلا من ذاق حلاوة الحب وشغف بمحبوبه وبكل ما يصدر عنه ويتصل به وينسب إليه، وحرصه على الاشتغال بالحديث لفظاً ومعنى ومنطوقاً ومفهوماً، وشرحاً وتحقيقاً وفحصاً وبحثاً، ولما كان الشرح ضامناً كافلاً بهذا الاشتغال، والخوض في أعماق الحديث، آثره الشيخ والتزمه، فإن تم الشرح وتحققت الأمنية، فنعم وحبذا، وإلا فقد قضى هذه المدة في شغل عزيز لذيذ، وفي سعادة وغبطة وسرور.

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى! وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

وكان الباعث الثاني عليه هو عدم وجود شرح واف لهذا الكتاب الجليل بقلم عالم حنفي يجمع بين التبحر في الحديث والتضلع في الفقه، مع أن الكتاب من أكثر الكتب التي يعتمد عليها في إثبات مذهب أو رد مذهب، لأن موضوعه الخاص وميزته الكبرى هو أحاديث الأحكام، وهي التي يكثر فيها الخلاف، وتتجلى فيها القدرة على التحقيق وقوة الاستدلال، وذلك ما أهم المؤلف وشغل خاطره.

ولم يزل علماء الإسلام منذ قديم الزمان يشرحون كتب الحديث وفي مقدمتها ـ الصحاح الستة ـ بوجهة نظرهم الخاص، ويطبقون بين الأحاديث وآراء مذهبهم ويقدمون دلائلها من كتب الحديث الموثوق بها، المعتمد عليها، كما فعل الإمام أبو جعفر

www.abulhasanalinadwi.org

الطحاوي في شرح معاني الآثار، وكما فعل العلامة الزيلعي في نصب الراية، والعلامة علاء الدين بن التركماني في الجوهر التقي، وسادتنا الشافعية ـ والحق أحق أن يقال ـ قد أحرزوا قصب السبق في ميدان التأليف والتدوين. فإذا ألف أحدهم شرحاً لكتاب من كتب الصحاح، تلاه عالم كبير من علماء المذهب الحنفي، فألف شرحاً آخر لهذا الكتاب، وإذا ألف أحد كبار علماء الشافعية أو المالكية كتاباً في التفسير أو في أصول الفقه وتلقاه الناس بالقبول، وسارت به الركبان وشغف به الأوساط العلمية والحلقات التعليمية، جاء عالم حنفي فألف كتاباً في نفس الموضوع قد يفوقه، وقد يدرك شأوه، وقد يتخلف عنه، شأن الكتب العلمية والجهود البشرية في كل زمان ومكان، وهذه قصة «عمدة القاريء» للعلامة بدر الدين العيني، مع «فتح الباري» للعلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني، وهذا هو الدافع النبيل الذي دفع بعض كبار علماء الحنفية إلى تأليف كتاب في تفسير القرآن بعد ما كثرت مؤلفات علماء الشافعية في التفسير، وانتشرت في الآفاق، وأقبل عليها الطلبة والعلماء درساً وتدريساً، كما فعل العلامة أبو البركات حافظ الدين النسفي (م ٨١٠هـ) في كتابه «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، والعلامة أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (م ٩٨٢هـ) في تفسيره المسمى بـ «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، والمحدث الكبير والفقيه الشهير القاضي ثناء الله الباني بتي (م ١٢٢٥هـ) في التفسير المظهري.

والعلم الثالث الذي له صلة وثيقة بالمذاهب والآراء الفقهية، وعليه أساس استنباط المستنبطين واجتهاد المجتهدين هو علم أصول الفقه، فكان المجال الثالث لتأليف فحول علماء المذاهب ونوابغهم، فألف العلامة أبو الحسين البصري، وإمام الحرمين العلامة أبو المعالي عبد الملك الجويني، وحجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي، والعلامة علي بن أبي المظفر الآمدي، والإمام فخر الدين الرازي وغيرهم من كبار علماء الشافعية، والعلامة جمال الدين بن الحاجب، والعلامة أبو إسحاق الشاطبي من علماء المالكية، والإمام محمد بن الحسين أبو يعلى، والعلامة ابن قدامة المقدسي من علماء الحنبلية، مؤلفاتهم الشهيرة في علم الأصول، وسارت بها الركبان ودرجت الأجيال على دراستها، وحفظ بعضها وشرحها، عدة قرون، صنف الإمام علي بن محمد بن عبد الكريم فخر الإسلام البزدوي (م ٤٨٢هـ) من علماء الحنفية كتابه المشهور «بأصول البزدوي» وصنف الشيخ العلامة حسام الدين محمد بن محمد بن عمر اخسيكثي الحنفي (م ٦٤٤هـ) كتابه «المنتخب الحسامي»، وألف الشيخ العلامة كمال الدين بن الهمام

www.abulhasanalinadwi.org

الحنفي (م ٨٦١هـ) كتابه المشهور «التحرير»، وتداولت الأيدي هذه الكتب وأقبل عليها العلماء دراسة وتدريساً وشرحاً وتلخيصاً حتى جاء الشيخ العلامة محب الله بن عبد الشكور الحنفي البهاري الهندي (م ١١١٩هـ)، فصنف كتابه المشهور «مسلم الثبوت» فتهافت عليه العلماء والمؤلفون، وتناولوه بالشرح والتعليق وقد شغل هذا الكتاب أذكى علماء البلاد وأبرعهم أكثر من قرن، وبلغ عدد شروحه وتعليقاته التي اشتهرت بين الناس ثمانية شروح على ما جاء في كتاب «الثقافة الإسلامية في الهند» للعلامة السيد عبد الحي الحسني، وكان ذلك طبيعياً ومعقولاً، ومما اقتضته طبيعة اختلاف المذاهب وطبيعة العلم والبحث.

إن هذه الحركة العلمية القوية التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي واستمرت إلى عهد قريب وظهرت بشكل خاص في مجال شروح الحديث وكتب التفسير وأصول الفقه، أفادت النشاط العقلي والعلمي في العالم الإسلامي إفادة كبيرة لأنها مخضت المكتبة الإسلامية الدينية وغربلتها غربلة وتخلت كتب الحديث والرجال وعلمي الأصول، للاحتجاج لما كان يراها المؤلفون وعلماء المذاهب من الآراء الفقهية من الكتاب والسنة والحديث الصحيح وإقامة الدليل والبرهان عليه، فلم يبق جانب من جوانب الحديث النبوي وما يتصل به من علوم ومقدمات إلا وكشف عنه، ولا موضوع له نسب قريب أو بعيد بالسنة وآيات الأحكام إلا وبحث ودرس ونوقش، واستعملت العقول في ذلك إلى أقصى حدودها، فكان كل ذلك مما يعود على الشريعة الإسلامية بالنفع وتكونت هذه المكتبة الدينية التي لا نظير لها في الملل والأمم.

وفي سنة ١٣٣٥هـ حين بلغ الشيخ أربعاً وستين سنة من عمره، جاء الوقت الموعود المقدر لتأليف هذا الكتاب، فذكر أمنيته القديمة التي لم تفارقه مدة حياته الدراسية والتأليفية لتلميذه الذي ظهرت عليه آثار النجابة والنبوغ، واختص بالشيخ اختصاصاً لم يكتب لغيره، وهو العالم الناهض محمد زكريا (ابن صديقه مولانا محمد يحيى الكاندهلوي) الذي تخرج من المدرسة حديثاً وعين مدرساً صغيراً فيها، وذكر أنه لا يزال عنده حنين كامن لتأليف هذا الكتاب، إلا أن الأسباب لم تتهيأ له، وقد وهنت قواه وضعف بصره، وكان أكبر الاعتماد في إنجاز هذا العمل على والده العظيم الشيخ محمد يحيى الذي رزق قسطاً كبيراً من الذكاء وحسن الملكة في علم الحديث، وكان من أنجب تلاميذ الشيخ الإمام المحدث مولانا رشيد أحمد الكنكوهي وكان شديد التجاوب معه، عجيب التوارد في المباحث العلمية، والمسائل الغامضة الدقيقة خصوصاً في تطبيق

www.abulhasanalinadwi.org

الحديث والفقه. وبيان الحجج والدلائل للمذهب الحنفي وقد توفي. رحمه الله. في سنة ١٣٣٤هـ، ففقد لوفاته العضد الأيمن والمساعد الأكبر، وحزن عليه حزناً شديداً لخسارة العلم ورزيئة صناعة التعليم فيه، وكان دائماً يشعر بمكانه الشاغر، وقال له وهو يمشي معه مرة: إذا ساعدتني أنت وزميلك حسن(١) أحمد في تأليف هذا الشرح فلعل ذلك يحقق أمنيتي.

ولما وصل الشيخ الكبير إلى هذه النقطة من حديثه اهتز له تلميذه النجيب وصادف ذلك رغبة ملحة دفينة في نفسه في الحرص على خدمة الحديث الشريف والمثابرة عليه، والتفاني فيه، وإفناء العمر والقوى في سبيله، ولم يكن يجد لذلك سبيلاً ولا يصدق أنه ممكن، لأنه الآن في الشوط الأول من التدريس، فمتى يصل إلى الاشتغال بكتب الحديث وكيف تتأتى له هذه الفرصة؟ فكان قد دعا الله مخلصاً ومبتهلاً حين قرأ فاتحة الفراغ على والده وأستاذه، أن لا ينقطع عن الاشتغال بالحديث ويظل حياته عاكفاً عليه بالتدريس والتأليف، فكأنما تكلم الشيخ على لسانه، وعبر عن جنانه، وتحقق حلمه اللذيذ الذي كان يراه بعيد المنال وضرباً من المحال، فلم يتمالك نفسه وانفجر قائلاً: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ ولعل الله أجاب دعائي وقص عليه القصة بطولها وفرح الشيخ ودعا له بالتوفيق، وأملى أسماء كتب يستعان بها في هذا الموضوع، وابتدأ العمل من غد، وكان ذلك لليلة خلت من ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف.

وكان منهج التأليف أن الشيخ كان يرشد إلى مظان الموضوع في الكتب التي جمعت وتوجد في مكتبة المدرسة، وكان التلميذ يجمع المواد العلمية وما كتبه المتقدمون من الشراح والمؤلفين ويقرأها على الشيخ فيختار منها ما يستحسنه، ويملي الشرح، واستمر العمل، والشيخ لا هم له ولا لذة إلا في هذا العمل الذي يعده من أعظم القربات ومن أفضل العبادات، والتلميذ لا شغل له ـ إلا ساعات تمضي في دروس معدودة ـ إلا مطالعة الكتب وجمع المواد وعرضها على الشيخ.

ومضت على ذلك تسعة أشهر، وتم شرح الجزء الأول في سلخ ذي القعدة ١٣٣٥هـ، وكان الشيخ قد ملكته فكرة هذا التأليف وتغلغلت في أحشائه، وخالطت لحمه ودمه، وسيطرت على مشاعره وتفكيره وذوقه، حتى كان آخر ما يفكر فيه قبل النوم وأول

(١) كان من تلاميذ الشيخ الأذكياء المرجوين ومات شاباً ـ رحمه الله ـ.

www.abulhasanalinadwi.org

ما يهتم به عند اليقظة، وحق له أن ينشد بلسان الشاعر الحماسي.

آخر شيء أنت في كل هجعة؟ وأول شيء أنت عند هبوبي

ولا يفهم ذلك إلا من أكرمه الله بالغرام بمبدأ سام ومقصد رفيع، فكان ذلك عنده مقياس الرضا ووسيلة القرب، فبمقدار غناء الرجل في هذا العمل وإعانته عليه ومساهمته فيه. كان حظياً عنده، وجيهاً في عينه، وقد عرف الناس ذلك وانتفعوا به، وتقربوا بسببه إليه، ذكرني هذا بما ذكره القاضي ابن شداد عن السلطان صلاح الدين الأيوبي يقول:

«ولقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيماً. بحيث ما كان له حديث إلا فيه ولا نظر إلا في آلته، ولا كان له اهتمام إلا برجاله. ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه».

«وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد»[(١)].

ومن يقرأ كتب التراجم والطبقات يرى أمثلة هذا الشغف والاستغراق عند كثير من العلماء والمؤلفين والعظماء والمصلحين في مشاربهم وأذواقهم.

وإذا استولى هذا الحب على إنسان وجرى منه مجرى الروح والدم أتى بالعجائب وكان مصدر إلهام وتوجيه، وقد وقع للشيخ بعض حوادث غريبة، فمنها أنه رأى مرة فيما يرى النائم كأن منبهاً ينبهه على خطأ في هذا الشرح، وقد فرغ منه فلما استيقظ دعاه تلميذه الشيخ محمد زكريا وأخبره بهذه الرؤيا، ولما راجع هذا المقام وجد أن فيه خطأ فأصلحه.

وكان العمل قائماً على قدم وساق، وكان الشيخ منصرفاً إليه بقلبه وقالبه، وتلميذه مقبلاً عليه بجميع قواه ومواهبه، إذ عرضت للشيخ رحلة إلى الربوع المقدسة، مهبط الوحي ومدرسة الحديث الأولى، وأبدى التلميذ رغبته ـ بما رأى من حرص الشيخ على إتمام هذا الكتاب وضعفه وعلو سنه ـ في المرافقة، فقبلها الشيخ مسروراً وأمل في تمام هذا العمل وتوجه على بركة الله إلى الحرمين الشريفين وذلك في شهر شوال سنة ١٣٤٤هـ، ولم يزالا مكبين على إتمام هذا الشرح، منقطعين إليه لا يتخلله إلا العبادة والفرائض الدينية والأمور الطبيعية، وكان الشيخ له دعوات ثلاث، وأماني عزيزة، لا يعدل بها أمنية، أولاها أن تقوم في الحجاز حكومة إسلامية مستقرة، ويسود في ظلها

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص١٦.

www.abulhasanalinadwi.org

الأمن والسلام وتستقر الأمور، والثانية إكمال بذل الجهود، والثالثة أن يوافيه الوقت الموعود في مدينة الرسول ويدفن في البقيع، وقد أجاب الله دعواته الثلاث التي دعا بها إلى الملتزم وحقق هذه الأماني كلها.

ولثمان بقين من شعبان (٢١ شعبان) سنة ١٣٤٥هـ تحققت أمنيته الكبرى التي غذاها بدم قلبه فتم الشرح، وقد كانت مدة تأليفه عشر سنوات وخمسة أشهر وزادت عليها عشرة أيام وتم الكتاب في خمسة مجلدات كبار وفي ألفين من الصفحات بالقطع الكبير، فكان له يوم عيد، بل يوم ما جاء عليه يوم هو أكثر فرحاً وسروراً فيه من هذا اليوم، فعين يوماً (وهو يوم الجمعة ٢٣ شعبان سنة ١٣٤٥هـ) لضيافة علماء المدينة وأحبته وأصدقائه، شكراً لله تعالى وإبداءً لسروره وفرحه، وصنع طعاماً كثيراً على طريقة أهل الحجاز وأخبر تلاميذه ومريديه وأحبته في الهند بهذا الموعد المبارك ليشاركوه في السرور والشكر.

وقد وهب المدرسة حقوق هذا الكتاب تنتفع به وهي صاحبة الامتياز في طبعه وقد طبع مرتين، وهذه هي الطبعة الثالثة بالحروف العربية للمرة الأولى مع زيادات وإفادات مهمة للشيخ محمد زكريا الذي كان له النصيب من أول عهد تأليف هذا الكتاب، نسأل الله أن ينفع به طلبة العلم ويجعله ذخراً له في الآخرة وذكراً في الدنيا وصدقة جارية وباقية صالحة.

وكلمة عن خصائص هذا الشرح والتزامات المؤلف التي التزمها وعنى بها عناية خاصة وتؤثر الإجمال والإشارة فإنما يعرف فضل هذا المجهود العلمي من باشر تدريس هذا الكتاب مدة طويلة وعرضت له مشكلات فنية.

فمنها أن المؤلف اهتم بأقوال الإمام أبي داود صاحب الكتاب وكلامه في الرواة أو في إيضاح بعض ما ورد في الحديث اهتماماً كبيراً.

ومنها أنه اهتم بتصحيح نسخ السنن المختلفة المنتشرة ويراه القارئ كمثال في باب افتتاح الصلاة في حديث أبي حميد الساعدي.

ومنها الاهتمام البالغ بتخريج التعليقات والفحص عنها في كتب أخرى وذكرها، وإذا لم ينجح في ذلك بعد التتبع البليغ صرح بذلك في غير تردد.

ومنها تطبيق لروايات بالترجمة وقد ظهرت في ذلك دقة فهمه وطول تأمله وحيث تكررت الأبواب دفع ذلك وذكر حكمة هذا التكرار، ونضرب له مثلاً بباب صفايا رسول الله ﷺ من الأموال وباب سهم الصفي، فليراجع في كتاب الخراج والفيء والإمارة.

www.abulhasanalinadwi.org

ومنها أنه حكم في ما اختلف فيه الشراح بما شرح الله له صدره وفتح عليه وتكلم بكلام فصل يثلج الصدور ويحل العقد.

ومنها أن أكثر الكتب التي ألفت في الهند في شرح كتب الحديث أو في إثبات المذهب الحنفي وفي مسألة خلافية، كان يغلب عليها في العهد الأخير الأسلوب الكلامي والاستدلال العقلي، وتكثر فيها اللطائف العلمية ومع الاعتراف بقيمتها العلمية والكلامية وحسن قصد المؤلفين وعلو كعبهم في العلم يؤخذ عليها أنها لم تكن على طريقة المحدثين وشراح الحديث المتقدمين، ويقل فيها الكلام على الرواة والجرح والتعديل وعلل الحديث وطبقته وإلى غير ذلك من المباحث الحديثية، ويستثنى من ذلك كتابان من تأليف علماء المذهب الحنفي في الهند في العهد الأخير، أولهما «كتاب المحلى شرح الموطأ» للشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام الدهلوي الرامفوري (١٢٢٩هـ أو ١٢٣٣هـ)، وثانيهما «آثار السنن[١] والتعليق الحسن على آثار السنن» للشيخ العلامة ظهير حسن النيموي البهاري الهندي (م ١٣٢٩هـ).

أما هذا الشرح فيمتاز بأنه كتب على نهج المشتغلين بالحديث والباحثين فيه وكبار الشراح الذين تلقت الأمة شروحهم بقبول عام وانتفع بها طلبة العلم في كل عصر، واشتمل على بحوث قيمة في أسماء الرجال وأصول الحديث، وعارض مؤلفه الحجة بالحجة، وكان كلامه في أكثر الأحيان محدوداً في صناعة الحديث ومتعلقاتها من الفنون.

وقد استفاد المؤلف في هذا الشرح بتحقيقات شيخه الإمام المحدث مولانا رشيد أحمد الكنكوهي التي جاءت في دروسه، وضبطها وقيدها تلميذه النابغة الشيخ محمد يحيى، وكان من خصائصه أنه يتحرز بقدر الإمكان عن نسبة الخطأ إلى الراوي، وإذا التجأ إليه الشراح ولم يروا من ذلك بدأً فضل الشيخ العلامة تأويل ذلك بما يسيغه الفهم ويقبله العاقل المنصف، ومثل ذلك الروايات التي جاء فيها وضع الخاتم، فقد ذهب جميع المحدثين إلى أنه وهم من الزهري، ولكن مؤلف «بذل المجهود» أول ذلك تأويلاً حسناً وهو مقتبس من كلام الشيخ الكنكوهي، فليراجع ذلك في «باب الخاتم يكون فيه ذكر الله تعالى» في كتاب الطهارة.

ومنها لطائف الاستنباط التي احتوى عليها هذا الشرح ويراها القارئ منثورة في ثنايا هذا الكتاب.

---

(١) مع الأسف أن الكتاب من أول أبواب الطهارة إلى آخر أبواب الصلاة ولو تم لكان عملاً جليلاً.

www.abulhasanalinadwi.org

ومن المباحث اللطيفة التي ظهرت فيها سلامة فكر المؤلف واطلاعه الواسع على كتب الحديث مسألة القسامة ويزول بكلامه اختلاف الروايات.

وكذلك من محاسن الكتاب ومن مواضعه المهمة التي ظهر فيها جهد المؤلف وإمعانه أحاديث الفتن والملاحم، وقد اجتهد في تعيين هذه الفتن التي أشير إليها في هذه الأحاديث، واهتم بترجيح الراجح وعين بعضها باجتهاده واستقصائه ويرى القارئ مثاله في شرح كلام قتادة حيث جاء في الكتاب: «وكان قتادة يضعه على الردة التي في زمن أبي بكر على أقذاء، يقول قذى وهدنة، يقول صلح على دخن على ضغائن».

وقد أشار في شرح حديث إلى فتنة الشريف حسين بن علي، فليراجع ذلك في حديث عبد الله بن عمر الذي جاء فيه «ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع»[1]. وذكر ذلك في تفصيل ووضوح ويظهر في كلامه في مثل هذه المناسبات ثقته بتحقيقه وجزمه بما توصل إليه في البحث والتأمل، ولا يغلب عليه التواضع والتردد فيبعث هذا الجزم الثقة واليقين في نفس القارئ، وهذا من سياسة التعليم وحكمة التربية ومن محاسن الشرح.

وقد يتردد الشارح في صحة لفظ ورد في حديث، فيجتهد في تحقيقه اجتهاداً بالغاً ولا يدخر جهداً، ويرى القارئ نموذج ذلك في «باب عبيد المشركين يلحقون بالمسلمين فيسلمون» في كتاب الجهاد، فقد ورد في متن الحديث عن علي بن أبي طالب قال: خرج عبدان إلى رسول الله ﷺ يعني يوم الحديبية قبل الصلح وقد أطال الشارح الكلام في وقوع القصة يوم الحديبية، وأثبت أن هذه القصة وقعت في غزوة الطائف وقال: لقد تحيرت في هذه القصة التي قد وقعت في حديث أبي داود والترمذي والمستدرك في الحديبية، فالظاهر أن الذي ذكر في أنها وقعت في الحديبية غلط من بعض الرواة بثلاثة أوجه.

وذكر هذه الأوجه بتفصيل، وذكر أن لفظ الحديبية ليس من علي بن أبي طالب بل من بعض الرواة، لأن في لفظ الرواية لأبي داود زاد لفظ «يعني قبل يوم الحديبية» فهذا يدل على أن لفظ الحديبية ليس في أصل السند بل زاده بعض الرواة على ما فهم من لفظ شيخه، ولو سلم أن هذه القصة وقعت في الحديبية أيضاً فالمراد بقوله ناس من بعض الكفار من قريش الذين كانوا موجودين هناك لا الصحابة، إلى آخر كلامه، فليراجع،

(١) بذل المجهود «كتاب الفتن والملاحم».

www.abulhasanalinadwi.org

وهذا تحقيق شريف خلت عنه الشروح.

ونقتصر في هذه العجالة على هذه الإشارات، ونحيل القارئ الذكي إلى مطالعة أصل الكتاب بإنعام النظر، فكما قال الشاعر:

في طلعة الصبح ما يغنيك عن زحل

ونرى لزاماً وحقاً علينا أن نشكر تلاميذ الشيخ العلامة مولانا محمد زكريا الكاندهلوي الذين عكفوا على خدمة هذا الكتاب، بالمراجعة مع الأصول وانتساخ التعليقات ووضعها في محلها وغير ذلك، في مقدمتهم الشيخ تقي الدين الندوي المظاهري أستاذ الحديث في مدرسة فلاح الدارين بتركيسر (ولاية كجرات)، فقد فرغ وقته لخدمة هذا الكتاب وعكف عليها سنة كاملة، والعالمان الشابان محمد عاقل، ومحمد سلمان، ولا ننسى فضل الزميلين العزيزين الشيخ محمد معين الندوي والأستاذ سعيد الأعظمي الندوي في فكرة طبع هذا الكتاب، وإبرازه في هذا المظهر الجميل وما ذللا في طريق نشره من الصعاب وما وقفا له من مجهود مشكور وعمل مبرور، وإخلاص موفور، والله يتولى مكافأة الجميع، ويتقبل عملهم.

ونسأل الله أن ينفع بهذا الأثر العلمي الجليل ويحبب به السنة والحديث إلى نفوس القراء ويلهم العمل به، ويرفع الهمم ويشحذ العزائم إلى دراسته وخدمته ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

الأمين العام لندوة العلماء لكناؤ ـ الهند

٢٥/ ٢/ ١٣٩٢هـ

www.abulhasanalinadwi.org

تهذيب الأخلاق

تأليف

العلامة عبد الحي فخر الدين الحسني

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، محمد الطاهر الطيب الصادق الأمين ، وآله وأصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد ذكر الله تعالى مقاصد البعثة المحمدية الرئيسية الأولى ، وفوائدها الأساسية الكبرى ، في نسق واحد في أربع آيات من القرآن الحكيم ؛ فذكر دعاء خليله إبراهيم ـ وهو جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومؤسس الملة الحنيفية ، وعلى يده تم بناء البيت ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] .

وذكرها في نسق واحد في معرض المن والتذكير بالنعم فقال : ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١ ـ ١٥٢] .

وذكرها بهذا الأسلوب ، وهو يذكر عظيم نعمته ... على الأمة التي بعث فيها

www.abulhasanalinadwi.org

الرسول وكبير منته عليها ، فقال : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

وذكرها مقرونة مجموعة كذلك في سورة الجمعة ، وذكر العرب الذين سعدوا بهذه البعثة أولا ، وظهرت فيهم آثارها الطيبة المباركة ثم لحق بهم العجم ، وسعد بها العالم، وستبقى على العصور ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ، تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: من الآية٢٤ ـ ٢٥] وقد جاءت في هذه الآية الكريمة بداية هذه النعمة وامتدادها ، واتساعها ، وانتقالها من بلد إلى بلد ، ومن جيل إلى جيل ، ومن عصر إلى عصر ، وذكر خلود هذه النعمة وبقاءها ، ولأن فضل الله لانهاية له ولا تحديد فيه ، فلكل عصر نصيب ، ولكل جيل فيه حظ [1] (عطاء غير منقوص) وبهذه الزيادة والتفصيل أصبحت هذه الآية متممة للآيات السابقة ، وهو قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢ـ٤].

فكان (١) التلاوة ، وكان (٢) تعليم الكتاب ، و(٣) تعليم الحكمة و(٤) تزكية النفوس من المقاصد الأولى التي كانت لها البعثة ، وهي أركان هذه الدعوة الأربعة ، والمظاهر الكبرى التي تجلّت فيها معجزة هذه النبوة الإصلاحية والتربوية ، وكل ماعداها من تقنين وتشريع ، وأحكام وفروع ، وحكم وجهاد ، فهو من توابع هذه المقاصد وذيولها ، ولوازمها ومتمماتها .

ومهمة تهذيب الأخلاق ، وتزكية النفوس تشغل مكاناً كبيراً في دائرة هذه الدعوة النبوية ، ومقاصد البعثة المحمدية ، وفي القرآن ما يدل على أن الأخلاق الفاضلة

(١) روى ابن أبي حاتم بسنده عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ: إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ، ثم قرأ (وآخرين منهم) الخ . ورواه الطبراني وابن مردوية مرفوعاً . كذا في " الدر المنثور " ٦/ ٢١٥ ، ونقل ابن جرير عن مجاهد وزيد قالا : إنما عنى بذلك جميع من دخل في الإسلام من بعد النبي ﷺ كائنا من كان إلى يوم القيامة .

www.abulhasanalinadwi.org

والآداب الإسلامية هي من أهم مظاهر الحكمة ، فإن القرآن قد أطلق لفظ الحكمة على هذه الأخلاق والآداب في عدة مواضع ، وقد ذكر في سورة الإسراء التعاليم الخلقية الأساسية في موضع واحد ، اقرأ قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: من الآية٢٣] إلى قوله : ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨] وهي خمس عشرة آية ، فيها النهي عن الشرك ، والأمر بالإحسان إلى الوالدين ، وخفض الجناح لهما ، وإيتاء ذي القربى ، والمسكين ، وابن السبيل ، والنهي عن التبذير ، والأمر بالتلطف لهم بالقول ، والنهي عن الإفراط والتفريط ، والنهي عن قتل الأولاد ، وعن الزنا ، وعن قتل النفس إلا بحقها ، وعن الإسراف في القصاص ، والنهي عن أكل مال اليتيم إلا بالحق ، والأمر بالإيفاء بالعهد ، وإيفاء الكيل والميزان ، والنهي عن التبختر والمرح الزائد، وبعد ما انتهى من ذكر هذه التعاليم الخلقية ، التي تلتقي عليها الأديان والأمم ، والفطر المستقيمة ، والعقول السليمة ، من أول العصر إلى آخره ، ختمها بقوله : ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: من الآية٣٩] .

وكذلك شأن القرآن في سورة لقمان ، إلا أنها كانت نهاية في سورة الإسراء ، وكانت بداية في سورة لقمان ، فقال قبل أن يذكر تعاليم لقمان الخلقية ، من نهي عن الشرك ، ومعرفة الفضل للوالدين ، وطاعتهما في المعروف ، واتباع سبيل من أناب: مراقبة الله في صغير وكبير ، وإقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على المصائب ، وعدم احتقار الناس ، والخيلاء والكبرياء ، والأمر بالاقتصاد في كل شيء ،والقصد في المشي ، والغض من الصوت ، اقرأ قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[لقمان: ١٩]

افتتح كل ذلك بقوله : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢]

فدل على أن كل ما نطق به لقمان ، وصدر عنه من التعاليم الخلقية ، والوصايا الحكيمة ، إنما نبعت عن هذه الحكمة التي أكرم الله بها لقمان ، وخصه بها بين الأقران، ويرجع الفضل فيها إلى هذه الموهبة الربانية والأخلاق الفاضلة التي فطر عليها وتخلق بها و وفّق لها ، لذلك قال في صلب هذه الآية بعد ما ذكر إيتاء هذه الحكمة : (أَنِ اشْكُرْ لله وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ حَمِيد) .

www.abulhasanalinadwi.org

وكذلك جاءت كلمة الحكمة في سياق الأخلاق الفاضلة والصفات الكريمة الطيبة ، من إنفاق الأموال في سبيل الله ، ثم عدم إتباعه بالمن والأذى ، والحث على القول بالمعروف والمغفرة ، والتحرز من الرياء ، والكفر بالله ، والإشفاق من بطلان الصدقات وحبط الحسنات ، والحرص على ابتغاء رضوان الله ، وإصلاح النفس واستقامتها ، والإنفاق من طيبات الأموال ، وعدم تيمم الخبيث والنهي عن الخوف الشديد من الفقر ، والاسترسال إلى الشيطان ، اقرأ قوله تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : من الآية ٢٦١] إلى قوله تعالى : ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة : ٢٦٨] ختم كل ذلك بقوله : ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

فدل كل ذلك على أن الحكمة في اصطلاح القرآن وتعبيره ، لها صلة عميقة وثيقة بالأخلاق[١] فإذا لم تكن أخلاق لم تكن حكمة ، وإذا لم تكن حكمة لم تكن أخلاق ، وإذا تقرر ذلك ، فتعليم الأخلاق الفاضلة ، وتهذيب النفوس وتزكية الأرواح ـ ولا يتم ذلك إلا بتصحيح العقائد والتطهر من دنس الشرك والجاهلية ،والتحلي بالعلم الصحيح ـ يحتل مكاناً كبيراً في مهمة النبوة المقدسة ، ويشكل مقصداً كبيراً من مقاصد البعثة الرئيسية ، وقد دخل ذلك في تعليم الحكمة وفي التزكية .

وقد ذكر النبي ـ ﷺ ـ هذا الفرض العظيم الذي كانت له البعثة بكلمة الحصر ، فقال : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " [٢] وقد كان خير مثال له ، وأفضل أسوة فيه ، فقد قال القرآن : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] وسئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن خلقه ـ ﷺ ـ فقالت : " كان خلقه القرآن " [٣] ولذلك دعا الله إلى اتباعه ، واتخاذه أسوة دائمة كاملة ، فقال : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب : ٢١] وقال : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران : ٣١] .

---

(١) انتبهنا لهذه النكتة بحديث لأستاذنا العلامة السيد سليمان الندوى ، كان يتكلم فيه عن معنى الحكمة في القرآن ـ رحمه الله تعالى وأثابه .

(٢) رواه مالك في "الموطأ" بلاغا عن النبي ﷺ ، وقال ابن عبد البر : هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره ، وقد رواه الامام أحمد في " المسند " بسند صحيح عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " .

(٣) رواه الامام مسلم في صحيحه من حديث عائشة بطوله .

www.abulhasanalinadwi.org

وكانت هذه " الحكمة " والتزكية " من أعظم ثمرات الصحبة النبوية ومجالسته ـ ﷺ ـ وعشرته ، فنشأ في أحضانه جيل تحلى بأفضل الأخلاق ، وأكرم الصفات وتجرد عن رذائل الأخلاق ، ومهلكات العادات ، وذمائم الصفات ، وغوائل النفوس ، وبقايا الجاهلية ، ومغالطات الشيطان ، وقد شهد القرآن باستقامة قلوبهم ، وصلاح نفوسهم ، ووصولهم إلى ذروة تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس ، فقال : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧ ـ ٨] وشهد لهم رسول الله ـ ﷺ ـ بقوله : " خير الناس قرني " (١) وفي رواية : " خير أمتي قرني " (٢) و شهد لهم أحد رفاقهم بقوله البليغ الوجيز : " أبر الناس قلوباً ، وأعمقهم علماً ، وأقلهم تكلفاً " (٣) ، وشهد لهم أحد أعدائهم ، فقال : " هم فرسان بالنهار ، رهبان بالليل ، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربوا حتى يأتوا عليه " (٤) وقال الآخر : " إنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم " (٥) .

وزخر تاريخ الإسلام وتاريخ الإنسانية بأخبار مكارم أخلاقهم ، وفضائل أعمالهم ، وحكاياتهم الجميلة في حسن السيرة ، وكرم الأخلاق ، وشدة الخوف من الله ، والزهد في الدنيا ، وإيثار الآخرة على العاجلة ، وإيثار من سواهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وأداء الأمانات إلى أهلها ، والشهادة بالحق ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين ، والإنصاف من النفس ، والانتصار للحق ، والغضب لله ولرسوله ، والحب في الله ، والبغض في الله ، والرحمة على الخلق والضعفاء ، وحسن المواساة وشدة المساواة ، والتزام الحق والعدل في كل أمر ، والتوسط والاقتصاد في كل شيء ، إلى غير ذلك من الأخلاق النبيلة ، والصفات الجميلة ، التي يندر اجتماعها في فرد واحد ، وفي جيل واحد ، وقد أصبح كل ذلك خبراً متواتراً أذعن له المسلمون وغير المسلمين .

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه البخارى أيضاً .
(٣) هو عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل .
(٤) قو ل أسير رومي في وصف المسلمين أمام هرقل ، البداية والنهاية ج ٧ ، ص ٥٢ .
(٥) البداية والنهاية أيضاً .

www.abulhasanalinadwi.org

والفضل في كل ذلك يرجع إلى التعليم النبوي ، و " التزكية " التي نوه بها القرآن والتزم ذكرها في مقاصد البعثة وفوائدها ، فلم يكن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلّا زرع الإسلام ، وغرس النبوة ، وصنائع التربية النبوية ، والتزكية المحمدية ، ولسان حالهم ينشد :

صنائع فاق صانعها ففاقت وغرس طاب غارسه فطابا

وكنا كالسهام إذا أصابت مراميها فراميها أصابا[1]

ولما انقطعت هذه الصحبة الكريمة ، ولحق الرسول بالرفيق الأعلى ـ سنة الله في خلقه ـ كان الحديث النبوي يقوم مقام هذه الصحبة ، إن كان شيء يقوم مقامها ويملأ هذا الفراغ الذي وقع في حياة المسلمين ، وفي مهمة الإصلاح والتربية ، إن كان شيء يملأ هذا الفراغ ، فكان ذلك أهم موضوع هذا العلم الشريف ، وأكبر غاياته ورسالاته ، يجدد المشتغلون به إيمانهم ، ويحيون به قلوبهم ، ويزكون به نفوسهم ، ويقيمون به عوجها ، ويصلحون به فاسدها ، ويشفون به عليلها ، فكان هو العلم الديني ، والطب النبوي ، وكان هو " الفقه " و" الحكمة " وكان هو الأستاذ والمعلم ، والمربي والمؤدب في آن واحد ، لا يحتاجون معه إلى علم آخر لتثقيف عقولهم ، ولتهذيب أخلاقهم ، وللتفقه في الدين ، والوصول إلى درجات " الإحسان " واليقين .

ثم بدأ علم الحديث يقتصر على علم الأحكام على مر الزمان وبتأثير العوامل الطبيعية ، والاجتماعية والتشريعية ، ولأنه أصل من أصول الفقه ، ومصدر من مصادر التشريع الإسلامي ، ولانصراف المجتمع الإسلامي إلى التفريعات الفقهية ، والاستنباطات القضائية ، بحكم الضرورة ولظهور الخلاف في آراء الفقهاء ، وحدوث المذاهب الفقهية ، وكان كل ذلك طبيعياً ومعقولا ، فغلب الجانب الفقهي والجدلي على الجانب الخلقي والتربوي في تدوين الحديث ، وفي تدريسه وفي شرحه ، وجميع مجالات الاعتناء به ، وأصبح شغل المحدثين الشاغل ، وموضوعه الحبيب الأثير ، وشعار المعلمين والمؤلفين ، يدورون حوله ، ويتفاخرون به ، ويتنافسون فيه ، ويجاهدون في سبيله ، فكان ذلك طبيعياً ومعقولا أيضاً واقتضته طبيعة الأشياء ، واختلاف الزمان ، ومنطق الضرورة ، وهنالك لجأ كثير ممن يطلب درجة الإحسان واليقين ، ويعتني بتهذيب الأخلاق وتزكية النفس إلى علم آخر[2] وإلى رجال آخرين[3]

---

(١) البيتان لأبي فراس الحمداني .

(٢) كالتصوف.

(٣) ككثير من العلماء الربانيين من غير المحدثين .

www.abulhasanalinadwi.org

ليشفوا غليلهم ، وليملؤوا قلوبهم ، ويقضوا حاجة في نفوسهم .

إلا أن كثيرا من المحدثين الكبار قد شعروا بحاجة المسلمين و طلبة علوم الدين، والباحثين عن الحقيقة إلى مجموع في الحديث النبوي، يعتمد عليه و يقتصر به في تهذيب الأخلاق و تزكية النفس، و اكتساب الفضائل، و معالجة الرذائل، و الوصول إلى درجة الإحسان و اليقين و الانخراط في سلك الصادقين المخلصين، فألفوا كتبا لهذا المقصود بين صغير و كبير، و مشهور و مستور، اشتهر من بينها ثلاثة كتب نالت قبولا عظيما، واعتنى بها علماء هذا الشأن قديما و حديثا، أحدها: كتاب "الأدب المفرد" لأمير المؤمنين في الحديث الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) صاحب "الجامع الصحيح" المشهور باسمه، و الثاني: كتاب " الترغيب و الترهيب" للحافظ الكبير زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي أبي محمد المنذري الدمشقي (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ) ، و الثالث: "رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين" للإمام الحافظ الفقيه أبي زكريا محي الدين يحي النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ) شارح صحيح مسلم و مؤلف الكتب الجليلة في الحديث و الرجال.

أما كتاب " الأدب المفرد" فهو كما يدل عليه اسمه يدور حول الأدب و الأخلاق، ولم ينل حظه من العناية و الإقبال على جلالة شأن مؤلفه ، و لم يقرر للتدريس، و لم يخدم(١) خدمة لائقة به و تأخر طبعه إلى زمن متأخر(٢).

و أما كتاب "رياض الصالحين" فمع أنه يلوح عليه أثر القبول ـ كمعظم مؤلفات الإمام النووي ـ فقد كان الاعتناء بهذا الكتاب أخيرا ، فأعيد طبعه مرارا، و قرر تدريسه في كثير من المدارس الدينية(٣)، و عني به العاملون في حقل الدعوة و الإصلاح و التربية، و انتشر انتشارا كبيرا إلا أنه كبير الحجم عالي المستوى بالنسبة إلى صغار المتعلمين في المدارس.

---

(١) لانعلم له شرحا إلا لصديقنا الفاضل الشيخ فضل الله الرحماني بن أحمد علي ابن محمد علي المونكيري، أستاذ الجامعة العثمانية سابقا (حيدرآباد) أسماه" فضل الله الصمد في شرح الأدب المتفرد".

(٢) ظهرت أول طبعة له في بلدة " آرا" بالهند سنة ١٣٠٦هـ و تلتها طبعة القسطنطينية سنة ١٣٠٩هـ و طبع في القاهرة سنة ١٣٤٩هـ.

(٣) و كانت دار العلوم ندوة العلماء في طليعة المدارس التي قررت تدريسه.

www.abulhasanalinadwi.org

وكان رجال التعليم والتربية والمعنيون بإصلاح الشباب وأبناء المدارس الدينية يشعرون بحاجة إلى كتاب صغير الحجم ، خفيف الحمل سهل الأسلوب ، اقتصر فيه مؤلفه على المواضيع الهامة العملية ، واستخرج من كنوز الكتاب والسنة ودواوين الحديث ما تشتد إليه الحاجة ويسهل العمل به ، ويعم نفعه ، ويكون أساساً ونبراساً للطالب الشاب ، ومرشداً له في الحياة ،وحاثاً له على الطاعات والخيرات ، محذراً عن رذائل الأخلاق وذمائم الصفات ، مهيئاً لنفسه وثقافته لورود هذا المشرع الصافي والنهل من العباب الزاخر ، ومقدمة للكتب التي سيدرسها بعد في هذا الموضوع .

وقد كنت أعرف بحكم صلتي النسبية ، وكثرة اشتغالي بآثار والدي العلمية أن السيد الوالد مولانا عبد الحي الحسني قد ألف كتابا صغيرا في هذا الموضوع ، أسماه "تلخيص الأخبار " وشرحه في عدة كراريس أسماه " منتهى الأفكار في شرح تلخيص الأخبار " وكنت أعرف شغفه بالحديث النبوي ، واجتهاده في تحصيله من أئمة هذا الفن، وتميزه في هذا العلم بين أقرانه ، وعلو كعبه فيه ، ولكن اشتغالي بنشر كتبه في التاريخ والتراجم كـ "نزهة الخواطر" و "الثقافة الإسلامية في الهند " و "الهند في العهد الإسلامي " ، صرفني عن الاعتناء بهذا الكتاب وإبرازه للناس ، ولما رأيت اهتمام بعض رجال التعليم ، وأولياء المدارس بكتاب متوسط يسهل تدريسه ، عنيت بهذا الكتاب واستخرجته من بين مؤلفاته ومخطوطاته ، وقرأته قراءة تأمل وإمعان ، فوجدته كتابا قيما على صغر حجمه ، قد اقتصر فيه المؤلف على الأحاديث الصحاح من الكتب الستة ، وكان أكثر إيراده لأحاديث " الصحيحين " ، وقد تجلى فيه حسن اختيار المؤلف ، كسائر كتبه ، وسلامة ذوقه ، ورحابة صدره في الترجيح والاختيار وبعده عن التعصب ، ومعرفته لروح عصره ومدارك الطالبين في المعاهد الدينية ، لأنه اشتغل بالتدريس زمنا في دار العلوم لندوة العلماء في عهدها الأول ، وقضى مدة مديرا لندوة العلماء ، ومشرفا على التعليم في دار العلوم التابعة لها ، وقد علق حواشي بقلمه على هذا الكتاب ، واعتنى بحل الغريب وإيضاح معنى الحديث وبيان مقاصده في المواضيع التي اقتضته ، فجاء الكتاب قائما بنفسه ، وافيا بالغرض ، مطابقا لروح العصر والمستوى العلمي في مراحل التعليم الأولى .

لذلك صحت عزيمتنا على نشر هذا الأثر الديني العلمي ، ففيه إسعاف بحاجة المدارس ، وإسهام في نشر الحديث ، وبر بالوالد ، وأداء لبعض حقوقه ، ولعلنا بذلك وبإضافة للكتب التي ألفت في هذا الموضوع وعلى هذا النهج نسهم في توجيه تعليم

www.abulhasanalinadwi.org

الحديث النبوي إلى الغاية التي كانت من أهم مقاصد البعثة ، وهي تزكية النفس وتهذيب الأخلاق ، والاجتهاد للوصول إلى درجة الإحسان وإعطائها قسطها من العناية والاهتمام ، نسأل الله أن ينفع به طلبة الدين ، وعامة المسلمين ، وجعله ذخرا للمؤلف، وعملا صالحا لمن سعى فيه واعتنى به .

وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين .

١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٢ هـ

يوم الجمعة ، دار العلوم ندوة العلماء

لكهنؤ ـ الهند

www.abulhasanalinadwi.org

الإمام البخاري

سيد الحفاظ والمحدثين

١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ

تاليف

تقي الدين الندوي المظاهري

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري من الكتب التي هبت عليها نفحة القبول والخلود ، واعتنت به الأمة اعتناءً يندر نظيره في تاريخ العلم والتأليف في العصور الإسلامية ، ومؤلفه أمير المؤمنين في الحديث ومن أعلام الأمة الذين غرس الله حبهم في القلوب والنفوس ، وسخر الأقلام والمواهب العلمية والطاقات البشرية لتسجيل مآثره ، وتخليد آثاره ، وذلك كله لشدة إخلاص الإمام وتفانيه في حفظ الحديث ونشره ، وعلو همته في ذلك وجهاده في سبيله ، وهو من معاني التنضير الذي دعا به رسول الله ﷺ للمعتنين بأقواله ، وكلامه ولوازمه وأبعاده ، فقد قال: " نضر الله امرءا سمع منا شيئا ، فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من

www.abulhasanalinadwi.org

سامع"[1]، ومن كان نصيبه في هذا الوعي والنشر أكثر كان نصيبه من النضارة والبركة وبقاء الذكر واعتناء الناس بأحواله وآثاره وحبهم له أكثر وأعظم ، فالجزاء من جنس العمل .

وقد ألف الناس ـ قديما وحديثا ـ في سيرة الإمام البخاري وأخباره ، ومكانته في علم الحديث وخدمته له ، والتعريف بالجامع الصحيح ومكانته وما يمتاز به بين الكتب الست ، فضلا عن كتب الحديث ودواوين السنة ، وشروط المؤلف والتزاماته ولطائفه ، حتى تكونت من ذلك مكتبة يصعب استعراضها ، ولكل عصر أسلوبه وحكمه ومقاييسه ، وقد كان ذلك في عصور سمت فيها همة المشتغلين بهذا العلم الشريف ، ودقت فهومهم ، ونفقت فيها سوقه ، وراجت بضاعته حتى غلبت على كل علم وفن ، وجزى الله كل من ألف في هذا الموضوع لأبناء عصره وتوسع فيه ، فكان عصره يطلب ذلك ولا يقتنع بأقل منه .

ولما كان هذا العصر عصر السرعة والاختصار ، بل الاقتصار ، قد تقاصرت فيه الهمم وكثرت الشواغل ، وزهد الناس في الكتب الضخمة التي هي أشبه بالموسوعات ؛ مست الحاجة إلى كتاب متوسط أو وجيز يحتوي على المهمات في هذا الموضوع ، وخلاصة ما جاء في الكتب القديمة ، وإبراز جوانب تفيد الشباب المشتغلين بالعلم أكثر ، ولا تزهدهم في مطالعة الكتاب ولا يقدر على ذلك إلا من مارس صناعة الحديث واشتغل بتدريسه مدة ، وصحب الشيوخ الأجلاء ، وتذوق أسلوب العصر الحديث وألم بحاجة العصر .

وصاحب هذا الكتاب الذي هو بين يدي القراء فضيلة الشيخ تقي الدين الندوي من العلماء الذين يجدرون بالتأليف في هذا الموضوع ، فقد درس الجامع الصحيح مدة في دور العلم الكبيرة في الهند ، وألف كتبا في تاريخ علم الحديث وطبقات المحدثين وعلم الرجال ، واشتغل بالبحث والتأليف ، فقد أحسن بتأليف هذا الكتاب إلى الجيل الجديد الذي هو في حاجة إلى الاطلاع على آثار السلف وجهودهم ، ومدى إخلاصهم وجهادهم ، وعلوهمتهم وعلو كعبهم في العلوم ، وسمو نظرهم وزهدهم في زخارف هذه الحياة ومتعها ، وعكوفهم على موضوعهم وانصرافهم إليه بالكلية ، وصبرهم وتناسيهم لكل ما يستهوي ويغري ، وهو بذلك يستحق شكر كل من يريد لهذه الأمة الخير، ولهذا الجيل الرشاد والسداد .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

حرره في المدينة المنورة في ١/ ٥/ ١٣٩٦ هـ

(١) رواه الترمذي .

www.abulhasanalinadwi.org

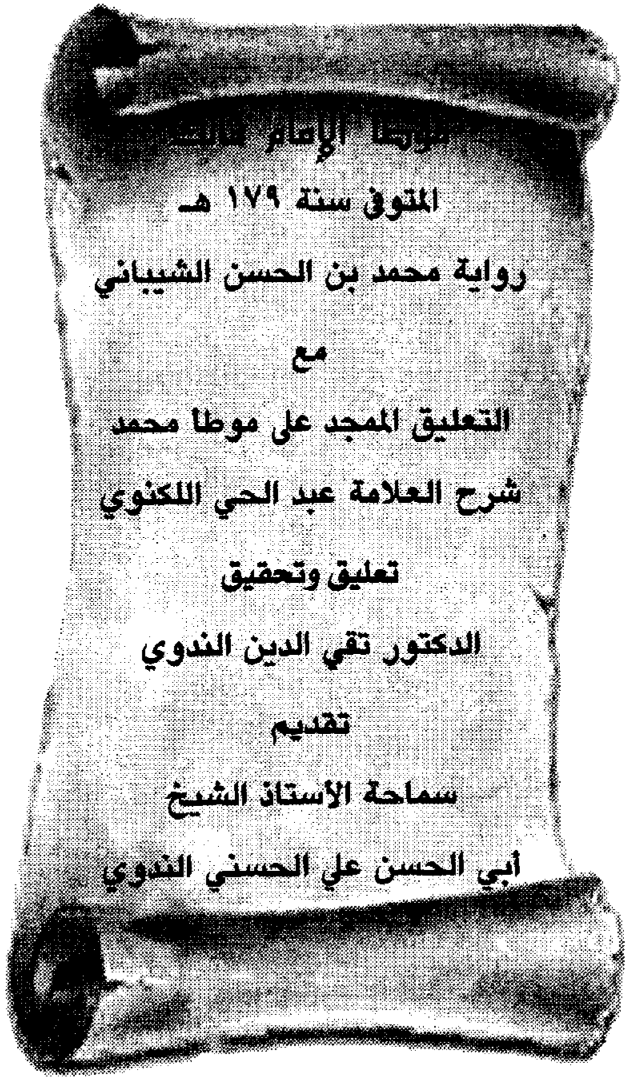

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد . فأبدأ هذا التقديم المتواضع لكتاب ((التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد)) ، للإمام أبي الحسنات عبد الحي اللكنوي رحمه الله تعالى ، تحقيق وإخراج أخينا الفاضل فضيلة الشيخ الدكتور تقي الدين الندوي ، بما قاله حكيم الإسلام الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي (١١١٤هـ ـ ١١٧٦ هـ) ، في مقدمة كتابه ((المصفى شرح الموطأ)) ، بالفارسية ما معناه بالعربية ، قال : ـ بعد ما

www.abulhasanalinadwi.org

ذكر حيرته بسبب اختلاف مذاهب الفقهاء وكثرة أحزاب العلماء وتجاذبهم كل واحد عن الآخر إلى جانب ـ قال رحمه الله :

((ألهمت الإشارة إلى كتاب ((الموطأ)) تأليف الإمام الهمام حجة الإسلام مالك ابن أنس ، وعظم ذلك الخاطر رويداً فرويداً ، وتيقنت أنه لا يوجد الآن كتاب ما في الفقه أقوى من موطأ الإمام مالك ، لأن الكتب تتفاضل فيما بينها : إما من جهة فضل المصنف ، أو من جهة التزام الصحة ، أو من جهة شهرة أحاديث ، أو من جهة القبول لها من عامة المسلمين ، أو من جهة حُسن الترتيب واستيعاب المقاصد المهمة أو نحوها ، وهذه الأمور كلها موجودة في الموطأ على وجه الكمال بالنسبة إلى جميع الكتب الموجودة على وجه الأرض[١])) .

ومن كلامه فيه في نفس مقدمة ((المصفى)) : ((لقد انشرح صدري وحصل لي اليقين بأن الموطأ أصح كتاب يوجد على وجه الأرض بعد كتاب الله ، كذلك تيقنت أن طريق الاجتهاد وتحصيل الفقه (بمعنى معرفة أحكام الشريعة من أدلتها التفصيلية) مسدود اليوم (على من رام التحقيق) إلا من وجه واحد ، وهو أن يجعل المحقق الموطأ نصب عينيه ويجتهد في وصل مراسيله ومعرفة مآخذ أقوال الصحابة والتابعين (بتتبع كتب أئمة المحدثين) ، ثم يسلك طريق الفقهاء المجتهدين (في المذاهب) من تحديد مفهوم الألفاظ ، وتطبيق الدلائل ، وتبيين الركن والشرط والآداب ، واستخلاص القواعد الكلية الجامعة المانعة ، ومعرفة علل الأحكام وتعميمها وتحقيقها ، وفقاً لعموم العلة وخصوصها ، وأمثال ذلك ، ويجتهد في فَهْم تعقبات الإمام الشافعي وغيره (كتعقبات الإمام محمد في موطئه ، وكتاب الحجج) ، ثم يجتهد في تطبيق المختلفات أو ترجيح الأحسن منها ، ويتمكن من تحصيل اليقين بدلالة الدلائل على تلك المسائل ، وبغالب الظن ، للرأي لمعرفة أحكام الله تعالى[٢])) .

أما ما يتصل بمكانة الموطأ للإمام محمد رحمه الله تعالى بالنسبة إلى موطأ مالك برواية يحيى الأندلسي الليثي المصمودي وهو المتبادر بالموطأ عند الإطلاق ، وأكب عليه العلماء في القديم والحديث بالتدريس والشرح ، فحسب القارئ ما يقوله الإمام عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي صاحب ((التعليق الممجد)) في مقدمته لهذا الكتاب :

(١) نقلاً من ((تسهيل دراية الموطأ في كتاب المسوّى شرح الموطأ)) ، إخراج دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص١٧ـ ١٨ .

(٢) المرجع السابق (ص ٢٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

(له ترجيح على الموطأ برواية يحيى وتفضيل عليه لوجوه مقبولة عند أولي الأفهام [١]) .

ثم ذكر هذه الأسباب وتوسع في عدها وشرحها [٢].

وقد كان الإمام عبد الحي اللكنوي من أقدر الناس وأجدرهم بالتعليق على موطأ الإمام محمد ، لأنه كان يجمع بين الصلة العلمية القوية بالحديث والصلة العلمية القوية بفقه المذاهب الأربعة ، وبصفة خاصة بالمذهب الحنفي ، الذي كان الإمام من أعلامه البارزين ومؤسسيه الأصيلين ، فكان بذلك يجمع بين نسب علمي معنوي قريب بصاحب الموطأ إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس ، ونسب معنوي علمي كذلك بالإمام محمد بن الحسن تلميذ الإمام مالك وصاحب الإمام أبي حنيفة ، والنسب العلمي والمعنوي ليس أقل قيمة ولا أضعف تأثيراً من النسب الجسدي الظاهر ، وبذلك استطاع أن ينصف كل الإنصاف لصاحب الكتاب الأول الإمام مالك وراويه وناقله الراشد البار الفقيه المجتهد ، والمحدث الواعي ، الإمام محمد . هذا عدا ما اتصف به من اتساع الأفق العلمي ورحابة الصدر ، وسلامة الفكر ، والذكاء النادر ، يقول سَمِيُّه العلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني (م ١٣٤١هـ) ، في كتابه المشهور : ((نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)) ، في ترجمة الإمام عبد الحي اللكنوي يحكي قوله : ((ومن مِنَحِه أنه جعلني سالكاً بين الإفراط والتفريط لا تأتي مسألة معركة الآراء بين يدي إلا أُلهمت الطريق الوسط فيها ، ولست ممن يختار التقليد البحت بحيث لا يترك قول الفقهاء وإن خَالَفَتْه الأدلة الشرعية ، ولا ممن يطعن عليهم ويحقِّر الفقه بالكلية [٣])) .

وصاحب كتاب ((نزهة الخواطر)) قد أدرك الإمام عبد الحي اللكنوي ، وحضر مجالسه أكثر من مرة ، فشهادته له شهود عيان وانطباع معاصر خبير ، يقول :

((كان متبحراً في العلوم معقولاً ومنقولاً ، مطلعاً على دقائق الشرع وغوامضه ، تبحر في العلوم ، وتحرى في نقل الأحكام ، وحرر المسائل وانفرد في الهند بعلم الفتوى ، فسارت بذكره الركبان ، بحيث إن كل علماء إقليم يشيرون إلى جلالته ، وله في الأصول والفروع قوة كاملة وقدرة شاملة ، وفضيلة تامة وإحاطة عامة ... والحاصل أنه كان من عجائب الزمن ومن محاسن الهند ، وكان الثناء عليه كلمة إجماع ،

(١) التعليق الممجد ، (ص ٣٥) ، طبع المطبع المصطفائي ، ١٢٩٧ م .
(٢) يُرجع إلى البحث في المقدمة ، (ص ٣٥ إلى ٤٠) .
(٣) نزهة الخواطر (٨/ ٢٣٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

والاعتراف بفضله ليس فيه نزاع [١])) .

و ((التعليق الممجد)) للإمام عبد الحي اللكنوي ، يمثل ما وصف به من الجمع بين إتقانه صناعة الحديث والاطلاع على مراجعه ، وبين المعرفة الدقيقة الواسعة بالمذاهب الفقهية ، ثم ما اتصف به من سعة الصدر مع سعة العلم وإعطاء الحديث حقه من الإجلال والترجيح ، والفقه من التقدير والاهتمام ، والخروج من كل ذلك بكلام متزن مقتصد لا إفراط فيه ولا تفريط .

وقد اتفق لكاتب هذه السطور الاطلاع على هذا الكتاب أيام طلبه لعلم الحديث وأيام التدريس ، فأُعجب بسلامة فكره ورحابة صدره .

وقد كان هذا الكتاب ((التعليق الممجد)) في حاجة إلى أن يتناوله أحد المتوفِّرين على دراسة الحديث الشريف وتدريسه ، بالعناية به تعليقاً وتصحيحاً ، ونشره بالحروف العربية الحديثة حتى تتيسر قراءته لمن اعتاد ذلك من العلماء في العالم العربي ، فقد كان كتابه بالخط الفارسي مطبوعاً كل مرة على الحجر ، غير واضح وغير شائق للمشتغلين بالحديث والفقه من العلماء الشباب والكهول والشيوخ في الشرق العربي .

وقد وُفِّق لذلك أخونا العزيز فضيلة الشيخ الدكتور تقي الدين الندوي أستاذ الحديث بجامعة الإمارات العربية المتحدة ، وعُني بتصحيح نُسخ الكتاب والتعليق على مواضع كثيرة من الكتاب ، والرجوع إلى المصادر التي نقل منها المؤلف عند التردد ، ووضع الفهرس العام للكتاب ، وقام بذلك بعمل علمي جليل وإحياء مأثرة من مآثر عالم مخلص رباني ، خادم العلوم الدينية وناشرها في ربوع الهند ، ومؤلف كتب يبلغ عددها إلى مائة وعشرة (١١٠) كتب ، منها (٨٦) كتاباً بالعربية ، فاستحق بذلك الأخ العزيز الفاضل شكر المقدرين لكتاب الموطأ ، والمشتغلين بعلم الحديث والفقه ، وثناء الجميع وتقديرهم ، تقبل الله عمله ونفع به الداني والقاصي .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

١٥/ من ذي الحجة الحرام سنة ١٤٠٩هـ

دار العلوم ندوة العلماء ـ الهند

---

(١) نزهة الخواطر (٨/ ٢٣٤. ٢٣٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله و صحبه أجمعين و من تبعهم بإحسان و دعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

فقد كان لكاتب هذه السطور بحكم صلته النسبية المباشرة ـ وهو صلة الولد بالوالد ـ و كثرة اشتغاله بآثار والده العلمية ، الاطلاع على كتابه الذي أسماه " بتلخيص الأخبار " ، و كان مطموراً مغمورا في مؤلفاته المتنوعة العديدة ، كثيرة الأجزاء ، كبيرة الحجم.[1]

---

(١) ككتاب " نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر " في ثمانية مجلدات كبار صدرت له طبعتان من دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ، والطبعة الثالثة باسم ـ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ـ من دار عرفات ، رائي بريلي . وكتاب " الثقافة الإسلامية في الهند " طبع المجمع العلمي بدمشق ، المسمى الآن بمجمع اللغة العربية ، وكتاب " الهند في العهد الإسلامي " طبع دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، إلى غير ذلك من كتب ورسائل في تاريخ الشعر والشعراء في الهند ، و " ياد ايام " تاريخ مقاطعة كجرات ، وغير ذلك من الرسائل الدينية والتربوية في لغة أردو ، ورسائل في الفقه والأحكام بالعربية .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد عثر في أثناء البحث والإثارة ، وتنظيم مكتبته التأليفية العامرة الغامرة ، وأوراقه ودفاتره المتناثرة المتنوعة على هذا الكنز الدفين الذي لابد أن تكون له أكبر قيمة في نظر المؤلف ، وزلفى إلى الله والرسول ، فعني باستخراجه والعناية به ، وخدمته تعليقا موجزا ، وتقديما وتعريفا بمؤلفاته ، ثم عرضه على أصحاب بعض المكتبات لطبعه ، كان الفضل الأول والسبق للمكتب الإسلامي ، في بيروت ، وقد طبعته باسم " تهذيب الأخلاق " ، الذي هو أدل على موضوعه وعنايته ، وارتضاه كاتب هذه السطور، ثم عني بطبعه ومراجعته المعنيّ بنشر آثار السلف الصالحين ، والعلماء الراسخين ، سماحة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، وطبع بأمر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، أمير دولة قطر ، وتلتها طبعة أو طبعات في الهند ، وقرر تدريسه في دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، والمدارس التابعة لها ، ومن عني لهذا الموضوع الذي هو في صميم الدعوة والتربية ، ويرجو الكاتب عناية كاتب هذه السطور بهذا التأليف للوالد وغيره من المؤلفات التاريخية والأدبية تحقيقا وتفسيرا لقوله ﷺ : " إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي "[(١)] . فإذا كان من البر حسن صلة الولد بأحبة والده ، فكيف لا يكون من البر صلة الولد بآثار والده ، ومواضع عنايته ومجهوده ، مما يتقرب به إلى الله والرسول .

فيرجو الكاتب أن تكون عناية الكاتب ، المعترف بتقصيره وتفريطه نوعا من البر بالوالد العلامة المحدث الفقيه ، المؤرخ الأديب ، المعنيّ بخدمة الدين والأمة ، والناشر بآثار السلف وأحد المؤسسين لندوة العلماء ، ومديرها الثاني .

وقد فوجىء الكاتب مفاجأة سارة تقر بها العين ، ويتسلى بها القلب أن أستاذا من أساتذة دار العلوم المتخرج منها والمدرس فيها ، والذي لم يبلغ سن الكهولة وهو الأستاذ أبو سحبان روح القدس الندوي ، المتخرج في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، قد عكف على التعليق على هذا الكتاب ، المقرر للدراسة في دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، وخدمته شرحا وإيضاحا ، وفقها ورجالا ، وغير ذلك من الفوائد الحديثية الفنية ، والإصلاحية والتربوية ، وإلى الناظر بعض خصائص هذا التعليق والتقديم والإيضاح والشرح بإيجاز واختيار الأهم :

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر و الصلة: باب فضل صلة أصدقاء الأب و الأم و نحوهما، رقم الحديث٢٥٥٢

www.abulhasanalinadwi.org

استيعاب أسماء الكتب التي ألفت في موضوعات لها اتصال بموضوع "تهذيب الأخلاق"، و الحث على فضائل الأعمال و الأدعية و الأذكار، و قد جاء في ذلك استقصاء كبير، و تتبع واسع لما ألّف في هذا الموضوع، يستحق الإعجاب و الاعتراف في المتتبعين لآثار السلف العلمية، و جهودهم، و يستدل بذلك على أهمية الموضوع و حاجات الأمة إلى هذا الجانب الخلقي الإيماني و التربوي و تزكية النفس و تحليتها في كل عصر و مصر.

و بدا للمؤلف شعور بأهمية البحث المقارن للكتب المؤلفة في هذا الموضوع قديما و حديثا.

و قد أشاد المؤلف و الشارح لهذا الكتاب بحسن ترتيب الأبواب، و ذكر أنه بديع مبتكر، و أن تراجم الأبواب و دراستها تفيد أن المؤلف يهدف بها وضع منهاج متكامل يكون بمثابة معالم رئيسية، و أبدى إعجابه بمعرفة المؤلف بصناعة الحديث، و علو كعبه فيه، و حسن اختياره، و سلامة ذوقه و معرفته لروح عصره، و مدارك الطالبين في المعاهد الدينية، كما جاء في تقديم الكتاب لكاتب هذه السطور.

وقد عُني الشارح الفاضل ـ الذي لايزال في شرخ الشباب وفي زحمة متنوعة من المواد التدريسية التي تطلب منه العكوف على المطالعة في موضوعاتها، و إضناء النفس و توفير الجهدفيها ـ بإعطاء هذا الكتاب حقه من الشرح و الإيضاح، و مقابلة نص الحديث بمصادره الأصيلة، و تراجم رواة الحديث مع ضبط ما يتصل بهم من التعريف والتعيين، و شرح مفردات الحديث مع توضيح معنى الحديث في تفسير و توسع، و تعريف موجز بالمعالم، و توضيح المكيال و الميزان.

و قد التزم ـ مشكورا و جديرا بالثناء ـ شرح أحاديث الصفات على طريقة السلف، و الإلمام بذكر مذاهب الأئمة، و آراء الفقهاء مع اختيار القول الراجح في أحاديث الأحكام مع ذكر ما يعارضه من حديث، و الإشارة إلى سبب ورود الحديث إذا اكتفى المؤلف بإيراد طرف من حديث (حرصا على أن يكون الكتاب جديرا بتدريس المبكرين في السن، و المتوسلين في الدراسة) و عني بفقه الحديث، و إلقاء الأضواء على ما احتوى عليه من فوائد و دروس.

و على كل فقد جاء هذا الشرح في أوانه و مكانه، و قضى حاجة كبيرة ملحة قد يشعر بها المدرس لكتاب " تهذيب الأخلاق" في المعاهد و المدارس الدينية و حلقات

www.abulhasanalinadwi.org

الدروس التهذيبية، و المناسبات الدعوية، و الاجتماعات الشعبية الإصلاحية، و استحق به الشارح ثواب الخادمين للحديث النبوي الشريف، و المباشرين لتدريس هذه المادة في نطاق كبير سام ـ كالمدارس و حلقات الدروس المنتظمة ، أو في الوعظ و الإرشاد الشعبي، و يسرني و يفرض الاعتراف بالحق عليّ ، أن أقول ـ مع الاعتذار إلى الشارح (وهو عضو في جماعة المدرسين في دارالعلوم ندوة العلماء و المتخرجين منها ، و لي فضل الإشراف على دارالعلوم ندوة العلماء و صلات شخصية مباشرة بأساتذتها و مدرسيها) أني لم أكن أتوقع لعدم وصول الشارح العزيز إلى سن عالية و مرحلة من النضج و الاكتمال ـ أطال الله عمره و بارك في حياته ـ أنه يبلغ في هذا الشرح ـ الذي اختاره كعمل جانبي ، و اشتغل به في أوقات الفراغ ـ إلى هذه المكانة من التوسع في الدراسة و التفنن في العناية و إعطاء الكتاب ـ بل الموضوع الجليل الحبيب ـ حقه من الجهد و العناية، و يثبت به جدارته لشرح مجموعة حديثية ذات جوانب علمية، فنية و بحث مقارن، و في الحقيقة قد جاء الشرح الوافي الكافي على غير ترقب من هذا الكاتب ـ الذي كان له شرف تقديمه و التعليق عليه في الطبعة الأولى، و كفى بذلك شهادة واعترافاً و شكراً من ابن المؤلف الذي كان له إلمام بهذا الفن الشريف، وشرف تدريسه مدة، و أرجو أن ينال هذا الشرح حقه من الإعجاب و الاعتراف من المشتغلين بهذا الموضوع و العاكفين على تدريسه و التأليف فيه، و فوق كل ذلك أجر العاملين في هذا المجال، و المشتغلين بهذا الفن الشريف و شروحه و علم الرجال.

و الله لا يضيع أجر المحسنين.

أبو الحسن على الحسني الندوي

٢/ من رجب المرجب ١٤١٥هـ

٦/ ١٢/ ١٩٩٤م

www.abulhasanalinadwi.org

الروائع والبدائع في البيان النبوي

تاليف

محمد نعمان الدين الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أما بعد ! فقد كان موضوع دراسة أدبية ، علمية تحليلية ، مقارنة للحديث النبوي الشريف وخطب الرسول ﷺ ، وأدعيته وتعبيراته ، وجوامع كلمه ورسائله ، وأمثاله وحكمه ، من الموضوعات الأدبية والنقدية والاستعراضية ، التي ما أعطيت حقها من البحث والدراسة حتى العرض والجمع في مكان واحد ، من الناحية الأدبية والفنية .

ولم يكن ذلك إساءة أو تطفيفاً في الكيل في حق صاحب الرسالة العظمى الأخيرة ، والمعجزات البيانية النبوية ، فقد أغناه الله بما وهبه ووصفه من سمات الكمال وآيات الجمال ـ بالمعنى العميق البليغ الواسع ـ وحسب القارئ ما جاء في سورة الانشراح : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ ، ولكنه كان إساءة وتطفيفاً ، ومع الاعتذار جناية علمية تاريخية على اللغة العربية ، ومكتبة الأدب العربي ، وتاريخ الأدب العربي ، بل وعلى الآداب العالمية ومدرسة البلاغة الآفاقية ، وما يستحق الجيل الجديد ويحتاج إليه من المعرفة والدراسة وإساغة العزيز اللذيذ من روائع

www.abulhasanalinadwi.org

البيان والقطع الحسان ، ونطق اللسان ، وبواعث الإيمان ، وهي الخسارة المعنوية والتوجيهية ، والتربوية والأدبية التي لا تعالج ولا تعوض بأكبر مجموعة من كلام الأدباء والبلغاء والكتاب والشعراء ، من أي أمة أو جيل ، أو لغة أو أدب .

وقد جرت النظم التعليمية ، والمناهج الدراسية ، حتى المدارس والجامعات الدينية، التي تعنى بتعليم الأدب العربي، ليكون عوناً على فقه الكتاب والسنة، والتذوق من إعجاز القرآن ، وبلاغة الحديث النبوي الشريف ، على هذا الدرب من تدريس اللغة العربية وآدابها من الاقتناع بكتب المتصنعين ، والمحترفين المتكلفين من الأدباء والشعراء والكتاب والبلغاء ، وإن كانت كذلك مجموعة صغيرة محدودة ـ فإن المنهاج الأدبي الدراسي في المدارس القديمة لا يتخطى كتابين في النثر ، ومجموعتين من النظم ـ متوارثة من جيل إلى جيل ، أو من طرف من البلاد الواسعة إلى طرف آخر، وقد نبه على هذا التقصير أو قصور النظر في حق الأدب العربي واللغة العربية ، والقدرة البيانية نقاد ومؤرخون وأدباء اللغة العربية في عصور مختلفة ، وبلاد مختلفة ـ على ندرة وطول فترة زمانية ومكانية ـ إلى هذا جاءت أسماؤهم في هذا الكتاب الذي أسعد بتقديمه .

ومع كل الاعتذار ، وطلب غض النظر عن هذه الصراحة التي قد تحمل على التنويه بعمل الكاتب ، ونصيبه من أداء الواجب ، قد انتبه كاتب هذه السطور لهذا التقصير ـ ليس في الرسول الأكرم فهو أغنى من هذه التقصيرات والتغافلات من جميع أفراد العلم بما فيهم من البلغاء والأدباء والقادة والزعماء وأصحاب الفضل والمنة ، على الأجيال البشرية والطبقات الإنسانية ـ بل في حق اللغة العربية وأدبها وأكثر من ذلك في حق الناشئة الإسلامية والدارسين والمتخرجين من المدارس الإسلامية العربية ، الذين سيكونون دعاة ومعلمين ، وكتاباً ومؤلفين ، وقادة وموجهين ، فألف مجموعة أدبية نثرية أسماها ((مختارات من أدب العرب)) ، حلاها بمقدمة كانت في الأصل مقالة وبحثاً كتب باقتراح المجمع العلمي العربي بدمشق [١]، على إثر اختياره للكاتب عضواً مراسلاً للمجمع [٢] لينشر في مجلته جرياً على تقاليد هذا المجمع وأعرافه كان هذا المقال مثيراً، ولافتاً للنظر ، لعدد من الأدباء المحنكين ورؤساء لقسم الأدب العربي البارعين في بعض الجامعات العربية اعترفوا بذلك لسعة صدورهم وسمو نظرهم ولما يمتاز به العرب من

(١) ويسمى مجمع اللغة العربية حالياً .
(٢) وكان ذلك في سنة ١٩٥٧م .

www.abulhasanalinadwi.org

رحابة الصدر ، وسماحة النفس والاعتراف بالفضل [١] ، ولكن هذا الموضوع في حاجة إلى دراسة واسعة عميقة واستعراض لما كتب في نقد الموضوع في أزمنة وأمكنة مختلفة ، وما جاء في هذا الموضوع من كتب أئمة اللغة والبيان ، والمؤرخين و الناقدين المرموقين ، وكتاب العربية البارعين ، وقد أراد الله أن يكون هذا الفضل ، وهذه المأثرة المستحقة للتقدير لدارس ومتخرج من دار العلوم لندوة العلماء ، التي كانت لها سعادة طرق هذا الباب واسترعاء نظر النقاد والموجهين في كليات الآداب وأقسام تاريخ الأدب العربي ونقده وبعض مشاهير الكتاب والأدباء ، فسعد بتأليف هذا الكتاب العزيز محمد نعمان الدين الندوي حفظه الله ، وأسماه ((الروائع والبدائع في البيان النبوي)) ، وحظي بالقبول والثناء في دار العلوم كأطروحة وبحث للمتخرج الفاضل من دار العلوم كما جاء في شهادة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي مدير دار العلوم حالياً ، ونائب رئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

وقد بحث في هذا الكتاب عن أراء العلماء في هذا الموضوع وجوانب البحث ، وعرض النماذج المختلفة ، ولفت النظر إلى جوانبها الفنية والبلاغية في إطار واسع ، وفي أسلوب علمي نقدي رزين ، يطلع عليها قارئ هذا الكتاب عند مطالعته ودراسته لهذا البحث ، وأصبح بذلك جديراً بأن يقدم إلى مراكز البحث والدراسة الأدبية ، والمجامع العلمية ، والمدارس والجامعات الدينية في شبه القارة الهندية ، والبلاد الإسلامية العربية ، لعله يثير أذواق المدرسين واتجاهاتهم على دراسة هذا الموضوع في إطار واسع وعلى مستوى علمي ونقدي رفيع ، وكفى به سعادة وشرفاً ونجاحاً وتوفيقاً لعمل بار مشكور، وسعي علمي ديني مقبول ، وأنا بدوري أهنئ مؤلف هذا الكتاب وأدعو له بطول العمر وتواصل العلم والبحث، وأهنئ والده الأستاذ الكبير فضيلة الشيخ برهان الدين أستاذ التفسير والحديث في دار العلوم لندوة العلماء نفع الله به وبعلمه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

دارة الشيخ علم الله الحسني - رائي بريلي

أبو الحسن علي الحسني الندوي

---

(١) يمكن أن يذكر من هؤلاء الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا رئيس القسم في جامعة الملك عبد العزيز في الرياض ، والأستاذ عبد العزيز الرفاعي أحد الأعضاء الكبار في الوزارة الخارجية السعودية ، والأديب الكبير الطنطاوي ، والدكتور عبد الباسط بدر .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الثاني

في

السيرة النبوية

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

شرح حياة الصحابة رضي الله عنهم

للعلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي

رحمه الله تعالى

شرحه وحققه وعلق عليه

محمد إلياس الباره بنكوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن السيرة النبوية وسِيَرَ الصحابة وتاريخهم من أقوى مصادر القوة الإيمانية والعاطفة الدينية ، التي لا تزال هذه الأمة والدعوات الدينية تقتبس منها شعلة الإيمان وتشعل بها مجامر القلوب ، التي يسرع انطفاؤها وخمودها في مهب الرياح والعواصف المادية ، والتي إذا انطفأت فقدت هذه الأمة قوتها وميزتها وتأثيرها ، وأصبحت جثة هامدة تحملها الحياة على أكتافها .

إنها تاريخ رجال جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها ، وصدقتها قلوبهم ، وما كان قولهم إذا دُعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا : ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ

www.abulhasanalinadwi.org

ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ ، ووضعوا أيديهم في يد الرسول ﷺ ، وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وعشيرتهم ، واستطابوا المرارات والمكاره في سبيل الدعوة إلى الله ، وأفضى يقينُها إلى قلوبهم ، وسيطر على نفوسهم وعقولهم ، وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب ، والحب لله والرسول ، والرحمة على المؤمنين والشدة على الكافرين ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، وإيثار الآجل على العاجل ، والغيب على الشهود ، والهداية على الجباية ، والحرص على دعوة الناس ، وإخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، والاستهانة بزخارف الدنيا وحطامها ، والشوق إلى لقاء الله والحنين إلى الجنة ، وعلو الهمة وبعد النظر في نشر رِفد الإسلام وخيراته في العالم ، وانتشارها لأجل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها ، وسهولها وحُزونها ، وأغوارها وأنجادها ، ونسوا في ذلك لذاتهم وهجروا راحاتهم ، وغادروا أوطانهم ، وبذلوا مُهجهم وحُرَّ أموالهم ، حتى ألقى الدين بجرانه ، وأقبلت القلوب إلى الله ، وهبت (رياح) الإيمان قوية عاصفة ، طيبة مباركة ، وقامت دولة التوحيد والإيمان والعبادة والتقوى ، ونفقت سوق الجنة ، وانتشرت الهداية في العالم ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

ضمت وقائعهم كتب التاريخ ، وحفظت أخبارهم دواوين الإسلام ، وكانت دائماً مادة التجديد والبعث الجديد في حياة المسلمين ، ولذلك اشتدت عناية دعاة الإسلام والمصلحين بهذه الحكايات ، واستعانوا بها في إيقاظ همم المسلمين وإلهاب قلوبهم بجذوة الإيمان والحماسة الدينية .

ولكن أتى على المسلمين حينٌ من الدهر زهدوا فيه في هذا التاريخ وتناسَوه ، وانصرف كتابهم ومؤلفوهم ووعاظهم ودعاتهم عنه إلى أخبار الزهاد والمشايخ والأولياء المتأخرين ، وطفحت الكتب والمجاميع بحكاياتهم وكراماتهم ، وأولع الناس بها ولعاً شديداً ، وشغلت مجالس الوعظ وحلقات الدروس وصفحات الكتب .

وكان من أول من انتبه ـ على ما نعرف ـ في هذا العصر إلى فضل أخبار الصحابة وأحوالهم في الدعوة الإسلامية والتربية الدينية ، وإلى قيمة هذه الثروة ـ المطمورة في الأوراق ـ الإصلاحية التربوية ، وتأثيرها في القلوب ، وكان من أول من أقبل عليها وعُني بها وأنصف لها المصلح الكبير والداعية المشهور الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ـ رحمه الله (ت ١٣٦٣هـ) ، فقد عكف عليها مطالعة ومدارسة وحكاية وتذكيراً ، رأيت له شغفاً عظيماً بالسيرة النبوية وأخبار الصحابة رضي الله عنهم يتذاكرها مع تلاميذه وأصحابه ، وتقرأ

www.abulhasanalinadwi.org

عليه كل ليلة فيسمعها في رغبة ونهامة وإجلال ، ويحب إحياءَها ونشرها ومذاكرتها ، وكان ابن أخيه المحدث الكبير محمد زكريا الكاندهلوي صاحب ((أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك [١])) ، ألف كتاباً متوسطاً في ((أردو)) في أخبار الصحابة ﷺ سماه ((حكايات الصحابة)) وسُرَّ به الشيخ سروراً عظيماً ، وألزم المشتغلين بالدعوة والرحلات في سبيلها مطالعة هذا الكتاب ومدارسته ، وكان ـ ولا يزال ـ من أهم الكتب المقررة للدعاة المتطوعين ، ومن الكتب التي نالت قبولاً عظيماً ورواجاً كبيراً في الأوساط الدينية .

ورث الشيخ محمد يوسف والده العظيم الشيخ محمد إلياس ، ورثه في حمل أعباء الدعوة وأمانتها ، وورثه في ذوقه واتجاهه في الشغف بالسيرة وأحوال الصحابة ، وكان هو الذي يقرأ له هذه الحكايات والدروس من السيرة وتراجم الصحابة في حياته ، وأكب بعد وفاته ـ مع الاشتغال الشديد بالدعوة ـ على مطالعة كتب السيرة والتاريخ وطبقات الصحابة ، ولا نعرف ـ فيمن نعرف ـ أوسع نظراً في أخبارهم ، ودقائق أحوالهم ، وأكثر استحضاراً لها ، وأحسن استشهاداً بها ، وأجمل اقتباساً منها ، وأكثر إيراداً لها في الحديث والمحاضرات منه ، وتكاد تكون هذه الحكايات التاريخية والقصص الحق مصدر قوة كلامه وتأثيره وسِرَّ سحره ووقعه في القلوب ، وحمل الجماعات الكبيرة على التضحية والإيثار ، والاستهانة بالمتاعب والمصائب ، وتكبد المشاق في سبيل الله .

لقد بلغت الدعوة في عهده إلى الأقطار العربية ، وإلى أمريكا وأوربة واليابان وجزر المحيط الهندي ، ومست الحاجة إلى كتاب كبير يطالعه المشتغلون بالدعوة ، والخارجون في الرحلات ، ويدارسونه ويُغَذُّون به قلوبهم وعقولهم ، ويلهبون به عواطفهم الدينية ، ويكون حافزاً لهم على تقليدهم وبذل نفسهم ونفيسهم في سبيل الدعوة ، والتجول في العالم والهجرة والنصرة ، وفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق ، وإذا قرؤوا هذه الأخبار تضاءلت نفوسهم أمامها كما تتضاءل السواقي أمام البحار ، وطوال الرجال أمام الجبال الشُّم ، فاتهموا يقينهم ، واستصغروا أعمالهم ، واحتقروا حياتهم ، وارتفعت هممهم ، وطمحت نفوسهم ، وتحركت عزائمهم .

وأراد الله أن يكون للشيخ محمد يوسف فضل التأليف في هذا الموضوع الجليل مع

---

(١) طبع الكتاب في الهند في ستة أجزاء .

www.abulhasanalinadwi.org

فضل الدعوة إليه ، مع أن حياته المشغولة المتنقلة المزدحمة بالرحلات والضيوف والوفود والدروس أبعدُ شيئ من حياة التأليف والكتابة ، ولكنه استطاع ـ بتوفيق الله تعالى وعونه وبعلو همته وقوة عزيمته ـ أن يشتغل بالتأليف ، ويجمع بين الدعوة والكتابة ـ وما أصعب الجمع بينهما ! ـ وقد استطاع بحول الله وقوته أن يشتغل ((بشرح معاني الآثار)) للإمام الطحاوي ، فألف كتاب ((أماني الأحبار)) في مجلدات كبار ، واستطاع بحول الله وقوته أن يؤلف كتاب ((حياة الصحابة)) في ثلاث مجلدات ضخام يجمع فيه ما انتثر وتفرق في كتب السير والتاريخ والطبقات ، ويبدأ بأخبار الرسول الأعظم ﷺ ، ويثني بقصص الصحابة ﷺ ويُعنَى بجوانب تخص الدعوة والتربية ، وتهم الدعاة والمربين بصفة خاصة ، فيكون تذكرة الدعاة وزاد العاملين ، ومدرسة الإيمان واليقين لعامة المسلمين .

وقد جمع هذا الكتاب من أخبار الصحابة رضوان الله عليهم وسيرهم وقصصهم وحكاياتهم ما يندر وجوده في كتاب واحد ؛ لأنه اقتبس من كتب كثيرة ، ككتب الحديث والمسانيد وكتب التاريخ وكتب الطبقات ، لذلك جاء هذا الكتاب يصور ذلك العصر ويمثل حياة الصحابة ﷺ وخصائصهم وأخلاقهم وخواطرهم ، وقد أسبَغَت هذه الدقة وهذا الاستقصاء والإكثار من الروايات والقصص على الكتاب تأثيراً لا يكون للكتب التي بنيت على الإجمال والاختصار ومغزى القصة ، ويعيش القارئ لأجله في محيط الإيمان والدعوة ، والبطولة والفضيلة ، والإخلاص والزهد .

وإذا صح أن الكتاب صورة نفيسة للمؤلف وقطعة من قلبه ، وأنه يؤثر بقدر ما يكتبه المؤلف عن عقيدة واقتناع ، وتأثر وانطباع ، وبقدر ما يعيش في مادته ومعناه إذا صح هذا فأنا أؤكد أن الكتاب مؤثر وناجح ؛ لأن المؤلف قد كتبه عن عقيدة وحماسة ، ولذة وعاطفة ، وقد خالط حب الصحابة لحمه ودمه ، واستولى على مشاعره وتفكيره ، وقد عاش في أخبارهم وأحاديثهم زمناً طويلاً ، ولا يزال يعيش فيها ، ويستقي من منابعها ، فسح الله في مدته [1] ، وبارك في حياته .

لم يكن هذا الكتاب في حاجة إلى تصدير مثلي لجلالة مؤلفه وإخلاصه ؛ فإنه ـ على ما أعتقد وأعرف ـ موهبة إلهية وحسنة من حسنات الزمان في قوة الإيمان ، وقوة الدعوة

(١) توفي المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في لاهور في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٨٤هـ الموافق ٢/ نيسان (إبريل) سنة ١٩٦٥م .

www.abulhasanalinadwi.org

والانقطاع إليها والتفاني في سبيلها ، لا يوجد أمثاله إلا بعد فترات طويلة ، وهو يقود حركة دينية من أقوى الحركات وأوسعها وأعظمها تأثيراً في النفوس ، ولكنه أراد أن يكرمني بذلك ، وأردت أن يكون لي نصيب في هذا العمل الجليل ، فكتبت هذه الكلمة متقرباً بها إلى الله ، تقبل الله هذا الكتاب ونفع به عباده .

لليلتين خلتا من رجب / ١٣٧٨هـ

أبو الحسن علي الحسني الندوي

سهارنبور ـ الهند

www.abulhasanalinadwi.org

حجة الوداع
وجزء عمرات النبي ﷺ
للعلامة
الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي
تقديم
سماحة الأستاذ الشيخ
أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فمما أكرم الله به الأمة الإسلامية من بين أمم العالم، وخص به دين الإسلام من بين الأديان، هذا الحج الذى لم يُعرف في تاريخ الديانات والنظم، والشعوب والأمم نسكٌ يضاهيه في التأثير والاصلاح، وربط القلوب بالله، وإثارة الحنان والأشواق، وتسليتها وتحقيقها بالطريق الأمثل، وتجديد الصلة بأصل الملة ومؤسسها، وشحن النفوس بالقوة الجديدة والإيمان الجديد، وإشعال مجامر القلوب بالحب والحنان، والتمرد على الأوضاع والعادات، والتحرر من ربقة الأعراف، والدعوة إلى التوحيد والدين الخالص، والتجرد من كل مظاهر الشرك والوثنية، والسمو على الحواجز المكانية، والفوارق الإنسانية، وفي تحقيق مقاصد التعليم والتربية، والتبليغ والدعوة، وفي عصمة هذا الدين عن التحريف، وفي وقاية هذه الأمة عن الانحراف العام، وعن وقوعها فريسة لتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وفي المحافظة على أصل واحد ونبع واحد، وفي توطين النفوس على المشاق

والمكاره، وأن تبقى هذه الأمة طوع إشارة ورهينة أمر لا تتشبث بعادة ، ولا تعبد مألوفاً[١]، ولا أبلغ من قوله تعالى ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: من الآية٢٨] .

وقد كانت حجة رسول الله ﷺ وهو خاتم النبيين ، من الآيات البينات والمعجزات الخالدات، فقد كانت فريدة من بين سير الأنبياء وعباداتهم ومناسكهم فضلاً عن سائر الناس ، وقد كانت فريدة من نواح كثيرة ، كانت فريدة من الناحية التعليمية والبلاغية ، فريدة من الناحية الاصلاحية والتربوية ، فريدة من الناحية الباطنية والروحية ، فريدة في مدى اهتمام الناس الذين أكرمهم الله للسير في ركابه ، وحضور الموسم معه بتتبع آثاره وحفظ أخباره ، ومراقبة حركاته وسكناته ، وتسجيل غدواته وروحاته ، وفي مدى اعتناء طبقات الأمة من السلف إلى الخلف ، بكل ما صدر عنه ﷺ في هذا السفر من قول أو عمل ، أو عادة أو عبادة ، أو نفي أو إثبات ، أو تقرير أو إنكار ، فقهاً واستنباطاً للأحكام ، واستخراجاً للجزئيات ، وتفريعاً للفروع ، وعلت في ذلك هممهم ودقت فيه أفهامهم ، ورقى فيه شعورهم ، حتى عصروا في ذلك أذهانهم وعقولهم ، وبلغوا في الدقة والتفصيل غاية ما وراءها غاية .

ولم يكن الفضل في ذلك وحده للعلم ولا للعقل وحده ، وقد جربنا نشاط العلم والعقل ، ومدى وفائهما لموضوعهما في تدوين رحلات العظماء ، وتاريخ الزعماء ، فقد فاتهم الشئ الكثير الذى ليست له قيمة علمية ، أو أهمية تاريخية ، بل كان في ذلك نصيب كبير للحب الذي لا يغفل ولا يلهو ، ولا يمل ولا يني ، ولا يتخلى عن شعرة من الشعرات ، ولا يتنازل عن ذرة من الذرات ، بل يتمسك بها كأنها أفضل بضاعة ورأس مال ، بل كأنها حشاشة نفس وحبة قلب .

وقد رافق الحب العقل في هذه الرحلة الطويلة المباركة منذ أعلن رسول الله ﷺ الحج، وأقبل إليه المسلمون من كل صوب ، وتهافتوا عليه تهافت الفراش على سراج منير ، فلم يفترقا ، حتى عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد راقبا سيره ووقوفه ، وأقواله وأفعاله ، فحفظا للأمة والأجيال القادمة سجلاً دقيقاً وكتاباً ناطقاً ، بل صورة مشرفة لهذه الرحلة الكريمة ، يرى فيها المسلم مسير رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة ،

(١) ليرجع فى معرفة مقاصد الحج وأسراره إلى كتاب حجة الله البالغة لحكيم الإسلام الشيخ ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى .

www.abulhasanalinadwi.org

فمنى، فعرفات، ورجوعه ﷺ إلى مكة ثم قفوله للمدينة ، يراه يطوف ويسعى ، ويسمعه يفتي ويعلم ، ويخطب ويتكلم ، ويشهد معه المشاهد كلها كأنه رأي عين وحديث أمس، فيعوض ذلك عن تخلفه عن هذا الركب الميمون ، وعن إدراكه لهذه السعادة العظمى، ويمثل له الغائب ، ويعيد إليه الماضي فيتعزى بذلك ، ويحمد الله، ويعترف لأولئك العشاق المتيمين ، والرواة الأمناء المدققين بالفضل والإحسان ، ويدين لهم بالشكر والامتنان ، فما صنعت أمة نبيٍّ مثل صنيع هذه الأمة ، ولا حرصت على تخليد آثاره ، ورواية أخباره ، ونقل دقائقه وجلائله مثل ما حرصت هذه الأمة ، ولا اعتنى علماء دين بدراسة عبادة من عبادات أنبيائهم ، مثل ما اعتنى علماء هذه الأمة بهذه الحجة ، ولا تعمقوا مثل تعمقهم في ذلك .

وقد دلت كل القرائن على أن هذه الحجة كانت مقصودة من الله بهذا التفصيل ، ولم تكن فلتة من الفلتات بل جاءت في وقتها المناسب ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: من الآية٨] وكان في تأخيرها إلى هذا الوقت حكمة بالغة ، ومصلحة راجحة ، فقد انتشر الإسلام في جزيرة العرب ، وكثر المسلمون ، وقوي الإيمان ، وشب الحب ، واستعدت النفوس للتعلم والاستفادة ، وهفت القلوب ، ورنت العيون إلى المشاهدة والمراقبة ، ودنت ساعة الفراق ، فألجأت الضرورة إلى وداع الأمة ، فخرج رسول الله ﷺ من المدينة ليحج البيت ، ويلقى المسلمين ، ويعلمهم دينهم ومناسكهم ، ويؤدي الشهادة ، ويبلغ الأمانة ، ويوصي الوصايا الأخيرة ، ويأخذ من المسلمين العهد والميثاق، ويمحو آثار الجاهلية ويطمسها ، ويضعها تحت قدميه .

فكانت هذه الحجة تقوم مقام ألف خطبة ، وألف درس ، وكانت مدرسة منتقلة ، ومسجداً سياراً ، وثكنة جوالة ، يتعلم فيها الجاهل وينتبه الغافل ، وينشط فيها الكسلان، ويقوى فيها الضعيف ، وكانت سحابة واحدة تغشاهم في الحل والترحال ، هي سحابة صحبة النبي ﷺ، وحبه وعطفه ، وتربيته وإشرافه .

وقد كان من آثار نضج المسلمين العقلي ، وقوة حبهم ، وشدة تعلقهم ، بكل ما يصدر عن هذه الشخصية الحبيبة المفداة ، أن سجلوا كل دقيقة من دقائق هذه الرحلة ، وكل حادث من حوادثها الصغيرة ، لا يحتفل بأمثالها في رحلات العظماء والرؤساء ، والملوك والأمراء ، والعلماء والنبغاء ، وذلك شأن المحب الوامق ، والعاشق الصادق، الذي يرى كل شيء لمحبوبه حسناً ، فيتلذذ بذكره ، ويسترسل في حديثه لا يغادر صغيرة

www.abulhasanalinadwi.org

ولا كبيرة إلا يحصيها ، ولا دقيقة نادرة إلا يستقصيها .

يتطيب رسول الله ﷺ عند إحرامه فيذكرون من باشر هذا التطيب ، ويذكرون نوع هذا الطيب فيقولون (ثم طيبته عائشة بيدها بذريرة[١] ، وطيب فيه مسك ، حتى يرى وبيص المسك في مفارقه ولحيته ﷺ ويشعر رسول الله ﷺ هديه ، فيذكرون تفصيله وتحديده ، هل كان في الجانب الأيمن أو الأيسر ، وكيف سلت عنها الدم ، ويذكرون احتجامه ، والاحتجام فعل طبي طبعي لا صلة له بمناسك الحج ، فيحددون مكانه من الجسم ، وموضعه من الطريق فيقولون (واحتجم بملل ، وملل موضع بين مكة والمدينة على سبعة عشر ميلاً من المدينة) ويقولون (واحتجم على رأسه بلحى جمل ، وهو موضع في طريق مكة) وتهدى له قطعة لحم ، وهي حادثة عادية تتكرر ولا تسترعي الاهتمام في عامة الأحوال ، فيذكرونها بالتحديد والتفصيل، فيقول الراوي (حتى إذا كانوا بالأبواء أهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحشي) ، ويحددون المنازل بين المدينة ومكة ، ويعدون أيامه في السفر ، وذلك في زمان لم يعرف الناس فيه كتابة اليوميات ، وتدوين المذكرات ، ولكن الحب يلهم ويخترع فيقول الراوي : ثم نهض إلى أن نزل بذي طوى فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة) ولم تفتهم شاردة ولا نادرة في هذه الرحلة التى كثرت فيها الشواغل ، وتعددت فيها المنازل ، واشتد فيها الزحام ، فلم يفتهم أن يقيدوا خروج حية في هذا المشهد الحافل ، وإفلاتها من القتل ، فيقول الراوي وهو يذكر ليلة منى : (وخرجت حية وأرادوا قتلها فدخلت في جحرها) ويذكرون كل من كان رديف [٢] رسول الله ﷺ في هذه الرحلة ، ويذكرون اسم الحلاق وكيف قسم شعره ، ومن خصهم بالشق الأيمن، ومن خصهم بالشق الأيسر ، وهذه كلها تفاصيل ودقائق لم يكن مصدرها إلا الحب العميق .

ومن العبث وإضاعة الوقت أن يبحث عن نظائرها في رحلات القادة ، وتاريخ المشاهير ، وقد أخلت أمم كثيرة بحياة أنبيائها وسيرهم وأخبارهم ومراحل حياتهم ، وضيعوا منها الشيء الكثير ، الذي لا تكمل حياتهم ولا يتم تاريخهم إلا به ، ولم

(١) وقد أفاض الشراح فى وصف الذريرة وأنواعها ، راجع جزء حجة الوداع .

(٢) وقد استوعب صاحب نسيم الرياض أسماء كل من أردفهم رسول الله ﷺ في حياته فذكر نحو ثمانية وثلاثين رديفاً ، وزاد ابن مندة على هذا العدد ، راجع جزء حجة الوداع .

www.abulhasanalinadwi.org

يحافظوا إلا على النزر اليسير من أخبارهم وأحوالهم فجل ما نعرف من حياة سيدنا المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام هو أخبار السنوات الثلاث الأخيرة من سيرته وأخباره ، وهنالك أصحاب رسالات وديانات في بلاد متمدنة عريقة في العلم لم تبق إلا أسماؤهم، ونتف من أخبارهم ، لا تشفي العليل ، ولا تروي الغليل ، ولا تقود الأجيال، ولا تنير السبيل .

وقد كان الحج بطبيعته ، ووضعه الخاص الذي يمتاز به عن سائر الأركان وانتقاله من طور إلى طور ، ومن فعل إلى فعل ، ومن نسك إلى نسك ، ومن مكان إلى مكان ، وما يتعلق به من الأحكام والآداب والجزئيات ، وتنوع أحوال الناس فيه ، من أوسع أبواب الفقه ، وأكثرها أحكاماً ومسائل وأدقها ، ولذلك عني به العلماء قديماً وحديثاً ، وانفرد بعلمه والإفتاء فيه علماء مختصون من التابعين ، وأتباع التابعين ، ومن جاء بعدهم ، وكان يشار إليهم بالبنان ، وقد يعينهم الخلفاء ومن بيدهم الحل والعقد ، فيعلن (لا يفتِ في الموسم إلا فلان وفلان) وجرت سنة الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية وبني العباس بتعيين أمير الحج وإرساله للحج[١] .

وأكثر علماء الإسلام وفقهاء الأمصار والمؤلفون الكبار البحث فيه ، وتوسعوا فيه توسعاً ، لم يعرف لغيره من أبواب الفقه ، ومنهم من أفرد له تأليفاً ، وألف كتاباً خاصاً في المناسك ، وإذا أفردت هذه الكتب التي ألفت في المناسك وأحكام الحج في عصور مختلفة، وفي بلاد مختلفة ، وفي لغات مختلفة ، كونت مكتبة كبيرة ، ومن المؤلفين من اختص بمذهبه ، ومنهم من ذكر المذاهب الأخرى واستعرض دلائلها ، وبحث بحثاً مقارناً ، ومنهم من أفرد كتاباً بحجة الوداع .

وكل ذلك يدل على مكانة الحج فى الإسلام ، ومدى عناية الأمة به ، وقد كانت هذه الفريضة التي تفرض مرة في العمر ، وما ورد فيها من الفضائل ، وما وعد الله عليه، وأخبر به رسوله من الأجر العظيم ، والثواب الجزيل ، والمغفرة من الذنوب (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) وما يستتبع هذا السفر عادة من الاهتمام الزائد ، وتحمل المشاق ، وركوب البحار حيناً ، وقطع البراري والقفاز حيناً آخر ، وتجشم الأخطار ، والتعرض للمخاوف ، وفراق الأهل والوطن ، وقبول التزامات الإحرام ومحظوراته ، والابتعاد عن الرفث والفسوق والجدال ، كان كل ذلك كافلا بأن

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير وغيره من كتب التاريخ .

www.abulhasanalinadwi.org

تتوافر الدواعي ، وتشحذ العزائم وتتوجه الهمم إلى معرفة فقهه ودأبه وسننه ، وبذل أقصى الطاقة فى إحسانه وإكماله ، وأن تقتفى فيه آثار النبي ﷺ وتتبع سننه ، ويقتدى بهديه بقدر الامكان ، وإلى ما يبلغه جهد الإنسان ، فكان كل ذلك باعثاً على العناية بحجة النبي ﷺ ، التي كانت ولا تزال الحجة المثالية لكل مسلم في كل عصر ومصر ، إلى أن يرث الله هذه الأرض ومن عليها .

ولما كان شيخنا العلامة محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي من أحرص علماء عصره على خدمة الحديث الشريف ، والاشتغال به تعليماً وتأليفاً ، وشرحاً وتعليقاً ، ونشراً وإفاضة ، وكانت لذته وطيب عيشه وقرة عينه ، كما ذكرنا في تقديمنا لمقدمة أوجز المسالك في أن يقضي فيه نهاره ويسهر فيه ليله ، وكانت أمنيته أن يكون له في كل موضوع يتعلق بالحديث النبوي، وبالسيرة النبوية نصيب ، وكان يعرف بحكم اشتغاله بالحديث ، وممارسته لهذه الصناعة الشريفة ، مدى عناية السلف بحجة الوداع وما يتعرض لطالب علم الحديث ، ومن يطالع الشروح ، والكتب المؤلفة في شرحها وبيانها ، وكيف اختلفت المذاهب وتباينت الآراء في نوع حجة النبي ﷺ وأفعاله وهديه في هذه الحجة ، لكل ذلك سمت همته في ١٣٤٢ هـ ، وهو في السابعة والعشرين من عمره (١) ، إلى أن يفرد جزءاً فى حجة الوداع ، وكان إذ ذاك شاباً موفور الصحة، قوي الهمة ، يهون عليه سهر الليالي وعناء النهار ، فانصرف إلى تأليفه ، وهو مستحضر لما كتب في هذا الموضوع ، ولأحسن ما قيل فيه ، وقد بارك الله في وقته وهمته ، ففرغ من تأليفه في يوم وليلة - غير الحواشي التي أضافها في أوقات مختلفة - كما بين ذلك في خاتمة هذه الرسالة ، فجدد بذلك ذكرى مآثر السلف في الانقطاع التام إلى العلم والتأليف ، والعكوف عليه ليلاً ونهاراً ، وبركة الأوقات وإتمام عمل كبير في وقت قصير ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الاسراء: من الآية ٢٠] .

وتشاغل المؤلف عن هذا التأليف الصغير في قامته ، الكبير في قيمته ، زمناً طويلاً ، وصدر من قلمه في هذه الفترة مجلدات كبار في شرح الحديث كأوجز المسالك في شرح موطأ الإمام مالك ، في ستة أجزاء ، وصدر الكوكب الدرّي وثلاثة أجزاء من لامع الدراري، هذا غير الكتب الكثيرة المقبولة في فضائل الأعمال وأخبار الصحابة ، وشرح الشمائل النبوية ، وفي مقاصد دينية واجتماعية في (أُرْدُوْ) لغة مسلمي الهند العامة ، وبقي الكتاب مطموراً بين مسوداته ومؤلفاته القديمة حتى الآن .

(١) ولد لعشر خلون من رمضان سنة ١٣١٥ من الهجرة النبوية .

www.abulhasanalinadwi.org

ولما أراد الله نشر هذا الخير ، ونفع المسلمين والمشتغلين بالحديث والسنة ، وطلبة العلم به ، وكان قد منعه ضعف البصر الذي اعتراه من سنين ، ثم العملية الجراحية في العين سنة ١٣٩٠ هـ عن تأليف كتب جديدة ، تستلزم مراجعة كثيرة ، ومباشرة الكتابة والتصحيح ، تذكر هذا الكتاب القديم الذي تناساه وشغل عن إبرازه وإكماله وإعداده للطبع ، فاستخرجه من بين الكتب والمسودات ، وتناوله بتفصيل المجمل وشرح المبهم، وإيضاح المشكل ، ونقل العبارات التي أحيل إليها ، والكشف عن الإشارات التي جاءت فيه ، وزيادة الدراسات التي تجددت عنده ، والاستعانة ببعض المعلومات الجديدة التي حصلت له بحكم أسفاره العديدة ، وإقاماته الطويلة بالحرمين الشريفين ، والاطلاع على مصادر جديدة لا يبخل فيه بمعلوم ولا يتحاشى فيه عن ذكر مصدر ، أومساعد ، وإن كان من طبقة تلاميذه ، ومن الصغار ، لا يرى فيه غضاضة لنفسه ، ولا عيباً قادحاً لكتابه ، وقد ذكر وشكر كل من أعانه في هذا العمل بقليل أو كثير شأن علماء السلف المخلصين والعلماء الربانيين .

ثم بدا له أن يكمل هذا الجزء ببحث في عمراته ﷺ وعددها وتحديدها وتفاصيلها ، وما اشتملت عليه من أحكام فقهية وبحوث تاريخية وفوائد علمية ، وتحقيقات حديثة ، فكان نهجه في هذا البحث نهجه في جزء حجة الوداع ، استيعاب شامل ، واستقصاء كامل ، وتحر للصواب ، وبحث عن االحقيقة العلمية وتقرير للحق ، وأمانة في النقل ، وقد أيد هذا العمل المبارك ببعض المبشرات والرؤيا الصالحة والإشارات الغيبية ، التي تدل على إخلاص المؤلف ، وابتغائه لوجه الله ، وشغفه بالسنة والحديث النبوي، على أن هذا العمل قد حظي بالقبول .

ويمتاز هذا الكتاب كما يلاحظ القارىء المطلع ، أولا بالاستيعاب الشامل لكل ما يتصل بهذه الرحلة المباركة ، والركن العظيم ، من قريب أو بعيد ، من بيان المناسك ونقل المذاهب ، واختلافات الأئمة ، وآراء الشراح ، ومباحث المحدثين والفقهاء ، وتحديد المنازل وتعيين أسمائها ومواضعها في ضوء العلم الحديث ، والتغيرات التي طرأت عليها ، واقتباس أحسن ما كتب في هذا الموضوع في القديم والحديث ، واستعراض النقول المفيدة عن كتب المتقدين حتى يحار القارىء ويملكه العجب من هذا الاستقصاء ، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنه موسوعة صغيرة فيما يتصل بحجة النبي ﷺ التي قد تسمى (حجة الوداع) وقد تسمى (حجة البلاغ) .

ويمتاز ثانياً بالاطلاع الواسع الدقيق على مذاهب الأئمة ، وآراء فقهائها وعلمائها

www.abulhasanalinadwi.org

واختلافاتهم ، وصحة النقل ودقته وأمانته ، وكان ذلك شعار المؤلف في جميع مؤلفاته، لا سيما في أوجز المسالك ، فقد سمعت بعض كبار علماء المالكية في الحجاز يعجبون من سعة اطلاع المؤلف على المذهب المالكي وفروعه ، ودقته في نقلها .

ويمتاز ثالثاً بمعرفته لفضل المتقدمين ، والأدب معهم ، وإيتاء كل ذي حق حقه ، والتصريح بأسمائهم ، وبالمصادر التي ينقل عنها ، والرد عليهم ، وتبيين بعض أوهامهم في أدب جم ، وتواضع ظاهر ، وأسلوب علمي نزيه ، وذلك شعار العلماء المتقين في كل عصر وطبقة .

وفي الأخير أرى لزاماً علي أن أشكر الزميل العزيز الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي أستاذ دار العلوم ندوة العلماء ، ومنشىء مجلة (البعث الإسلامى) على عنايته الفائقة، وجهده البليغ في نشر مآثر الشيخ العلمية وإخراجها في أحسن مظهر ومخبر ، كمقدمة أوجز المسالك ومقدمة لامع الدراري ، وأخيراً ، لاآخراً ، هذا الكتاب المفيد الذي أتشرف بتقديمه وتتشرف مطبعة ندوة العلماء بنشره وإخراجه ، ولكل من سعى في هذا العمل الطيب وأعان عليه شكر المؤلف وثناء القراء ودعواتهم الصالحة ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وبارك وسلم .

أبو الحسن على الحسنى الندوي

١٤ رمضان ١٣٩٠ هـ

www.abulhasanalinadwi.org

مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ

تأليف

الدكتور محمد لقمان الأعظمي الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد طلب مني الأخ العزيز (محمد لقمان الأعظمي الندوي) أن أكتب تقديماً لبحثه (مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ في ضوء القرآن الكريم) فعددت ذلك شرفاً لكرامة الموضوع ، ولهذا الانتساب الشريف فقد اجتمع في هذا الموضوع شرف المكان والزمان ، وذات الرسول ﷺ ، وصحبه البررة الذين لم يشهد التاريخ مجتمعاً أفضل من مجتمعهم .. وأكد هذا الشرف القرآن الكريم بقوله : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الفتح : ٢٩] .

www.abulhasanalinadwi.org

لقد و صف القرآن الكريم هذه الطليعة المؤمنة التي كانت تشكل مدرسة محمد ﷺ وصفا تتجلى به صورة تلك المجموعة ، و يتضح من وصف القرآن التنقيح التدريجي لهذا المجتمع البشري إلى أن اكتمل جماله، و توافرت فيه خصاله، و ترابطت وحداته.

إن التآلف بين مختلف أفراد البشر أساس للمجتمع. و لايتحقق هذا التآلف إلا بوجود جوهر يجمع بين مختلف و حدات المجتمع التي تختلف في الطبائع والانفعال والإقدام ، والقبول والرفض ، والحب والكراهية ، والانقياد والإباء .. وكان العرب الذين كانوا يتميزون بروح الفردية والإباء والأنفة أبعد الأمم عن الانقياد والالتفاف حول شخص إلا في إطار محدود كإطار القبيلة .. وفي إطار القبيلة كذلك كانت تنشأ النخوة والأنفة .. فكان أفراد القبيلة يخرجون من طاعة سيد القبيلة أحياناً .

ولذلك بقي العرب إلى ظهور الإسلام وحدات متناحرة ، وصار النفور طبيعة العرب التي اختصوا بها على الأمم الأخرى .

ومن يدرس تاريخ العرب .. وهو مسجل في دواوين الشعر الجاهلي ، وأخبار العرب وأيامهم لَعَرَفَ أن أصعب الأمور بالنسبة للعرب هو التآلف بينهم .. لأن النفور والشموس كانت ميزتهم ، ولم تكن القبائل المختلفة متحاربة .. وإنما كانت الأسر موزعة فيما بينها .. وقد أصبح شكوى بني الأعمام موضوعاً من موضوعات الشعر الجاهلي ، لا تخلو قصيدة منه ، وتعدى هذا النفور إلى بني الأب الواحد كذلك .

كان هذا التنافر قائماً في يثرب التي عرفت بالحروب الطاحنة بين الأوس والخزرج، وكان على أشده في مكة والطائف بين مختلف الأسر .. أما العداء بين عدنان وقحطان ، وبين العرب والعجم فهو أمر معروف .. فقد كانت بينهم حواجز نفسية واجتماعية لا تزول .. بل تزداد عبر الأيام .

كان إيجاد مجتمع يشمل على الوحدات البشرية ، أو الكتل البشرية من هؤلاء الأفراد بطرائق تذوب فيه الأواصر الأخوية ، والروابط بين الأب والابن ، والزوج والزوجة ، بالانتساب إلى عقيدة ، والالتحاق بذات الرسول ﷺ معجزة في ذاته .. معجزة في تاريخ البشرية بكامله .

كان المجتمع الذي أنشأه محمد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة التي جعلها قاعدة لدعوته ، ومركزاً لتربيته ، وإعداده للنفوس مجتمعاً إنسانياً عالمياً لا يوجد له نظير إلى يومنا هذا .. وقد توفرت في هذا المجتمع جميع خصائص المجتمع المتحضر من العقيدة

www.abulhasanalinadwi.org

والعلم ، وروح التكافل ، والتكامل ، وصلاحية التوسع والامتداد والتبادل .. وقد اعترف القرآن الكريم أن هذا التآلف كان نتيجة لموقف الرسول ﷺ و سلوكه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩] .

كان من خصائص المجتمع الإسلامي الأول الذي نشأ في المدينة المنورة الالتزام بعقيدة واحدة ،ونقل هذه العقيدة إلى سائر مجالات الحياة .. فكانت تقام الروابط في ضوء هذه العقيدة ، وكانت الميزة الثانية الارتباط بذات الرسول ﷺ ، وإيثاره على غيره، والخضوع التام له .. وكانت الميزة الثالثة هي المبادرة والسبق إلى أعمال الخير .. كالإيثار ، والتعاطف ، والنجدة ، والإسعاف ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر : ٩] .

كانت نتيجة هذا الإيثار والمساواة ، والمواساة أن خلا المجتمع المدني من التباغض والتحاسد الذي يقطع أواصر المجتمع ، ويقرض حبائل الصلات القائمة بين مختلف أفراده .

وكما يدل عليه الحديث النبوي : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " وقد ظهرت هذه الخصائص في البأساء والسراء ، وفيهما يمتحن الإنسان .. وقد وصف القرآن الكريم هذه الصفة الاجتماعية بقوله : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١] .

وقال في سورة الأحزاب : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

لقد وجدت فى المجتمع المدني جميع خصائص المجتمع الراقي المثالي .. ولذلك كان المجتمع المدني مجتمعاً نامياً متوسعاً باستمرار .. والاستمرارية والتوسع هي خصائص الحياة الفردية ، أو القبلية .. ولم توجد مثل هذه الخصائص للنمو ، والتوسع ، والترابط ، والمساواة ، والعدالة في مجتمع آخر .. سواء كان هذا المجتمع في فارس أو الروم ، أو العصر الحاضر الذي يعد عصر الحياة الاجتماعية .

www.abulhasanalinadwi.org

ويمكن أن يقاس هذا النمو والازدهار الذي كان في المدينة بفضل التكافل والتعاطف والتآخي في عدد أفراد هذا المجتمع بعد وصول الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ، وفي عدد المسلمين في حجة الوداع ، ومن خلو هذا المجتمع من القضايا والمشاكل الاجتماعية التي تحدث في كل مجتمع .

وهل يوجد مثال في تاريخ الحضارات أن يقدم مذنب أو مجرم نفسه للمحاكمة ، ويفرض على نفسه أقسى العقوبة ويحتملها ، ولا تنشأ في نفسه كراهية أو نقمة ، ويواجه كل إغراء وإثارة ، كما تتضح في قصة كعب بن مالك عندما تخلف عن الاشتراك في غزوة تبوك ، وإخوته الذين ذكر القرآن الكريم قصتهم بتفصيل ، وموقف عبدالله بن عبدالله بن أبي ابن سلول إزاء والده عند قوله : ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون : من الآية٨] .

يقول علماء النفس : إن حب المال والغلبة من غرائز الإنسان .. وإذا تعرض هذا الحب للخطر بدأ الصراع .. ولكن المجتمع المدني يقدم مثالاً مدهشاً لغلبة عنصر الإيمان ، والتعلق بذات الرسول ﷺ على هذه العناصر المادية التى تؤدي إلى الصراع ، وتشتت المجتمع .

المثال الأول : ما جاء في الحديث الشريف عن الأنصار الذين وجدوا شيئاً في أنفسهم لدى تقسيم المغانم ، وأخيراً رضوا بالقسمة ، وآثروا الرسول ﷺ .

و المثال الثاني: لدى خلافة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه .. فقد كان هذا التعيين للخليفة الذي كان من المهاجرين في بلد الأنصار و كان الأنصار يطمحون إلى الاشتراك في الحكم ... لكنهم قبلوا هذا الحكم، و تجنبوا الصراع، و بقي المجتمع المدني موحدا، ثم وافقوا على حكم الخليفة الأول للخروج من المدينة في جيش أسامة، وحرب الردة، رغم اختلافهم في الرأي، و أبلوا في المعركتين بلاء حسنا.

لقد صور المؤرخون المجتمع الإسلامي الأول تصويرا يختلف عن تصوير القرآن الكريم ، و الحديث النبوي الشريف، بإبراز أحداث مشتتة؛ لأن الذين ألفوا هذه الكتب كانوا بعيدي الصلة عن المجتمع المدني، و عن العهد الأول، فعرضوا أحداث التاريخ الأول في ضوء ميولهم الفكريّة ، وواقع حياتهم، و كانت الحاجة ماسة إلى عرض جو هذا العهد ، و هذا المجتمع في المنظور القرآني.. و قد أحسن أخونا العزيز الأستاذ "محمد لقمان الأعظمي الندوي" بعرض هذه الرؤية القرآنية للحياة في عهد الرسول ﷺ .

وقد قضى مدة في دراسة القرآن الكريم، و الحديث النبوي الشريف، و كتب السير،

www.abulhasanalinadwi.org

ليأخذ صورة حقيقية للمجتمع الإسلامي الأول الذي نشأ بتربية الرسول ﷺ ، و كانت له تجربة في مجال الدعوة و التوعية الإسلاميّة ... وقد وهبه الله عاطفة دينية بفضل دراسته ونشأته، و صلاته برجال الفكر الإسلاميّ .. فقد درس في ندوة العلماء، ثم التحق بالأزهر، ثم مارس مهنة التعليم.. فكان اختياره لهذا الموضوع خدمة في مجال الدعوة الإسلامية.. لأنه أراد أن يقدم نموذجا للمجتمع الإسلامي، ليكون قدوة للدعاة ، فجزاه الله خيرَ الجزاء ، ونفع بكتابه، و كثر أمثاله.

و الله تعالى ولي التوفيق، وهو يهدي السبيل.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

ندوة العلماء ١٢/ ٨/ ١٤٠٨هـ

لكنؤ الهند ١/ ٤/ ١٩٨٨م

www.abulhasanalinadwi.org

نبوءات الرسول ﷺ
ما تحقق منها وما لم يتحقق

تأليف

محمد ولي الله عبد الرحمن الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده.

وبعد، فيعلم الدارس لكتب الحديث و السنة و الممارس لصناعة الحديث و المعنيّ بالبحث العلمي و التاريخي و الدراسات المقارنة، أن موضوع النبوءات النبويّة في كتب الحديث و دواوين السنة من أدق الموضوعات التي يعالجها الباحث ، و أوسعها مجالا ، و أحوجها إلى توسع و تعمق في فن الحديث، و اطلاع واسع على التاريخ و الحوادث التي وقعت في عصور مختلفة في أمكنة مختلفة، و تطورات حدثت في المجتمع البشري بصفة عامة و في المجتمع الإسلامي بصفة خاصة، هذا مع الاحتياج إلى الاطلاع الواسع على مكتبة الحديث الزاخرة ، بما فيها من شروح الحديث، وكتب الرجال، و الجرح و التعديل، من مطبوع و مخطوط، متداول و نادر، ولذلك قلّت المؤلفات في هذا الموضوع على علو همة المشتغلين بعلم الحديث و استيعابهم لما يتصل بهذا الموضوع من قريب أو بعيد، أو بنسبة جلية أو خفية، مع أن تحقق هذه النبوءات ـ على كثرتها و دقتها ـ من أعظم دلائل النبوة، و صدق الرسالة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة و السلام ـ .

www.abulhasanalinadwi.org

و قد كانت لي مفاجأة سارة حين اطلعت على رسالة التخصص للمحفوظ ـ محمد ولي الله عبد الرحمن الندوي الذي أعرفه من حين كان طالبا في جامعة ندوة العلماء و لم أكن أعرف ـ و لاكثير من أساتذته و مثقفيه ـ أن همته تسمو إلى تناول هذا الموضوع الدقيق الضخم المسئولية، و إعداد البحث فيه لنيل شهادة ماجستير في جامعة الأزهر الشريف، و قد راعني الشمول و الاحتواء في هذا التأليف. فقد بلغت عدد النبوءات التي شملها هذا البحث إلى مئة و ثمان و ثمانين ١٨٨، منها نبوءات تتعلق بالصحابة رضي الله عنهم، و منها ما يتعلق بالتابعين و من بعدهم و بما بعد عصر الصحابة. و من هذه النبوءات ما توجد لها مادة و إشارات في كتب المحدثين و الشراح القدماء، إلا أنها تحتاج إلى تخريج و نقد للحديث إسنادا و متنا، و مقارنة بين ألفاظ طرق الحديث . و من هذه النبوءات نبوءات معنوية تتصل بالعصور و الأجيال، و المجتمع المسلم ، و تغير في الأخلاق و السيرة و تطور الزمان، و يحتاج الباحث في إثبات تحققها إلى اطلاع واسع على تاريخ العصور و الأجيال الإسلامية.

و تليها نبوءات لم تتحقق بعد. و هي أدق من الأولى، ففيها ما يجعل للباحثين في هذا العصر و العصور التي تليه مجالا للبحث و التحقيق، و يفتقر الباحث فيها إلى اطلاع واسع على ظهور العادات الجديدة، و التقاليد الطريفة، ووقوع التحريف و الانحراف في الدين، و الخضوع للمبادئ و المثل غير الإسلامية، و معرفة المؤشرات و ما يمهد لوقوعها.

و قد كانت الحاجة ماسة إلى التأليف في هذا الموضوع لظهور شواهد علمية تطبيقية في هذا العصر، و تيسر مصادرها التاريخية، و عمليات الاكتشاف، لذلك جاء هذا البحث في أوانه و مكانه.

و لا أرى حاجة إلى الكف عن إبداء حقيقة، و هي أنه كان عملا مجمعيا، "أكاديميا" قام به فرد على حداثة سنه، و على كونه من أبناء العجم، و ينتمي إلى أسرة تجارية دينية سليمة العقيدة و السلوك، متدينة ذات اتصال بالعلماء و المربين الصالحين. و الكاتب بدوره يهنئ المؤلف العزيز و الدُور التي منها تخرج، و البلاد التي ينتمي إليها، و أخيرا لا آخرا يشكر جامعة الأزهر و كلية أصول الدين، و المشرف الفاضل الأستاذ الدكتور محمد مبارك السيد على تيسير الأسباب و اختيار الموضوع الكبير القيم، والإشراف الدقيق، و تشجيع المؤلف الطالب و قبول الرسالة وتقديرها.

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الثالث

في

التصوف والأخلاق

بين التصوف والحياة

للأستاذ الكبير الشيخ

عبد الباري الندوي

أستاذ الفلسفة الحديثة في

الجامعة العثمانية بحيدر آباد سابقاً

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، و سلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فإن للمصطلحات و الأسماء الشائعة بين الناس للأشياء جناية على الحقائق، و لهذه الجناية قصة طويلة في كل فن و لغة و في كل أدب و دين، فإنها تولّد كائنا آخر، تنشأ عنه الشبهات، و تشتد حوله الخصومات، و تتكون فيه المذاهب ، و تستخدم لها الحجج و الدلائل، و يحمي وطيس الكلام و الخصام، فلو عدلنا عن هذه المصطلحات المحدثة، و عن هذه الأسماء الحرفية و رجعنا إلى الماضي و إلى الكلمات التي كان يعبر بها الناس عن هذه الحقائق في سهولة و بساطة، و إلى ماكان ينطق به رجال العهد الأول و السّلف الأقدمون، انحلّت العقدة و هان الخطب و اصطلح الناس.

و من هذه المصطلحات و الأسماء العرفية التي شاعت بين الناس " التصوف " ، ومن هنا ثارت أسئلة و بحوث و تساءل الناس ما مدلول الكلمة و ما مأخذها ، هل هو من الصوف أو من الصفاء أو من الصفو أو من الصفة؟ أو هي مأخوذة من الكلمة اليونانية

www.abulhasanalinadwi.org

(صوفيا) معناها " الحكمة" [١]

و متى حدثت هذه الكلمة؟ و لم نعرف لها أثرا في الكتاب و السنة و ما جاءت في كلام الصحابة رضي الله عنهم و التابعين لهم بإحسان و ما عرفت في خير القرون، و كل ماكان هذا شأنه، فإنه من البدع المحدثة، و حميت المعركة بين أصدقائه و خصومه و الموافقين و المعارضين حتى تكونت بذلك مكتبة كبيرة يصعب استعراضها.

أما إذا عدلنا عن هذا المصطلح الذي نشأ و شاع في القرن الثاني[٢] و رجعنا إلى الكتاب و السنة و عصر الصحابة و التابعين و تأملنا في القرآن و الحديث، وجدنا القرآن ينوّه بشعبة من شعب الدين و مهمة من مهمات النبوة يعبر عنها بلفظ " التزكية" و يذكرها كركن من الأركان الأربعة التي بعث الرسول الأعظم ﷺ لتحقيقها و تكميلها ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] و هي تزكية النفوس وتهذيبها و تحليتها بالفضائل و تخليتها من الرذائل ، التزكية التي نرى أمثلتها الرائعة في حياة الصحابة رضوان الله عليهم و إخلاصهم و أخلاقهم، و التي كانت نتيجتها هذا المجتمع الصالح الفاضل المثالي الذي ليس له نظير في التاريخ، وهذه الحكومة العادلة الراشدة التي لا مثيل لها في العالم.

ووجدنا لسان النبوة يلهج بدرجة هي فوق درجة الإسلام و الإيمان و يعبر عنها بلفظ " الإحسان" و معناها كيفية من اليقين و الاستحضار يجب أن يعمل لها العاملون، ويتنافس فيها المتنافسون، فيسأل الرسول ﷺ ما الإحسان؟ فيقول: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[٣] .

ووجدنا الشريعة و ما أثر عن الرسول ﷺ من الأقوال و الأحوال و دوّنَ في الكتب ينقسم بين قسمين، أفعال و هيئات و أمور محسوسة كقيام و قعود و ركوع و سجود، وتلاوة و تسبيح، و أدعية وأذكار، و أحكام و مناسك قد تكفّل بها الحديث رواية وتدوينا، و الفقه استخراجا و استنباطا و قام بها المحدثون و الفقهاء ـ جزاهم الله عن الأمة خيراً ـ فحفظوا للأمة دينها و سهّلوا لها العمل به.

---

(١) كلها أقوال قيلت في معنى التصوف واشتقاقه. راجع دائرة المعارف للبستاني، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان .

(٢) كشف الظنون ج١ ص ٢٨٠ نقلا عن الإمام القشيري.

(٣) حديث متفق عليه.

www.abulhasanalinadwi.org

و قسم آخر هو كيفيات باطنية كانت تصاحب هذه الأفعال و الهيئات عند الأداء و تلازم الرسول ﷺ قياما و قعودا و ركوعا و سجودا، و داعياو ذاكرا، و آمرا و ناهيا، و في خلوة البيت و ساحة الجهاد، و هو الإخلاص و الاحتساب و الصبر والتوكل و الزهد و غنى القلب و الإيثار و السخاء و الأدب و الحياء و الخشوع في الصلاة و التضرع و الابتهال في الدعاء، والزهد في زخارف الحياة و إيثار الآخرة على العاجلة و الشوق إلى لقاء الله، إلى غير ذلك من كيفيات باطنية و أخلاق إيمانية هي من الشريعة بمنزلة الروح من الجسد و الباطن من الظاهر، و تندرج تحت هذه العناوين تفاصيل و جزئيات و آداب و أحكام تجعل منها علما مستقلا، و فقها منفردا فإن سمّي العلم الذي تكفل بشرح الأول و إيضاحه و تفصيله و الدلالة على طرق تحصيله "فقه الظاهر" سمّي هذا العلم الذي يتكفل بشرح هذه الكيفيات و يدل على طرق الوصول إليها " فقه الباطن".

فكان الأجدر بنا أن نسمي العلم الذي يتكفل بتزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل الشرعية وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية ويدعو إلى كمال الإيمان والحصول على درجة الإحسان والتخلق بالأخلاق النبوية واتباع الرسول ﷺ في صفاته الباطنية وكيفياته الإيمانية كان الأجدر بنا وبالمسلمين أن يسموه " التزكية " أو "الاحسان " أو " فقه الباطن " ولو فعلوا ذلك لانحسم الخلاف وزال الشقاق، وتصالح الفريقان اللذان فرق بينهما المصطلح وباعد بينهما الاستعمال الشائع، فالتزكية والإحسان وفقه الباطن حقائق شرعية علمية، ومفاهيم دينية ثابتة من الكتاب والسنة يقر بها المسلمون جميعا، ولو ترك " المتصوفون " الإلحاح على منهاج عملي خاص للوصول إلى هذه الغاية التي تعبر عنها بالتزكية أو الإحسان أو فقه الباطن، فالمناهج تتغير وتتطور بحسب الزمان والمكان وطبائع الأجيال والظروف المحيطة بها، وألحوا على " الغاية " دون " الوسائل " لم يختلف في هذه القضية اثنان، ولم ينتطح فيها عنزان وخضع الجميع وأقروا بوجود شعبة من الدين وركن من أركان الإسلام يحسن أن نعبر عنه بالتزكية أو الإحسان أو فقه الباطن، وأقروا بأنه روح الشريعة، ولب لباب الدين وحاجة الحياة، فلا كمال للدين ولا صلاح للحياة الاجتماعية، ولا لذة ـ بالمعنى الحقيقي ـ في الحياة الفردية إلا بتحقيق هذه الشعبة في الحياة.

ومن هنا كانت جناية هذا المصطلح والعرف الشائع " التصوف " على هذه الحقيقة الدينية الناصعة عظيمة، فقد حجبتها عن أنظار كثيرة، وصدت فريقا كبيرا من الناس عن سبيلها والحرص على تحصيلها ولكن كان ذلك لأسباب تاريخية يطول ذكرها والأمور تجري كثيرا

على غير الأهواء والمصالح، وليس لنا الآن أن نقرر الحقيقة ونتحرر من القيود والمصطلحات ومن النزعات والتعصبات ولا نفرَّ من حقيقة دينية يقررها الشرع ويدعو إليها الكتاب والسنة وتشتد إليها حاجة المجتمع والفرد لأجل مصطلح محدث أم اسم طارىء دخيل.

ثم جنى على هذه الحقيقة الدينية شيء آخر وهو أنه دخل فيها دجالون ومحترفون وباطنيون وملحدون، اتخذوها وسيلة لتحريف الدين وإضلال المسلمين وإفساد المجتمع ونشر الإباحية، وتزعموا هذا الفن وحملوا لواءه فكان ذلك ضغثا على إبّالة، وزهد فيه ونفر منه أهل الغيرة الدينية والمحافظين على الشريعة الإسلامية وطائفة أخرى من غير المحققين لم يعرفوا روح هذه الشعبة وغايتها ولم يميزوا بين الغاية والوسائل فخلطوا بينها، وألحوا على المسائل أحيانا وضيعوا الغاية أو أدخلوا ما ليس من هذا الفن في صميم هذا الفن وصلبه، وعدوه من الكمالات ومن الغايات المطلوبة وعقدوا المسألة وطولوها، وجعلوا الشيء الذي يكلف به كل مسلم والذي هو لبُّ الدين وحاجة الحياة لغزة وفلسفة ورهبانية لا يجرؤ عليها ولا يطمع فيها إلا من نفض يده من أسباب الحياة ورفض الدنيا وما إليها، ولا شك أن أولئك قليل من قليل في كل عصر وجيل، وليست هذه دعوة الدين ولا أسوة الرسول ولا حكمة الخلق، ولكن الله قيض للمسلمين في كل عصر وجيل من ينفون عن هذا الدين " تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين " ويدعون إلى التزكية الخالصة من شوائب العجمية والفلسفة وإلى "الإحسان" و " فقه الباطن " من غير تحريف، وانتحال وتأويل، ويجددون هذا الطب النبوي لكل عصر وينفخون في الأمة روحا جديدة من الإيمان والإحسان، ويجددون صلة القلوب بالله والأجسام بالأرواح، والمجتمع بالأخلاق، والعلماء بالرَّبانيَّة ويوجدون في الجمهور قوة مقاومة الشهوات وفتنة المال والولد، وزينة الحياة الدنيا وفي الخواص قوة مقاومة صلات الملوك وسياطهم ووعدهم ووعيدهم، والجرأة على الجهر بكلمة حق عند سلطان جائر والاحتساب على الملوك والأمراء والاستهانة بالمظاهر والزخارف، والقناعة باليسير فيستطيع أحدهم أن يقول ـ وقد طلب منه أن يقبل يد الملك ليرضى عنه ـ يا مسكين والله ما أرضاه أن يقبل يدي فضلا عن أن أقبل يده يا قوم أنتم في واد وأنا في واد [١] ويقول بعضهم وقد عرض عليه ملك بلاده أن يقبل شيئا مما آتاه الله من الخير الكثير (إن الله يصف هذه الدنيا بطولها وعرضها بالقلة و الخسة فيقول " قل متاع الدنيا قليل "، وقد رزقك الله جزءاً صغيرا من قطعتها الصغيرة، فلا أرزؤك فيه [٢] ويمد أحدهم رجله إلى أمير جبار، ويرسل إليه هذا الأمير

---

(١) قالها الشيخ عز الدين بن عبد السلام (م ٦٦٠ هـ).

(٢) قالها الشيخ المرزا مظهر الدهلوي أحد كبار الشيوخ النقشبندية في القرن الثاني عشر الهجري.

www.abulhasanalinadwi.org

صرة من الذهب فيرفضها قائلاً " إن من يمد رجله لا يمد يده [١] " .

فلا شك أنه لولا هؤلاء ـ أصحاب النفوس المزكاة ، الذين وصلوا إلى درجة الإحسان وفقه الباطن ـ لانهار المجتمع الإسلامي إيمانا وروحانية وابتلعت موجة " المادية " الطاغية العاتية البقية الباقية من إيمان الأمة وتماسكها ، وضعفت صلة القلوب بالله والحياة بالروح ، والمجتمع بالأخلاق ، وفقد الإخلاص والاحتساب ، وانتشرت الأمراض الباطنية واعتلت القلوب والنفوس وفقد الطبيب ، وتكالب الناس على حطام الدنيا ، وتنافس أهل العلم في الجاه والمال والمناصب ، وغلبه عليهم الطمع والطموح وتعطلت شعبة من أهم شعب النبوة ونيابتها وهي " تزكية النفوس والدعوة إلى الإحسان وفقه الباطن " .

أنظر إلى بلاد ضعفت فيها الدعوة إلى الله والربانية وتزكية النفوس من زمان ، وندر فيها وجود الدعاة إلى الله وتجديد الصلة بالله وإصلاح الباطن ـ بنفوذ الحضارة الغربية أو للقرب من مركزها أو بفعل عوامل أخرى ، أنك تشعر فيها بفراغ هائل لا يملؤه التبحر في العلم ولا التعمق في التفكير ، ولا فضل من ذكاء ، ولا غنى من أدب ولا نسب قريب بلغة الكتاب والسنة ولا نغمة من استقلال ، إنها أزمة روحية وخلقية لا علاج لها ، ومشكلة من أدق مشكلات المجتمع لا حل لها ، فالدهماء والشعب فريسة المادية الرعناء ونهامة المال العمياء والأمراض الاجتماعية والخلقية ، والمثقفون ـ الثقافة الدينية أو المدنية ـ فريسة الحرص على الجاه والمنصب والأمراض الباطنية من حسد وشح ورياء وكبر وأنانية وحب الظهور ونفاق ومداهنة وخضوع للمادة والقوة ، والحركات الاجتماعية والسياسية تفسدها الأغراض وعدم تربية النفوس وضعف القادة ، والمؤسسات يفسدها الخلاف والشقاق وقلة الشعور بالمسئولية والتفكير الزائد في المادة وزيادة الرواتب ، والعلماء يضعف سلطانهم اهتمامهم الزائد بالمظاهر وخوفهم الزائد من الفقر وسخط الخاصة والعامة ، واعتيادهم الزائد للحياة الرخية الناعمة ، ولا علاج لكل ذلك إلا في " التزكية النبوية " التي نطق بها القرآن وبعث لها الرسول ، وفي " الربانية " التي طولب بها العلماء ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران : من الآية٧٩] .

إنني لا ألح على منهاج خاص من التزكية درج عليه جيل من أجيال المسلمين واشتهر في الزمن الأخير بالتصوف ـ من غير حاجة إلى ذلك فقد كان في كلمات الكتاب والسنة ومصطلحاتهما غنى عنه ـ ولا أبرىء طائفة ممن تزعم هذه الدعوة واضطلع بها من نقص في العلم والتفكير أو خطأ في العمل والتطبيق ولا أعتقد عصمتها فكل يخطىء ويصيب ، ولكن لا بد أن نملأ هذا الفراغ الواقع في حياتنا ومجتمعنا ونسد هذا المكان الذي كان

(١) هو عالم دمشق الشيخ سعيد الحلبي من رجال القرن الماضي .

www.abulhasanalinadwi.org

يشغله الدعاة إلى الله والربانيون والمشتغلون بتربية النفوس وتزكيتها وتجديد إيمانها وصلتها بالله والدعوة إلى إصلاح الباطن والعناية بالفرد قبل المجتمع . وأقول للمتحمسين في نقد هؤلاء الدعاة والمنكرين عليهم بلسان الشاعر العربي " الحطيئة " :

أقلو عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم   أو سدو المكان الذي سدوا

وقد كانت الهند مركزا لهذا الصنف من التزكية والدعوة والربانية لأسباب تاريخية خاصة نشرحها في الجزء الثاني من كتابنا " رجال الفكر والدعوة في الإسلام " ونشطت فيها حركة الإصلاح وقويت حتى وصلت إلى أقصى العالم الإسلامي في الغرب والشرق، و وجد فيها مجتهدون استقلوا في تفكيرهم وجددوا هذا الفن وسهلوه لأهل العصر ونقحوه مما التصق به من البدع والزوائد ، واستخلصوا منه خلاصة توافق نفوس أهل العصر وطبائعهم وتقرب الطريق وتيسر الوصول نذكر منهم الإمام الرباني الشيخ أحمد السر هندي (م ١٠٣٤ هـ)، وشيخ الاسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي (م ١١٧٦ هـ)، والسيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (م ١٢٤٦ هـ)، والعالم الرباني مولانا رشيد أحمد الكنكوهي (م ١٣٢٣ هـ) .

وقد كان من خلفائهم المصلح الكبير الشيخ أشرف علي التهانوي (م ١٣٦٢ هـ) الذي هو من كبار علماء هذا العصر الربانيين، وأعظم مؤلف في هذا العصر بالإطلاق[١] ومن أعظم من انتفعت بهم الهند في إصلاح العقيدة والعمل والرجوع إلى الله وإصلاح النفس وانتفع الناس بكتبه انتفاعا لم يعرف لعالم آخر في هذا الزمان وقد شرح الله صدره لتيسير هذه الطريقة ـ التي كانت قد التوت وتعقدت ـ وتقريبها وتنقيح الغايات من الوسائل واللباب من القشور والزوائد وبلغ فيها درجة الإمامة والاجتهاد حتى أقر له كبار العلماء والشيوخ والمربين بالتفرد في هذا الباب والتجديد لهذا الفن ، و وفقه الله عن طريق التربية والتأليف والوعظ لتجلية حقيقة التصوف وإقناع الناس بأهمية والحاجة إليه وتيسره لكل فرد على حسب طبقته وأشغاله وثقافته وعقليته حتى سهل مناله ودنا جناه وأقبل عليه العلماء والزعماء والمؤلفون والموظفون وكبار المثقفين والمعلمين في الجامعات ، وممن تأثر بالحضارة الغربية والفلسفة الحديثة وتعرض للإلحاد والمروق من الدين ، والعاطلون والمشتغلون ، وأهل النبوغ والذكاء وأهل الحرف والصناعات وأصحاب النفوس القوية وأهل الهمم الضعيفة على السواء حتى كان للتصوف وإصلاح الباطن مكانة في الطبقة المثقفة ودولة في هذا العهد المادي .

---

(١) يبلغ عدد مؤلفاته إلى تسعمائة وعشرة كتب .

www.abulhasanalinadwi.org

اختار الله لعرض دعوته وفكرته - التي احتواها آلاف من الصفحات - أستاذنا الكبير الشيخ عبد الباري الندوي أحد تلاميذه الروحيين وقد كان من أجدر الناس بهذا العمل العظيم ، فقد كان معلما للفلسفة الحديثة في الجامعة العثمانية بحيدرآباد ومؤلف كتا ب "بين الدين والعقليات " المشهور وعاش في الوسط الديني والعلمي ، وتخرج في معهد كبير ديني وصحب كبار العلماء والمؤلفين والكتاب في الهند وعاصر دور العقلية والتنور والحرية الفكرية في هذه البلاد ودرس الفلسفة الحديثة بتعمق وتوسع ثم مارس مهنة التعليم في جامعة من أرقى جامعات الهند ودرس طوائف من الشباب الأذكياء النابغين الفلسفة وعلوم الدين واجتاز مراحل القلق الفكري والارتيابية والسوفسطائية ، وكان متصلا بالمدارس الفكرية الحديثة في أوربا ، ثم ساقه سائق التوفيق إلى شيوخ مخلصين في مقدمتهم الشيخ أشرف علي التهانوي الذي خص الأستاذ بالثقة والعناية لذكائه وسلامة فهمه وصدق طلبه حتى حصلت له الإجازة منه ، ودامت الصلة بينه وازدادت توثقا وإحكاما ، ولم تزده الأيام والتجارب إلا إعجابا بشخصية شيخه وثقة بفهمه واجتهاده واستمر اللقاء والمراسلات حتى استأثرت بالشيخ رحمةُ الله (عام ١٣٦٢ هـ).

وانقطع الشيخ بعد ما أحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٥م إلى تلخيص مؤلفاته والاقتباس منها والتقاط الدرر من بحارها ونظمها في أسلوب كتابي عصري ، وعني بعرض فكرته كفكرة جامعة وصورة كاملة في مؤلفاته ، ومن أنفع هذه المؤلفات هذا الكتاب الذي نقدم ترجمته بالعربية واسمه " تجديد التصوف والسلوك " أسميناه بالعربية "بين التصوف والحياة " وهو كتاب يثبت في قوة ووضوح وأسلوب علمي أن الذي اعتاد المتأخرون أن يسموه بالتصوف ، هو لب الإسلام وكمال الإيمان ، وأنه لا يمكن لرجل ما أن ينال بركات الإسلام وثمراته الدينية والدنيوية والفردية والاجتماعية والقومية والسياسية بدون أن يتحقق بهذا الكيف ويعني بإصلاح نفسه - قبل غيره - وتزكيتها وتحليتها بصفة الإحسان وفقه الباطن .

وقد نقل هذا الكتاب القيم الأستاذ محمد الرابع بن رشيد الحسني الندوي أستاذ دار العلوم ندوة العلماء وبذل فيه جهده ومقدارا كبيرا من وقته لأن التصوف قد أصبحت له لغة خاصة وتعبيرات خاصة في الهند يصعب نقلها والتعبير عنها في اللغة العربية على شدة اشتغاله بالدروس والإشراف على قسم الأدب العربي في دار العلوم ونشاطها الأدبي والصحافي .

وللمؤلف شكر القراء والمنتفعين بهذه العلوم الصحيحة النافعة وإعجابهم ، وللمترجم تقديرهم واعترافهم ولكل من له نصيب في هذا العمل دعاؤهم .

في ربيع الأول ١٣٨٠ هـ

أبو الحسن علي الحسني الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

كتاب الزهد الكبير

للإمام المحدث أحمد بن حسين البيهقي

المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

حققه وعلق عليه

الدكتور تقي الدين الندوي

أستاذ الحديث بجامعة الإمارات

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

وبعد ... فقبل أن أقدم هذا الكتاب الجليل ، لعالم جليل من علماء المسلمين ، وإمام كبير في الحديث والسنة ، وهو كتاب ((الزهد الكبير)) للحافظ البيهقي ، وأشيد بمكانته في الكتب الكثيرة التي ألفت في هذا الموضوع وميزاته ، وفوائده ، وأشير إلى مجهود محققه والمعلق عليه ، الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي ، ومدى نجاحه وتوفيقه في إخراج هذا الكتاب .

قبل أن أدخل في صميم الموضوع ، يحسن بي أن أستعرض موقف الإسلام وموقف رسوله ﷺ من هذه الحياة ، وأستعرض نظرة القرآن كذلك ، إلى هذه الحياة ، وتحديده لموقف من يؤمن به منها ، فذلك هو القطب الذي يدور حوله هذا السفر الجليل وكل ما كتب في هذا الموضوع ، وبذلك نستطيع أن نعرف قيمة هذا المجهود العلمي ،

www.abulhasanalinadwi.org

ونقدر على تقييمه تقييماً صحيحاً ، ولو كانت هذه المحاولة ، من إشارات عابرة ، وإحالة على دراسة القرآن ، والسيرة ، والسنة النبوية في تفصيل وعمق .

إن مما لا يشك فيه قارئ القرآن الكريم ، ولو لم يكن من أصحاب التدبر العميق ، والاختصاص في علومه ـ أن القرآن يقرر قصر هذه الحياة الدنيا وتفاهتها وتضاؤلها في جنب الآخرة ، والآيات في ذلك أكثر من أن تستوعب في هذا التقديم[١] ويقرر في صراحة ، ووضوح أنها قنطرة للآخرة وفرصة للعمل[٢] ، ويقرر أن الآخرة هي خير وأبقى[٣] . وهو يذم ويشنع على من يؤثر الدنيا ـ هذه الفائتة العارضة ـ السقيمة الناقصة على الآخرة ، الباقية الخالدة الواسعة ، الصافية من الأكدار ، الخالية من الأخطار ، ويمدح من يجمع بين الدنيا والآخرة ، مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيا ، ومعرفة قيمتها وفضلها والحرص عليها ، فيقول : ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ، وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ .

وهناك تتعارض تعاليم النبوة مع الفلسفات المادية ، والتفكير المادي الذي يلح على أن هذه الحياة هي كل شيء ، وهي المنتهى ، ويبالغ في تمجيدها وتقديسها والاحتفاء بها ، والحرص على ترفيهها ، وتحسينها وتزيينها .

وقد تجلت هذه النفسية القرآنية ، أو النظرة القرآنية إلى الحياة في كلام النبي ﷺ إلى حد لا يحمل معه على بادرة، أو تأثر مؤقت ، وتجلت في سيرته ، وفي حياته العائلية والشخصية ، وفي موقفه من متاع الدنيا، في حالتي الضيق والسعة ، وفي زمن العسر واليسر تجلياً لا يتطرق إليه شك، ولا يتحمل التأويل .

وقد انصبغ كل من تلقى التربية في هذه المدرسة النبوية بهذه الصبغة ، وكان حظ الأقربين إليه أكثر من حظ غيرهم ، فقد سيطرت عليهم فكرة الآخرة ، وجرت منهم مجرى الروح والدم ، ولا يبغون بها بدلاً ، ولا يؤثرون عليها شيئاً ، ويكفي القارئ أن يقرأ سيرة تلاميذ هذه المدرسة ، ولو على طول الأمد وبعد الزمان ، في كتب التاريخ والتراجم ، حتى لا تستطيع العقول التي لم تتلق هذا الفهم القرآني[٤] أن تفهم هذه

---

(١) اقرأ على سبيل المثال سورة براءة (٣٨) ، وسورة العنكبوت (٦٤) ، وسورة الحديد (٣٠) .

(٢) سورة الكهف (٧) ، سورة الملك (٣) .

(٣) سورة الأنعام (٣٢) ، سورة القصص (٦٠) .

(٤) سئلت عائشة رضي الله عنها ، عن أخلاق الرسول ﷺ فقالت : (كان خلقه القرآن).

www.abulhasanalinadwi.org

الفكرة ، وتسيغها إساغة كاملة ، وأن تعطي هؤلاء الربانيين ـ من غير رهبانية ورفض للدنيا وزهد سلبي ـ حقهم من التقدير والإكبار ، ولا تزال في صراع من هذه الأنماط من الحياة ، ومن هذه القصص من التاريخ ، ومن هذا اللون من السلوك وتلتجئ إلى تعليلات أو تشكيكات ، أو حمل على التأثيرات الخارجية أو الأحوال الطارئة .

ولكن الذي لا غموض فيه أن القرآن وسيرة الرسول والحديث النبوي الشريف ، ممتلئ بهذه الروح ، وأن هذا هو المزاج الإسلامي أو النفسية الإسلامية ، التي تتكون تحت تأثير التربية الإسلامية النبوية وكلما استطاع القرآن ، وكلما استطاعت السيرة النبوية أن تعمل عملها بحرية ، ولم تساوره العوامل الأجنبية ، كان ذلك مزاجه وطبيعته ونفسيته ، زهد في هذه الدنيا وزخارفها ، وفضولها ، وقناعة بالقدر الكافي ، واهتمام بالآخرة ، وما ينفع فيها ، وحنين إلى لقاء الرب ، وإيثار ما عند الله واستقبال للموت على الإيمان في سبيل الله [١] .

وعلى هذا الدرب من إيثار الآجلة على العاجلة ، والاستعداد للآخرة ، والحنين إلى نعمائها وسعادتها ، والاقتصاد في أسباب الحياة ، والتبلغ ببلغة منها ، والتزام السداد والاقتصاد ، درجت الأجيال الإسلامية ، ما دام القرآن رائدها ، والسيرة النبوية نموذجها ، والمثال الذي يقتدى به ، ولم يزل يظهر في المجتمع الإسلامي ربانيون ، ورجال كأنهم خلقوا للآخرة ، يكبحون جماح المادية ، ويحدون من سورة النفوس ، ويقفون حاجزاً في سبيل الاسترسال إلى الشهوات ، والانجراف في تيار الحياة المصطنعة ، والمدنية الزائفة ، التي جاءت بها الفتوح الواسعة والثروات المتدفقة ، والحضارات العجمية الدخيلة ، وأعان على ذلك ضعف الدعوة الدينية ، وغياب النماذج العملية المؤثرة ، في الخلفاء والعلماء والموجهين ، ومن ينظر إليهم كقدوة وأسوة ، وهذه هي الطبيعة البشرية ، على مدى العصور ، وشهادة التاريخ ، وقصة الأمم الماضية ((سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)) .

ومن هذه المحاولات الواعية الحكيمة ، للتعديل من هذه الشرّة ، والتخفيف من هذه الشدة ، ورد الأمة الإسلامية (وخاصة المثقفين منهم الذين لم يزالوا ولا يزالون في مركز القيادة والتأثير) ، الكتب التي ألفت في موضوع الزهد ، وقد انبرى له أئمة كبار أمثال ... عبد الله بن المبارك ، والإمام أحمد ، ووكيع ، وحماد ، وابن السري ،

---

(١) اقتباس وتلخيص من كتاب صاحب التقديم ((تأملات في سورة الكهف)) بعنوان نظرة القرآن إلى الحياة الدنيا ، (ص ٧٨ـ ٨٦) ، طبع المختار الإسلامي ـ القاهرة .

www.abulhasanalinadwi.org

والمعافى بن عمران الموصلي ، والحافظ محمد بن فضل بن غزوان الكوفي [١].

وقد عد الباحثون عشرين مؤلفاً في هذا الموضوع .

وأمامنا الآن كتاب ((الزهد الكبير)) ، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي صاحب السُّنن المشهورة المتوفى (٤٥٨هـ) ، وهذا الكتاب يستحق أن يسمى موسوعة في بيان الزهد وأنواعه ، وفي الترغيب فيه وذم الدنيا ، والاسترسال إليها ، وأحوال السلف وقصصهم وأخبارهم ، وفي بيان العزلة والخمول وقواعدهما وآفاقهما وآدابهما ، وقد جاء فيها بحكايات مثيرة منبهة ، تلقي ضوءاً على بعض نواحي المجتمع الإسلامي الاجتماعية ، وما كان يغزوه من علل وأسقام ، لا يخلو منها مجتمع قد بلغ قمته من توسع وتفنن وتأنق ، ولماذا آثر كثير من أصحاب المبادئ والضمائر ، والحريصون على السلامة والاستقامة ، العزلة والخمول ، في هذا المجتمع الهائج المائج ، وقد جمع في هذا الفصل فوائد تاريخية قد جاءت عرضاً ومن غير قصد ، لعلها لا توجد في كتب التاريخ والأدب ، وقد عقد فصلاً (في الجزء الثاني) في ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى وفصلا في قصر الأمل والمبادرة بالعمل قبل بلوغ الأجل ، وكان شأنه في هذا شأنه في الفصول الأخرى في الاستيعاب والاستقصاء .

ولم يكتف المؤلف بالجزأين مع احتوائهما على كل ما يتصل بالموضوع حتى جاء الجزء الثالث ، وقد جاء فيه بخطب ورسائل لكثير من البلغاء والعلماء والأتقياء ، وحكايات ترقق القلوب وتذرف العيون ، وفي الجزء الرابع باب الورع والتقوى وهو كذلك باب مفيد ، وانتهى الكتاب بالجزء الخامس وأكثر أحاديثه مروية وأخبار صحيحة، وأقوال مأثورة من الصحابة والتابعين ، فكان خير ختام .

ويستطيع القارئ الواعي أن يخرج من هذا الكتاب بصورة واضحة أمينة للمجتمع الإسلامي القديم ، وما كان يجيش فيه من نزعات متناقضة ، والدور الإصلاحي والتربوي الذي قام فيه الربانيون ، من هذه الأمة ، وما حدث من رد فعل ضد الموجة الطاغية من الثراء والرخاء والترف الذي اكتسح المجتمع الأموي والعباسي بحكم اتساع الدولة ، وتهيؤ الفرص للبذخ والتوسع في المطاعم والمشارب والسراري والمباني والقصور ، وكان شيئاً طبيعياً وإن لم يكن كله صحيحاً مبرراً ، وكثيراً ما كانت حركة رد الفعل عنيفة لا تخلو من تطرف ومغالاة ، وهنالك ينطق الكتاب المبين ، وتتدخل السنة

---

(١) انتقيت هذه الأسماء من مقدمة الدكتور تقي الدين الندوي ، محقق هذا الكتاب .

www.abulhasanalinadwi.org

الصحيحة البعيدة عن الاتجاهات الفردية والنوازع الداخلية ، والانعكاسات الخارجية، وتميز بين الغث والسمين والخالص والزائف والأصيل والدخيل .

ويغلب على الكتاب المنهج الموسوعي الذي كان من سمات المؤلفين الأقدمين والمحدثين المتوسعين ، ولا شك أن في الحكايات من التأثير والترقيق ما ليس في البحوث العلمية وشق الشعرة في الاسلوب المنطقي ، وفي هذا الكتاب مادة خصبة من هذا النوع ، إلا أن في الكثير من الحكايات شدة ومبالغة تنشأ لأسباب تختص بأصحاب الحكايات ، ومن ردود فعل ومقامات معاكسة لا يتسنى تقليدها لأبناء هذا العصر ، وقد خلط المؤلف الأحاديث المروية بأقوال السلف وأبياتهم في هذا المعنى ، وفي الأبيات الكثيرة التي استشهد بها مجال لمؤرخ الأدب والمعنيين به عسى أن يجدوا فيها ما يرضي الذوق وما فات المدونين للشعر العربي في مختلف العصور والأمصار .

ولعل الكتاب أجمع في هذا الباب والخطيب في المحراب ، وفي هذا العصر الذي قد تعدت المادية طورها ((وضربت الرقم القياسي)) في الرفاهية والمدنية لتقدم العلوم والصناعة واكتشاف الطاقات الباطنية الأرضية ، وضعف الدعوة القائمة على أساس الآخرة .

كان نشر هذا الكتاب وتحقيقه مما يلجم كثيراً من الناس الذين أمعنوا في التمتع بالحياة والاسترسال إلى الشهوات ، والعبث بالمال ، ويحدث فيهم شيئاً من الاقتصاد أو على الأقل يثير فيهم التفكير والاهتمام بما ينفع في الآخرة .

وكان الكتاب على شهرة مؤلفه وجلالة شأنه مطموراً في ركام الكتب الخطية في المكتبات الأثرية ، وقد كان صديقنا الفاضل الدكتور تقي الدين الندوي موفقاً في اختيار هذا الكتاب لرسالة الدكتوراه التي كان قد قدمها إلى الأزهر الشريف ، وقد انتسخ الكتاب من نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة وقابلها مع نسخ أخرى ، وقيد ما كان من اختلاف في النسخ في الهوامش ، وخرج الروايات من كتب أخرى ، خاصة الروايات المرفوعة والموقوفة ، وبيّن درجة كل حديث مرفوع ، واعتمد في ذلك على كلام المحدثين المتقنين ، وأشار إلى تراجم الرواة ، ووضع فهرساً جامعاً للصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم على حروف المعجم ، ووضع فهرساً للأحاديث المرفوعة والموقوفة ، وفي مطلع كل فصل أتى بكلام موجز جامع من كلام المحدثين والعلماء ، وشرح بعض ما دق وغمض من ألفاظ الروايات وعباراتها وفسر غريبها .

وعلاوة على كل ذلك قدم المحقق مقدمة ضافية في الزهد ، فيها بحث طويل ونقول

www.abulhasanalinadwi.org

كثيرة في مكانة الزهد في الإسلام ، وما هو الزهد ، وما هي علاماته ودرجاته ، وجاء بمقتطفات من كلام الغزالي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ ابن قيم الجوزية ، إضافة إلى كلام السلف كالإمام حسن البصري ، وعبد الله بن المبارك ، ومن كلام الصوفية المحققين ، كشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي ، وترجم المؤلف ترجمة وافية ، وألقى الضوء على كل ما يتصل به من نسب ووطن ، و نشأة ورحلات وحياة علمية ، وذكر فضله في الانتصار للمذهب الشافعي والدفاع عن إمامه وورعه وزهده ، وتفصيل رسائله ومؤلفاته ، وبيان شيوخه وتلاميذه ، وقد استقصى ذلك استقصاءاً كبيراً ، ثم أفاض في وصف نسخ الكتاب ، إفاضة تدل على سعة اطلاعه وشدة عنايته بالموضوع.

وإني إذ أكتب هذه السطور تقديماً لهذا الكتاب الجديد ، أهنئ الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي على نجاحه في هذا العمل التحقيقي ، وحسن اختياره للموضوع في عصر وبيئة كثرت فيها البحوث ، ورسائل الدكتوراه على موضوعات تافهة قليلة الجدوى ، بعيدة عن الحياة ، مشوبة بكثير من التشكيك في الحقائق ، والاعتماد الزائد على أقوال المستشرقين ، وأنصاف العلماء من المتجددين ، ولا شك أن الفضل في ذلك ـ بعد توفيق الله تعالى ـ يرجع إلى اشتغاله الطويل بتدريس الحديث الشريف في مراكز علمية دينية كبيرة ، كدار العلوم لندوة العلماء في لكنؤ ، وغيرها من الجامعات [١] ، وتخرجه على الراسخين في العلم والمحدثين الجهابذة كبركة العصر وريحانة الهند العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا السهارنفوري ، والعالم المحدث الواسع الاطلاع فضيلة الشيخ المرحوم حليم عطا ، أستاذ الحديث الشريف بندوة العلماء ، والشيء من معدنه لا يستغرب .

نرجو له من الله التوفيق المزيد والعمر المديد والعمل المفيد ، وعلى الله قصد السبيل .

رائي بريلي ـ الهند

أبو الحسن علي الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء وجامعتها بالهند

١٨/ من رمضان المبارك / ١٤٠١هـ

٢١/ من يوليو / ١٩٨١م

(١) ويدرس حالياً بعض المساقات في الحديث الشريف بجامعة الإمارات ، بمدينة العين مع الاشتغال بوظيفته في دائرة القضاء الشرعي ((أبو ظبي)) .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الرابع

في

الأدب العربي

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

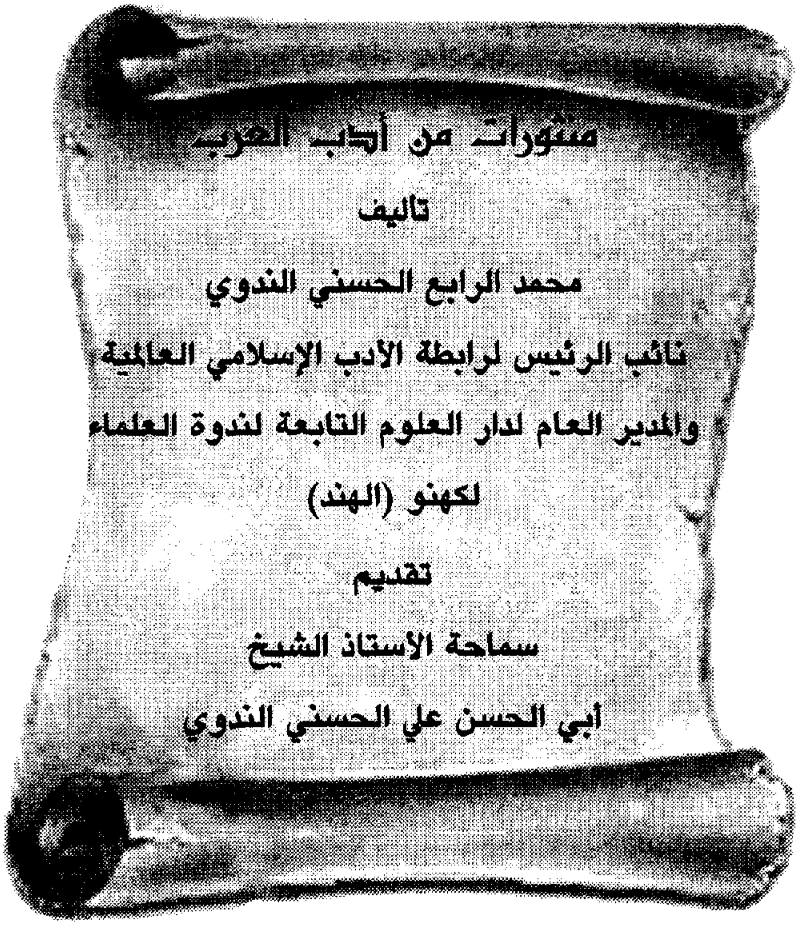

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرني ويسعدني أن أقدم إلى القراء وإلى تلاميذ المدارس العربية في الهند وباكستان كتاب (منثورات) للأستاذ محمد الرابع الحسني .

إن هذا الكتاب حلقة في سلسلة كتب اللغة العربية والأدب العربي التي تكفَّلت ندوة العلماء بوضعها ونشرها وتقديمها إلى شقيقاتها دور التعليم الإسلامي العربي ، وهي سعيدة ومغتبطة بما قدمته من كتب ومجاميع تسد عوزاً كبيراً في اللغة العربية ، وتعرض آدابها عرضاً جميلاً صحيحاً يجدر بمكانة هذه المهمة بإذن الله .

لقد ظلت المدارس العربية ـ كما طاب لها أن تسمي نفسها ـ مقتصرةً في تدريس اللغة والأدب العربي على بضعة كتب في النثر والنظم ، وأصبح الأدب العربي ـ الذي

www.abulhasanalinadwi.org

هو من أوسع الآداب في العالم وأجملها ـ محصوراً في هذه الكتب الأربعة أو الخمسة ، محصوراً فى أسلوب واحد أو أسلوبين وضعت فيهما هذه الكتب ، وهنالك ساء الظن بهذه اللغة وآدابها ، وضاق البيان وفسدت اللغة وضعف التصنيف ، وأصبح ما يكتبه علماء الهند في العربية صورة واحدة لا جدة فيها ولا طرافة ، وهيكلاً عظمياً لا روح فيه ولا دم .

لقد كانت هذه المدارس غير مضطرة إلى هذا الزهد أو القناعة ـ غير المحمودة ـ في تدريس الأدب العربي ، فقد كانت عندها وبمتناول يدها ثروة زاخرة من الأدب العربي الصحيح ، وقد كانت في تصرفها مكتبة واسعة في اللغة العربية والأدب العربي ألا وهي كتب الحديث والسيرة النبوية والمغازي والتاريخ الإسلامي وكتب كبار المؤلفين والمفكرين في الإسلام ، ولكن لم يخطر ببالها يوماً من الأيام أن تفيد من هذه المكتبة العظيمة في ناحية الأدب واللغة ، وفي تعليم البيان العربي والبلاغة العربية ، وظلت متشبثة بآثار الكتَّاب والمؤلفين الذين نشؤوا في عصور الانحطاط الخلقي والجدب الأدبي، مستبدلة الذي هو أدنى بالذي هو خير ، وقد كان شأنها في ذلك شأن شاب غمر ورث من أبيه ثروةً طائلة وكنزاً دفيناً في فناء بيته وهو يعيش في حياة فقرٍ وبؤس ويعاني الجوع والعُرْي .

لم تكن لهذه المدارس ـ لو فهمت معنى اللغة والأدب فهماً صحيحاً ـ إلا أن تعتصر من هذه المكتبة الخصبة قطراتٍ تستعين بها في تدريس اللغة والأدب وإنشاء ملكة البيان وقد كانت هذه المكتبة السخية تستطيع ـ بقليل من الجهد وبقليل من الذوق ـ أن تعطي هذه المدارس ومنهاج التعليم كتباً أدبية أفضل بكثير من الكتب والمنتخبات التي وقع عليها الاختيار في القرن الماضي ، أفضل منها في الناحية الأدبية والفنية ، وفي الناحية الخلقية والدينية ، ولكن هذه المكتبة بقيت مطمورة مختومة لا يفض خاتمها ولا تقلب إلا للاستفادة في الدين والتاريخ والبحوث العلمية ، وهي جديرة بذلك ، إلا أن فيها فضلاً يعود على الأدب واللغة ومادة تُكوّن منها مختارات ومنشورات كثيرة تكون أساساً صالحاً لتدريس الأدب العربي فى مناحيه المختلفة وأساليبه المتنوعة .

لقد انتشرت الإفادة من هذه المكتبة لتدريس الأدب في الأقطار العربية ، وكثرت المجاميع الأدبية والمنتخبات في الأيام الأخيرة إلا أن مؤلفيها اقتصروا ـ في غالب الأحيان ـ على اختيار النصوص الأدبية المجردة من الروح الدينية والفكرة الدينية ، والاختيار ـ كما يعرفه المؤلفون ـ دائماً خاضع لفكرة المؤلف وعقيدته وتربيته ،

www.abulhasanalinadwi.org

والاختيار هو أحد التأليفين أو صورة نفسية للمؤلف ، لذلك جاءت هذه المنتخبات الأدبية التي ألفت في الأقطار العربية لا ترضي رجال التعليم الديني في الهند وباكستان الذين لا ينظرون إلى اللغة العربية إلا كوسيلة للرسوخ في الدين والتشبع بالروح الدينية ، واضطر المؤلفون في الهند والمشتغلون بتعليم الأدب العربي إلى استعراض المكتبة العربية بأنفسهم ، والاقتباس منها من جديد ، حتى يخرجوا منها بكتاب يجمع بين البيان العربي المشرق ، والفكرة الإسلامية الصافية ، والروح الدينية القوية ، والمكتبة العربية تسعف حاجة كل طالب وتبلغ همة كل قاصد .

هذا منهج المؤلف في هذا الكتاب ، الذي أسعد بتقديمه وتلك خطته فيه فإنه اقتبس من كتب السيرة والتاريخ والأدب والدين قطعاً نابضة ، مشرقة الديباجة ، واضحة الفكرة، إسلامية النزعة ، تغذي الملكة الأدبية والعاطفة الدينية في وقت واحد ، وتمثل الأخلاق العربية الفاضلة ، والحضارة الإسلامية المثلى ، وقد جمع فيه المؤلف بين النثر البليغ ، والشعر الرقيق ، والأدب القديم ، والأدب الحديث ، فجاء كتابه مجموعة جامعة تغرس في قلوب الناشئة حب هذه اللغة الكريمة التى يدرسونها ، وحب الأخلاق والأغراض التى يحملها أدبها ، وحب المجتمع الذي عاشت فيه هذه اللغة وآدابها ، ويدفعهم إلى تقليد هذه الأساليب الأدبية السهلة الطبعية ، ويرون أن كل ذلك ميسور، فنشأ فيهم الثقة بنفوسهم وبدينهم ولغتهم وقريحتهم .أكتب هذا وأنا أعرف صعوبة الاختيار وجهد المؤلف لمثل هذه المجموعة على كثرة مصادرها ومراجعها ، لذلك أهنىء المؤلف على الجهد الذي بذله والنجاح الذي أدركه ، و أهنىء ندوة العلماء ، على هذا العمل الصامت المنتج ـ تأليف الكتب الدراسية ـ فإنه جزء مهم في برنامجها الإصلاحي الضخم الذي قامت لأجله وأسست دارالعلوم ، وأرجو أن تتسع دائرة الإفادة من جهودها في المستقبل. ومع اليوم غد .

أبو الحسن علي الحسني

دار العلوم ندوة العلماء لكهنو

٢٨ ـ ٧ ـ ١٣٧٧ هـ

www.abulhasanalinadwi.org

الأدب العربي بين عرض ونقد

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام كبيرة هي

أولاً حقيقة الأدب

وثانياً التحليل والنقد

وثالثاً النماذج

تاليف

محمد الرابع الحسني الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

وبعد: فمما يسعد الإنسان ويسره أن يطلع على جهود زملائه والعاملين تحت إشرافه ومسؤليته ، ويقدم منتجاتهم ومجهوداتهم العلمية والأدبية إلى العاملين في حقل التعليم والدراسة وخدمة العلم والدين .

وقد قدرت لي هذه السعادة والغبطة ، وهذا السرور والهناء مراراً وتكراراً ، فقد قدمت لغير كتاب أو مجموعة في اللغة والأدب والإنشاء والكتابة لعدد من المشتغلين بالتعليم والتأليف في دارالعلوم لندوة العلماء ، وها أنا ذا أشعر بهذه الكرامة وبهذه اللذة

والغبطة من جديد حين أقدم لهذا الكتاب الذي يسد حاجة وفراغا في مكتبة تدريس اللغة العربية والأدب العربي في الهند ، وهو الفراغ الذي قد ظل باقياً بعد ما ألفت مجموعات ومختارات للقطع الأدبية الرائعة ، والتي نالت إعجاب رجال التعليم وأصحاب الذوق السليم في بعض البلاد العربية ، وهو الكتاب الذي يجمع بين النصوص الأدبية وبين لمحة من تاريخ الأدب العربي ، وما مر به من أدوار وأطوار ، وما واجهه من نزعات وتيارات وأحداث وعوامل ، تسبغ عليه لوناً جديداً ويجعل القارىء على بصيرة من أمر هذا الأدب الذي لم يزل يمر بأدوار من الطفولة والشباب والكهولة ، ومن الآفات والعلل والمؤثرات الخارجية ، والصحيح والسقيم والصالح والطالح ، والطبيعي والمصنوع من الأجواء التي تكتنفه والحوادث التي تقع حوله والقوى والطاقات التي تؤثر ، كما يمر بها كل كائن حي ويخضع لها في قليل أو كثير كل إنسان واع ، مرهف الحس رقيق الشعور ، والأدب العربي كأدب كل أمة وبلاد أو أكثر من أدب كل أمة وبلاد ، فائض بالحيوية والنمو ، صالح للتطور والتكيف ، مستعد للمسايرة والزمالة ، متجاوب مع روح كل عصر ، متناغم مع نداءاته ومطالبه ، إذن لم يكن غريباً ولا قبيحاً أن يخضع لهذه القوى والطاقات ، ويكتسب لوناً جديداً لوناً يطلبه العصر ويريده المجتمع ويفرضه واقع الحياة .

لقد تضخم موضوع النقد الأدبي في هذا العصر وتوسع توسعاً كبيراً لا يخلو من إسراف ومبالغة وتقصير ، وقد خصص له في كل جامعة ركن وكرسي، وكان من أكثر المواد التي عني بها الباحثون والمؤلفون والمعلمون المحترفون والمتطفلون ، حتى أصبح من الصعب أو المستحيل استعراض كل ما كتب فيه والحكم عليه بالصحة والأصالة أو مطابقة الذوق الصحيح والمنطق السليم ، وكانت مناهج دراسة الأدب العربي في شبه القارة الهندية خالية من كل مفهوم للنقد الأدبي، ولم يكن معقولا ولا عملياً تقليد المناهج الأجنبية في الإكثار من مادة النقد وتوسيعها والتدقيق فيها في بلاد لا تتصل بهذه اللغة الكريمة وبهذا الأدب الغني الجميل ، إلا عن طريق الدين وعلومه ، وإلا عن طريق القرآن والحديث ولم يكن معقولا كذلك أن يخل بهذه الناحية إخلالا تاما ، فيشعر الدارس للأدب العربي في هذه القارة كأنه يسير في نفق مظلم مسدود لا منفذ فيه للنور والهواء ، فلا يتبين الأشخاص ولا يرى ملامحهم ولا يعرف طبقاتهم ومستوياتهم .

فكان لا بد من التوسط والعمل بالمبدأ الحكيم القديم (ما لا يدرك كله لا يترك كله) وكان لا بد من تعريف بهذه النصوص وأصحابها وتحليل عناصرها وأساليبها ، والإشارة إلى العوامل التى أثرت في تكوينها وتلوينها ، ولا بد من إشارة إلى الأدوار المختلفة التي مر بها هذا الأدب الحي النامي في رحلته الطويلة المليئة بالأحداث والتقلبات،

www.abulhasanalinadwi.org

ولابد من إثارة الشعور الأدبي الكامن في كل شاب معتدل الفطرة ، وتحريك حاسته الشعرية والنقدية التي تتذوق كل رقيق رائق ، وتتمتع بكل جمال فاتن ، ومن لم يرزق هذا الشعور وهذه الحاسة لم يكن أهلا لدراسة الأدب العربي ، وبالأصح لم يكن جديراً بالتقدم والنجاح في هذا الموضوع .

وجاء هذا الكتاب وسطاً بين العرض والنقد والجمع والتاريخ وهي الحلقة الأخيرة في سلسلة تدريس الأدب العربي والحلقة الأولى في سلسلة تدريس النقد الأدبي ، وعلى هذا الأساس يقدر عمل المؤلف ، فينظر إليه ويحكم عليه على أنه أول كتاب يوضع لشباب لم يعرفوا من الأدب العربي إلا مجموعات ومختارات في النثر والشعر ، ومعلومات بسيطة بدائية عن تاريخ الأدب العربي، وسيعملون إذا وفقوا في حقول التعليم وفي مجالات الأدب والثقافة والتأليف في شبه القارة الهندية ، وهي محاولة سريعة في هذا الموضوع ، ومجموع إملاءات كان يتقدم بها المؤلف إلى تلاميذه في الفصول ، وهو مرهق بأعمال تدريسية مضنية كما هو الشأن في مدارس الهند ، التي يكثر فيها الدروس ويقل فيها المعلمون ، إذن لا يستغرب إذا وجد القارىء المتبصر في هذه المادة قضايا أو أحكاما أو آراء لا يقرها ولا يوافق عليها ، ولا يخلو من آراء سيعدل عنها المؤلف بدوره في الطبعات التالية :

يسرني أن أقدم هذا الكتاب ويؤسفني كذلك أن أقدمه إلى الأوساط التعليمية والأدبية في الهند ، وهي لم تصل بعد إلى المرحلة التى تستطيع أن تقدر فيها هذه الجهود التي تبذلها ندوة العلماء وتنتفع بثمراتها ، ولا تزال المدارس التي تعلم اللغة العربية والأدب العربي تنظر إلى من قال قبل أن تنظر إلى ما قيل ، وتنظر إلى المصدر قبل أن تنظر إلى الصادر ، وتحكم على الأشياء وقيمتها بموازين خاصة ومعايير أشخاص وأحزاب وأوساط ، ورغم ذلك ، فإن الكاتب واثق بأن هذه الجهود ستثمر في يوم من الأيام وتلقى من التقدير والترحيب ما تستحق ، وليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

ندوة العلماء لكهنو (الهند)

٢٣ ـ ٧ ـ ٨٥ هـ

١٨ ـ ١١ ـ ٦٥ م

يوم الخميس

www.abulhasanalinadwi.org

الأدب الإسلامي وصلته بالحياة

مع نماذج من صدر الإسلام

تأليف

محمد الرابع الحسني الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وعلمه البيان ، وأرسل رسله بالهدى والتبيان ، وأرسل أشرفهم وخاتمهم بأشرف كتاب وأبلغ بيان ، وبعد :

فقد بقي الأدب في فترات طويلة من التاريخ في كثير من الأمم تحت رحمة الأدباء والكتاب ، والباحثين والمؤرخين ، الذين اعتادوا أن لا ينظروا إليه إلا من زاوية الصناعة والفن ولا يعتبروه في غالب الأحوال ـ إلا أداة تسلية ، أو آلة طرب ، أو طريقة إظهار براعة ، أو وسيلة تحقيق مآرب ، أشبه شيء بفن من فنون الوشي والتطريز ، أو التحلية والتطرية ، أو مظهر من مظاهر (الفروسية) ـ بأوسع معانيها ـ الكلامية ، أو (السياسة البلاغية) ، وكان شبيهاً ببلبل غِرِّيد سجين ، فإذا كان طائراً مدللاً في قفص من ذهب، تقدم له أطايب الطعام والشراب ، في صحاف من ذهب وأكواب ، تغني بمدح سيده بأطيب الألحان ، وإن كان طائراً مهجوراً في قفص ، أسلاكه من حديد ، يضيق عليه في الطعام والشراب ، ويقتر عليه في الرزق ، صدع بالهجاء والرثاء ، والعتاب والسباب ، أما أن يكون طائراً حراً طليقاً ، يرفرف بجناحيه ، ويطير في الأجواء ، ويحلق في السماء ، ويقتات كيف يشاء ، ويسجع كيف يشاء ، فلا .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان من المؤسف أن الأدب ظل مدة طويلة تحت رحمة هؤلاء الباحثين والمؤرخين، تعريفاً ووصفاً ، وعرضاً وتحليلاً ، ووزناً وتقييماً ، وتاريخاً وترجمة ، فلا يتعرف به من بدأ يشدو في لغة من اللغات ، أو يريد أن يتذوق الجمال في أدب أمته ، ويطلع على مقدرتها البيانية ، إلا في الإطار الضيق ، والتصور القاصر ، ويؤلف كاتب أو مؤرخ كتابه في وصف الأدب والأديب ، ويعرض أمثلة ونماذج من الأدب المنثور ، والكتابة البليغة ، فيختار أكثرها تنميقاً وأغناها زخرفة لفظية ، وبلاغة صناعية ، ويأتي الآخرون فيترسمون خطاه ، فإما يكتفون بنقل ما اختاره المؤلف الأول ، وإما ينتهجون منهجه في النقل والاختيار ، ولا يتعبون أنفسهم في استعراض ذخائر الأدب استعراضاً جديداً ، واستخراج نفائس من الثروة الأدبية المطمورة ، وبذلك يطغى لون واحد من الأدب على جميع ألوانه وأساليبه ، ويتصور كثير من دارسي الأدب ـ حتى أصحاب الاختصاص والبحوث فيه ـ أن أدب هذه الأمة قد استُنفدت قوته ، وأثيرت دفائنه ، وقد أصبح من قبيل إضاعة الوقت والعودة إليه مرة أخرى ، والبحث فيه عن شيء جديد مع أن ما استخرج منه وعرض في مجاميعه الأدبية ، إنما هو غَرْف من بحر ، وأن المكتبة الأدبية ـ نقولها عن الأدب العربي الذي ألممنا به بعض الإلمام بصفة خاصة ـ تكاد تكون رِكازاً أدبياً ، تنتظر همماً عالية ، ونظرات واسعة ، وأيدياً أمينة قوية ، وتصوراً للأدب صحيحاً واسعاً ، وهياماً بالجمال والقوة والحياة وبلاغة التعبير ودقة التصوير ومس القلوب وإثارة النفوس والقدرة على تحريك العاطفة وحاسة الجمال ، وإن وُجد ذلك في مجال أطبق الأدباء المقلدون على أنه لا صلة له بالأدب والبلاغة ، بل هو والأدب على طرفي نقيض ، وقد بقي الأدب التقليدي ـ وبالأصح الأديب المقلد ـ قروناً متطاولة يَعاف هذا الضرب من البيان ، ويأنف من الدنو منه أو الاعتزاء إليه ، كالوعظ والإرشاد ، وكلام الزهد والنسك والعقائد والديانات ، والطب والعلوم الرياضية وعلم الحيوان والنبات ، وعلم النفس ، والرسائل التي كتبت بطريقة طبيعية لا يتصور كاتبها أنه سيطلع عليها أديب ، أو تنتشر في زمن من الأزمان ، كرسالة الأم إلى أبنائها ، أو الأخ الكبير إلى أخيه الصغير ، أو مذكرات ويوميات ، أو انطباعات أو انعكاسات ، يقيدها كاتبها لنفسه ، وقد يحب أن لا يطلع عليها غيره ، وقد تكون هذه القطع أكثر جمالاً ، وأقوى تأثيراً ومثالاً للبلاغة ، من كثير مما كتبه الكاتبون ليُخلِّدَ ذكرهم ويضفي عليهم ألقاب البليغ الكبير ، والكاتب القدير ، والأديب الشهير ، لأن الأول أقرب إلى الطبيعة وأكثر اتصالاً بالحياة ، وأصدق تعبيراً عن خَلَجات النفس ودقات القلب ، وأسرع دخولاً إلى أعماق النفس الإنسانية ، وأكثر مساً للقلوب وتحريكاً للمشاعر ، والثاني يفقد هذه

www.abulhasanalinadwi.org

المعاني ، ويتجرد من هذه الأوصاف .

ويحلو لي أن أنقل هنا قطعة مما جاء في مفتتح هذا الكتاب الذي نقدم له تحت عنوان ((صلة الأدب بالحياة)) ، يقول المؤلف : ((الأدب يمثل الحياة ويصورها ، ويعرض على القارئ والسامع صوراً تنعكس وتبدو من مجالات العيش المختلفة ، ويعرض عرضاً جميلاً ومؤثراً لشتى جوانبها وأشكالها ، فتبدو فيه ملامح الكون والحياة وأشكالها المتنوعة ، فعندما يفوتنا النظر إلى الحياة مباشرة ، ننظر إليها ونشاهدها في مرآة الأدب ، شريطة أن يجيد الأدب عمله ، وتصدق من صاحبه مقدرته ، وتحسُن ملكته ، وبذلك يصبح الأدب سبباً لتخليد أحداث الحياة وصورها ، فهي تُلْمَسُ وتشاهد ـ ولو بعد وقوعها بزمن بعيد ـ إذا بقيت العبارة المصورة لها ، وبقي التعبير الفني الجميل عنها ، وبقيت معانيها وكلماتها مفهومة مثلما كانت مفهومة في أوانها .

فبالأدب يصل الإنسان إلى فهم ظواهر الحياة وتذوق كيفياتها ، وقد يكون هذا الفهم والتذوق أحسن وأقوى من فهمها وتذوقها مباشرة بغير واسطة الأدب ، ولو أن الظواهر الحقيقية هي أقرب منالاً ، ومن السهل أن تُسْبرَ أغوارها بصورة مباشرة ، ولكن الأدب ينوب عن ذلك مناباً كبيراً وواسعاً إذا اختفت أو غابت الظواهر الحقيقية والوقائع العلمية .

ويتسع الأدب باتساع الحياة ، وتعدد جوانبه ونواحيه كما تتعدد جوانب الحياة ونواحيها ، ويستطيع به القارئ أو السامع أن يُطِلَّ على حياة البعيدين في المكان أو السالفين في الزمان ، مهما قَدُمَ تاريخهم أو بعدت أوطانهم)) .

وقد كان قلب هذه النظرية الخاطئة الطارئة على الأدب العربي ـ التي أساءت إلى قيمة اللغة العربية وسعتها وجمالها وتدفقها بالحياة ـ وإدالة الأدب العربي ممن صوره تصويراً قاتماً كالحاً عبوساً ، والإنصاف له ، وإيتاؤه حقه من الجهاد في سبيله ، وإنقاذه ممن جَنَوْا عليه ، يحتاج كل ذلك إلى خطوة جريئة وشيء من الثورة في التفكير ، ومغامرة في سبيل تحريره من أسر المحتكرين له ، ولتاريخه وتعريفه ، الذين حفروا حوله خنادق لايتخطاها إلاّ مجازف بنفسه وشهرته ، ونصبوا حوله سُرادقات لا يدخلها إلا من تزيّ بزيِّ الأدب ، وحمل شهادة مكتوبة بأقلام هؤلاء المحتكرين .

ولعل دار العلوم التابعة لندوة العلماء كانت في مقدمة من خطا هذه الخطوة الجريئة، نحو إبانة الأدب العربي الصحيح ، الحي القوي ، الجميل الجليل ، الذي بقي قروناً

www.abulhasanalinadwi.org

طويلة مطموراً في صفحات من الكتب التي أُبعدت عن ركن الأدب والبيان في المكتبة العربية العالمية ، ووضعت في ناحية بعيدة عن الأدب ، بحيث لا يتبادر إليها ذهن مؤرخ الأدب ، ولا باحث في البيان والبلاغة ، وكان نتيجة هذه المغامرة الأدبية أو الثورة في عالم الجمع والتأليف ، كتاب ((مختارات في الأدب العربي)) ، في جزأين و ((مقدمته)) التي نادت بهذه الحقيقة بصوت عال ، ولكن في أسلوب أدبي ، وكتاب ((منثورات من الأدب)) ، و ((الأدب العربي بين عرض ونقد)) ، وكلاهما لصاحب هذا الكتاب الذي نقدم له .

ثم كان من ضمن هذه المساعي المشكورة والخطوات الجريئة المبرورة ، عقد ندوة عالمية للأدب الإسلامي في رحاب دار العلوم ندوة العلماء في ١١/ ١٢/ ١٣ من جمادى الآخرة عام ١٤٠١هـ حضرها عدد وجيه مشرف من عمداء الأدب العربي في كثير من الجامعات العربية والهندية ، والمشتغلين بالبحث والتدريس والتأليف في الأدب العربي، وكان صاحب هذا الكتاب السيد محمد الرابع الحسني الندوي الذي نقدم له ، في مقدمة من تبنى هذه الفكرة ، وحمل أعباء هذه الندوة ، ويرجع إليه الفضل فيما حققته هذه الندوة من نجاح ، وحازته من ثقة ،وكَسَبته من شهرة ، وقد كان جديراً بذلك لأنه عميد كلية اللغة العربية وآدابها في جامعة دار العلوم لندوة العلماء ، والداعي إلى هذه الفكرة من زمن قديم على بصيرة ، والمطلع على أحدث ما كتب ويكتب في هذا الموضوع ، ولأنه كثير التردد والزيارة للعواصم العربية ، ومراكز الثقافة الإسلامية الأدبية ، ورئيس تحرير صحيفة ((الرائد)) .

وقد كتب السيد محمد الرابع هذا البحث ليُعْرَضَ في هذه الندوة ، وعنوانه ((الأدب الإسلامي وصلته بالحياة)) ، وقد بحث فيه صلة الأدب بالإسلام بصفة خاصة ، وقد شرح جوانب هذا البحث في توسع وإيجاز ، وبين ميزة الأدب الإسلامي بين الآداب العالمية وسعته ، وعُني باهتمام الرسول ﷺ وصحابته ﷺ أجمعين بالأدب والشعر بصفة خاصة ، وعرض نماذج رائعة وقطعاً بيانية خالدة من كلام الرسول ﷺ ، ورفع اللثام عن خصائص الأدب النبوي الكريم ، وما يمتاز به من الشعور الرقيق ، والعاطفة الفياضة ، والأسلوب الجَزْل ، والمنهج التربوي الحكيم ، ثم تعرض لأدب الصحابة ﷺ ، وأشار إلى جوانبه البلاغية ، والنفسية ، والدعوية ، وبكل ذلك جاء هذا الكتاب على وجازته غنياً بالمواد البلاغية والتاريخية ، دافقاً بالحيوية ، والقوة والرشاقة ، يُشكر عليه صاحبه، ويُعترف بمجهوده وسلامة ذوقه وسعة اطلاعه ، ويُقدم إلى قراء العربية

www.abulhasanalinadwi.org

والمعنيين بأدبها وتاريخها كهدية من ندوة العلماء ومن مكتب الندوة العالمية للأدب العربي ومكتبتها الوليدة الناشئة ، يَحْمَدُ الله على ذلك كاتب هذه السطور والمقدم لهذا الكتاب بصفته خادماً وأحد المسؤولين عن الندوتين ، ندوة العلماء ، والندوة العالمية للأدب الإسلامي، والمساهمين فيهما .

والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على نبيه في الأولين والآخرين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

بومباي . يوم الأربعاء ٢٦/ ذي الحجة ١٤٠٣هـ ٥/ ١٠/ ١٩٨٣م .

www.abulhasanalinadwi.org

تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

تأليف

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

وبعد: فما تحقق وظهر جلياً في العصور الأخيرة ، أن تاريخ الأمم والحكومات ، والحضارات ، والثقافات ، والمجتمعات ، والبيئات ، حتى تاريخ العلوم والآداب ـ بما فيها تاريخ الأدب والشعر ـ خاضع في كثير من الأحوال لاتجاه المؤلف وذوقه ، وفي بعض الأحيان لأهدافه الدقيقة وأغراضه البعيدة ، فإن الباحث يجد لكل ما يريده ، مادة غنية منثورة مبعثرة في كتب التاريخ ، والقصص والحكايات ، والمحاضرات والفكاهات ، حتى في كتب الرحلات والمذكرات ، لو جمعت في مكان واحد ، بلباقة كتابية وقدرة تأليفية ، لكونت كومة من الدلائل الواضحة والبراهين الساطعة ، على أنه كان يسود هنالك لون خاص من الحياة على المجتمع كله ، وعلى أن الأدب والشعر ، والإبداع والابتكار ، والعبقرية البيانية أو الخيالية ، كانت تدور حول محور خاص ، وتتدفق من منبع خاص ، قد تكون النهامة بإشباع الغرائز ، والتمتع الزائد بالحياة ، والاندفاع المتهور إلى التيارات أو الترفيه ، والتسلية ، والوصول إلى أغراض مادية ، فمن اقتصر على قراءة كتاب ((الأغاني)) لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ، أو ديوان بشار بن برد (ت ١٦٨هـ) ،

www.abulhasanalinadwi.org

وأبي نواس (ت ١٩٩هـ) ، من الشعر العربي ، اقتنع بأن المجتمع الإسلامي العربي في العصر العباسي كان مجتمعاً مترهلاً بطراً ، وفق التعبير القرآني .

يضاف إلى ذلك أن المؤرخ أو المؤلف في موضوع وصف حضارة وتحليل عناصرها وتركيبها النفسي والحضاري ، لو اقتصر على كتاب للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، أو كتب في حكايات المتطفلين والعيارين ، استطاع أن يثبت أن المجتمع في العصر العباسي مثلاً كان متصبغاً ـ بجزء كبير وسمة بارزة ـ بسجية البخل ، الذي كان العرب في جاهليتهم وإسلامهم من أبعد الأمم عنه ، فضلاً عما جاء الإسلام به من حث على الجود، وإيثار الغير على النفس ، ومكارم الأخلاق والشهامة ، واستنتج بذلك بعض المتأملين في القرآن والمتدبرين له ، حكمة ورود ذم الإسراف والتبذير في القرآن أكثر من ذم البخل ، حتى ورد في ذم التبذير من الكلام القوي العنيف اللاذع ما لم يرد في ذم البخل ، فقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ ، وذلك لأن البخل لم يكن من سجايا العرب ، ولا يتفق مع طبيعتهم الأصيلة ، ولم تكن حاجة إلى التشنيع عليه ، واستهجانه لهذا القدر .

ومن قرأ كتاب الأذكياء للإمام الحافظ ابن الجوزي ، وبابه الخاص بفطن المتطفلين، استنتج أنه كان للمتطفلين والعيارين دولة وصولة في هذه العصور الذهبية ، مع أن ذلك كان من الحوادث النادرة التي لا يخلو منها عصر من العصور ، قد ضخمها ولونها القصاصون والفكاهيون ((للسمر والتسلية)) ، وإزالة السآمة ، وإدخال السرور على المجلس ، وحرصاً على التنادر .

وكذلك من اقتصرت دراسته على كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم ، أو صفة الصفوة لابن الجوزي ، أو ((إحياء العلوم)) للغزالي أو كتب في الزهد ، وأخبار الزهاد لشيخ الإسلام عبد الله بن المبارك وغيره ، استطاع أن يصور للقارئ ، الجانب المشرق الرباني من المجتمع الإسلامي وحده ، ويعطي انطباعاً للقارئ أن المجتمع الإسلامي في بغداد وفي العواصم الإسلامية كان مجتمعاً ـ مئة في المئة ـ متبتلاً زاهداً ، مقبلاً على الآخرة بالكلية ، عزوفاً عن اللذات والشهوات ، مع أنه كان يوجد كل هذا بنسب مختلفة ، ولكن القضية قضية التناسب ، وقضية المقارنة العادلة وتجريد الفكر والقلم عن الخضوع ـ وبالأصح إخضاع الحوادث والمادة التاريخية ـ لنزعة خاصة أو أغراض غامضة أحياناً ، واضحة أخرى .

ثم إن عملية الكتابة والتأليف في تراجم الرجال ، أو تاريخ عهد ، أو حضارة ، أو دين أو دعوة ، أو حركة وفلسفة ، لا تنتهي في فترة زمنية أو مدرسة تأليفية ، فلا تزال

www.abulhasanalinadwi.org

هنالك حلقات مفقودة طيلة قرون ، يعثر عليها فجأة ، أو مطمورة في ركام من التفاصيل والجزئيات ، ينفض عنها الغبار الذي تراكم عليها ، أو الأنقاض التي غطتها ، فلا بد من مواصلة البحث وهمة عالية ، وثقة بوجود الجديد المجهول ، والطريف المغمور في المكتبة العربية الإسلامية ، التي هي من أغنى المكتبات وأوسعها ، فيها كتب أو مخطوطات لم تر ضوء الشمس ، ولم تصل إليها يد متناول ، وبذلك تقدمت الثقافات، واكتشفت الحقائق الجديدة ، وتغيرت الآراء والنظريات ، وأصلحت الأخطاء، وأنصف لدعوات وحركات وأسر وشخصيات أو مجتمعات أو حضارات ، ولا تزال المكتبات في الشرق والغرب تطلع بالجديد المجهول الذي كان يتسامع به علماء ذلك الفن ، ولا يجدونه فلا بد من الإفادة من ذلك .

ترجع الحكاية إلى الثلاثينات الأولى من القرن الميلادي الجاري ، حين أسند إلى الكاتب ـ مع ما أسند إليه من دروس في التفسير والحديث واللغة والأدب ـ تدريس كتاب «تاريخ الأدب العربي» ، للأستاذ أحمد حسن الزيات ، فكان ذلك هو الكتاب الحديث الأحدث في موضوعه ، وكان كتاباً له قيمة أدبية موضوعية ، واشتغل الكاتب بتدريسه في صف من صفوف دار العلوم التابعة لندوة العلماء عدة سنين ، هذا مع اطلاع سابق على كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان وغيره من كتب ألفت في هذا الموضوع ، فكان مع تقديره لهذا الكتاب الذي جمع بين بحث رصين ، واختيارٍ موفق للنماذج الشعرية والنثرية ، وكتابة أدبية في أسلوب عصري جميل ، يشعر بحاجة إلى تأليف جديد في تاريخ الأدب والأدباء والشعر والشعراء ، من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث أصالة ، ما لم يكتب في هذا الموضوع بالتحديد ، ولكنه يتصل به بنسب قريب أو بعيد ، أو لا يتصل به أصلاً ، ولكنه يفاجئ القارئ والباحث بجوانب جديدة ، أو يجعله يتأمل في ما آمن به واقتنع به من نظريات وآراء في منازل الأدباء والشعراء ، والنزعات التي كانت تسود على عصرهم وبيئتهم، وتعمل عملها في شعرهم وتفكيرهم .

وكنت أحب أن أتفرغ لهذا العمل وأغامر بنفسي في هذه المرحلة الطويلة المثيرة لكثير من الاستغراب والاستنكار ، وأعطي بعض الأقطار التي تكونت فيها مدرسة أدبية شعرية نقدية جديدة ، ومثلت دوراً خاصاً في تاريخ الأدب والشعر ، والبحث والتحقيق، والمعاجم والشروح وشرح المصطلحات العلمية وعلم البلاغة .

أخص منها شبه القارة الهندية التي انتهت إليها رئاسة بعض العلوم الدينية والأدبية ، بعد القرن الثامن الهجري بصفة عامة ، وهجوم التتار على الشرق البعيد الذي كان موطن

www.abulhasanalinadwi.org

العلوم ومركز الدراسات الإسلامية ، والشرق العربي بما فيه العراق ومصر والشام بصفة خاصة ، فقد أغفل ذلك أكثر المؤرخين للثقافة الإسلامية والأدب والشعر ، لا عن عصبية جنسية أو نزعة سياسية ، ولكن لقلة وجود المصادر العربية في هذا الموضوع[١] ، ولكن صرفت عنه صوارف ، منها أعماله التأليفية في تعليم اللغة والأدب في بلاد كالهند، منها سلسلة «قصص النبيين للأطفال والقراءة الراشدة» وكتاب «مختارات من أدب العرب» ، ومنها أنه كان يستعظم هذا العمل ويعتبره عملاً مجمعياً موسوعياً يقوم به مجمع علمي أو جماعة من الأساتذة الذين مارسوا تدريس هذه المادة سنين طوالاً ، واتسع اطلاعهم على مصادره ومظانه .

ولكن رغم تهيبه لهذا العمل العملاق الكبير كانت فكرة استعراض المكتبة الأدبية العربية ـ النثرية والشعرية ـ من جديد ، وإثارة الكنوز الدفينة فيها ، وإدالة الأدب المطبوع النابع من أعماق القلب أو العقيدة الراسخة ، والفكرة القاهرة ، والمعبر عن ضمير حر سليم ، من الأدب المصنوع المتكلف ـ إذا لم نقل المحترف الانتهازي ـ وإعطاء حقه من العناية والتقليد ، والإجلال والتقدير ، كانت تنتابه وتتردد في خاطره ، فكتب مقالاً لمجلة اللغة العربية ، مجلة «المجمع العلمي العربي [٢] » بدمشق حين اختير الكاتب عضواً مراسلاً فيه سنة (١٩٥٧م) بعنوان : «نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي» وقد استرعى هذا المقال انتباه المعنيين بالأدب العربي وعرضه من جديد ، وإعداد البحوث العلمية فيه ، وأَوْلَوْهُ من التقدير والاهتمام ما لم يكن يتوقعهما كاتب المقال [٣].

ولم تزل فكرة وضع كتاب جديد أو سلسلة كتب في تاريخ الأدب العربي في مختلف الأدوار ، ومختلف الأقطار ، تراود خاطر الكاتب ، وتتردد بين حين وآخر ، ولعل هذه العملية الفنية كانت تتأخر كثيراً ولا تتحقق أصلاً لعلو سن الكاتب وانصرافه إلى مجالات أخرى من التأليف والدعوة ومسؤوليات نيطت به في بلاده وخارج بلاده ، ولكن أراد الله

---

(١) وذلك الذي حمل العلامة السيد عبد الحي الحسني (ت ١٣٤١ هـ) والد كاتب هذه السطور ، على أن يؤلف كتابه الكبير ((الثقافة الإسلامية في الهند)) ، الذي لا يزال المرجع الوحيد لإنتاج علماء الهند العلمي الديني والأدبي بعد دخول الإسلام في هذه البلاد إلى وفاة المؤلف ، وقد صدرت له طبعتان من مجمع اللغة العربية في دمشق .

(٢) مجمع اللغة العربية حالياً .

(٣) يمكن الإطلاع على هذا المقال في مجموع مقالات للكاتب ((نظرات في الأدب)) من مطبوعات رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، (طبع دار القلم بدمشق ص ٢١ـ ٢٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

أن تناط هذه العملية التحقيقية البحثية التي هي في صميم تعليم اللغة العربية ، وآدابها بندوة العلماء ، والتي كان لها شرف الدعوة إلى تعليم اللغة العربية ، على الطريقة القويمة الصحيحة ، ودراستها كلغة حية ، نامية دافقة بالقوة والحيوية تقضي حاجات النفس كما هي تقضي حاجات العصر ، وأن تكون مكتفية في تعليم تاريخ الأدب العربي ، كما كانت مكتفية في عديد من أقسام العلوم والمجالات العلمية والتعليمية .

فكانت للكاتب مفاجأة سارة حين علم أن أستاذين بارزين من أساتذة جامعة ندوة العلماء ، وهما الأستاذ محمد الرابع الندوي ، والأستاذ واضح رشيد الندوي ، قد تكفَّلا بوضع منهج دراسي ، وتأليف سلسلة من كتب في تاريخ الأدب العربي ، واستقل الأستاذ واضح رشيد الندوي بقسم العصر الجاهلي من تاريخ الأدب العربي ، والأستاذ محمد الرابع الندوي بجزء صدر الإسلام من تاريخ الأدب العربي ، وقررا الاستمرار في إتمام هذه السلسلة إلى أن تصل إلى الدور المعاصر ، وإلى إبراز قسط شبه القارة الهندية في إثراء المكتبة العربية الأدبية والعلمية ، ومعطياتها في بعض المجالات والميادين ، وبذلك تكمل هذه السلسلة بإذن الله تاريخياً وجغرافياً ، وشمولاً واحتواء ، وقد ساعدهما على ذلك إلمامهما باللغة الفارسية والإنجليزية ، فضلاً عن الأردية لغة الهند العلمية الدينية ، واطلاعهما على المصادر الحديثة في تاريخ العلوم والآداب ، والنظريات العصرية ، وزيادة على ذلك النظرة الإسلامية الموسعة ، البعيدة عن تقديس الغرب ، والاعتماد عليه الاعتماد الزائد ، والتطفل على كتابات المستشرقين ، وإعطائهم ما لا يستحقونه من التفخيم والتقدير ، والنقل والتقليد .

وأخيراً نسأل الله تعالى جاهدين مخلصين التوفيق لإتمام هذا العمل الجليل ، وأن يمد في عمرهما ويأخذ بيدهما لينتهيا بهذا العمل إلى غاية سديدة رشيدة ، سليمة كريمة ، وأن يكتب التوفيق لدور التعليم العربي والديني في شبه القارة للانتفاع بمجهود بعض زملائهم ، فالمدارس والجامعات الدينية العربية كلها ، أسرة واحدة ، والعاملون فيها زملاء في الوصول إلى غاية واحدة ، والله ولي التوفيق .

٢٥/ من ربيع الأول ١٤١٠هـ ٢٦/ من أكتوبر سنة ١٩٨٩ م

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دائرة الشيخ علم الله الحسني رحمه الله

رائي بريلي

www.abulhasanalinadwi.org

شعراء الرسول ﷺ في ضوء الواقع والقريض

كتاب يتضمن حياة أربعة من شعراء

الرسول ﷺ الشعرية وهم:

١ـ كعب بن مالك الأنصاري

٢ـ حسان بن ثابت الأنصاري

٣ـ عبد الله بن رواحة

٤ـ كعب بن زهير بن أبي سلمى

تأليف

الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

عميد كلية اللغة العربية وآدابها في

جامعة ندوة العلماء لكهنو الهند

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

www.abulhasanalinadwi.org

أما بعد: فقد كان الشعر الذي قيل في مدح الرسول ﷺ والدفاع عن الإسلام، والرد على بعض الشعراء الجاهليين، والمنافسين من قريش والقبائل العربية، شعراً قوياً، غنياً بالمادة الكلامية، والمفاهيم الهادفة العالية، زاخراً بالجوانب الفنية، استخدم أصحابه كلامهم الشعري، كسلاح كبير في المعركة الدائرة بين التقاليد الجاهلية والتعاليم الإسلامية، ودفاعاً عن رسول الله ﷺ وإعطائه بعض ما يستحق من الإنصاف والاعتراف، والمدح والثناء، والحب والوفاء.

وكان في مقدمة هؤلاء الشعراء الذابين عن الإسلام، والمادحين للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الشعراء الأربعة:

١ـ كعب بن مالك الأنصاري.

٢ـ حسان بن ثابت الأنصاري.

٣ـ عبد الله بن رواحة الأنصاري.

٤ـ كعب بن زهير بن أبي سلمى ((وقد انضم إليهم في الأخير)).

رضي الله عنهم وجزاهم عن الإسلام، والإنسانية، والإنصاف، والأدب والشعر أحسن الجزاء وأفضله.

وقد قاموا بالواجب الديني والخلقي، والإنساني والأدبي، في الدفاع عن سيد المرسلين وخاتم النبيين رسول الإنسانية ونبي الرحمة، ومفتتح عهد سعيد ـ للسعادتين الدنيوية والأخروية ـ ووفقوا لمدحه، وقالوا الشعر البليغ الصادق، الذي أصبح ثروة أدبية ـ زيادة على كونه ثروة دينية وإيمانية ـ وأصبح من حقهم عملاً بالكلمة المأثورة الحكيمة المنصفة ((الجزاء من جنس العمل))، أن تُلقى الأضواء القوية المنيرة على سيرتهم ومكانتهم الأدبية والشعرية، وما كان يحيط بهم من بيئة جاهلية، واتجاه جاهلي للشعر، ومناوأة قريش وجبهات محاربة للإسلام ورسوله، الذي بُعث للهداية والقضاء على الحياة الجاهلية، وافتتاح عهد جديد خالد للإسلام ومثله العالية، وتعاليمه الفاضلة، المنقذة للعالم والإنسانية، من عذاب الله في الآخرة، والشقاء في الدنيا.

ولكن من الواقع التاريخي والتأليفي أن شعراء الإسلام في العصر النبوي ـ وفي طليعتهم ومن أبرزهم هؤلاء الأربعة الذين تقدمت أسماؤهم ـ لم يُوَفَّوا حقهم من التعريف والاعتراف، وإلقاء الأضواء على خصائصهم الشعرية، ومكانتهم الأدبية وقيمة مغامرتهم الإيمانية والخلقية، وتأثير شعرهم في البيئة المناوئة الجاهلية، وماله من فضل

في تاريخ المدائح النبوية ، السائرة مع الزمان والمكان والباقية إلى آخر الزمان .

وقد وفق الله الأستاذ الفاضل الأعظمي الندوي أستاذ الأدب العربي في دار العلوم، ورئيس تحرير مجلة ((البعث الإسلامي)) ، الصادرة من ندوة العلماء ، لتأليف كتاب مستقل أسماه بـ((شعراء الرسول ﷺ في ضوء الواقع والقريض)) ، وقد كمل الكتاب في مدة طويلة ، نظراً إلى أشغاله ومسؤولياته المتعددة ، بحث فيه حياة كل شاعر من هؤلاء الأربعة ، وشعره المخضرم ، وإثبات نماذج منه ، وشرح الغامض من كلماته ، وبيان المناسبات التي قالوا فيها هذا الشعر ، واعتمد في الحديث عن هؤلاء الشعراء على كتب التاريخ والتراجم ، والأدب والسيرة ، مع بحث مقارن مع الشعر الجاهلي، وحديث عن مكانة الشعر في الإسلام ، وما زاد الإيمان بالله ، واتباع تعاليمه الخلقية، والاحتفال بجانب النفع والهداية ، وتفضيله على إشباع الرغبة البشرية والمادية، والعاطفية ، من قيمته ، وما أحدثت تلك الميزة والطابع من تطور ثوري وبنائي في الملكة الشعرية ، والقريحة الأدبية ، وزاد الثروة الأدبية ، والمكتبة الشعرية قيمة وقامة .

واستعرض المؤلف مكانة هؤلاء الشعراء الذابين عن الإسلام والرسول ﷺ تاريخياً ونقدياً ، وتناول جوانب أدبية وشعرية بالتحليل والمقارنة ، وإبراز الجوانب الفنية ، باحثاً في تاريخ الشعر وتاريخ الأدب العربي ، وذكر البيئات والمواقع التي قيل فيها هذا الشعر الإسلامي الهادف الفني والعاطفي ، والعوامل التي دفعت إليه وحملت عليه ، وما تلقى هذا الشعر ، أو ما نالوه من مقاومات وردود فعل ، وكان في ذلك مؤرخاً أميناً ، يصور ما كان حول هذا الشعر وقائليه من تجاوب وتقدير ، ودعاء الرسول ﷺ وإثارة للمناوئين وشعراء الجاهلية وأعداء الإسلام ، للرد والاستنكار ، إنصافاً للتاريخ وتصويراً للواقع .

لذلك كان الكتابُ كتابَ تاريخ ونقد أدبي ، واستعراض للواقع ، فكانت له قيمة علمية تاريخية ونقدية لا يستهان بها ، وللكتاب فهرس طويل للمراجع يدل على رحابة صدر المؤلف وتجشمه عناء العناية بالموضوع الذي يرجو منه الأجر من الله ، واعترافاً من المعنيين بالأدب والشعر ، والمنصفين من المؤرخين والناقدين ، ويستحق بكل ذلك ـ وأقل ما يستحقه ـ أن ينال درجة ((الدكتوراه)) ، من جامعة ندوة العلماء .

وقد قدم الكتاب الأستاذ الأديب محمد الرابع الحسني الندوي مدير دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، ونائب الرئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بمقال تحليلي ضافٍ ، جاء فيه كل ما يحتاج إليه هذا الكتاب من تقديم ، وما يستحق مؤلفه من اعتراف وتقدير .

وهذه كلمة قصيرة ، يتقدم بها كاتب هذه السطور ، اعترافاً بالواقع ، وتقديراً

www.abulhasanalinadwi.org

للمؤلف العزيز الذي هو عضو عامل مساعد للكاتب في مجال الدعوة والكتابة ، والمحيط التعليمي والتربوي في دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، التي يتقلد كاتب هذه السطور جزءاً كبيراً من مسؤوليته وواجباته نحوها .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله تعالى وسلم على نبيه المصطفى ، وجزى مادحيه والذابين عنه ، والمنوهين بهم أحسن الجزاء .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

وأمين عام ندوة العلماء ـ لكهنو (الهند)

ـ ١٦/٣/١٤١٦هـ ١٤/٨/١٩٩٥م ـ

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الخامس

في

التاريخ وتراجم الرجال

www.abulhasanalinadwi.org

الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام

المسمى

بـ «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»

لمؤرخ الهند الكبير العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني

أمين ندوة العلماء العام بلكهنو ـ الهند ـ سابقاً

المتوفى سنة ١٣٤١ هـ

الجزء الأول

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر[١]

خصائصه وميزاته ، وقصة طبعه وظهوره

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) وقد آثرنا له اسم : ((الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)) لأنه أدل على موضوع الكتاب ومادته ، كما اخترنا لكتاب المؤلف نفسه ((عوارف المعارف في أنواع العلوم والمعارف)) اسم=

www.abulhasanalinadwi.org

أما بعد: فقد كانت الهند ـ كما يعلم من له إلمام بالتاريخ الإسلامي ـ حلقة ذهبية مهمة من حلقات العالم الإسلامي ، وقد مثلت دوراً فريداً ذا شخصية خاصة في الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية ، يتحقق ذلك مَن أجال نظره في كتاب : ((الثقافة الإسلامية في الهند)) ، للعلامة السيد عبد الحي الحسني الذي نشره ((المجمع العلمي العربي بدمشق[1])) في ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م ـ ، والذي نتحدث عن كتابه : ((نزهة الخواطر)) في هذا المقال .

وغمرت الهند موجات الهجرة الإسلامية بعد حملة التتار على العالم الإسلامي بصفة خاصة ، إذ كانت من أقوى الحصون والمعاقل للعناصر الإسلامية الكريمة القوية ، والأسر النجيبة الذكية ، العريقة في الدين والعلم ، في إيران وتركستان ، وما وراء النهر بصفة خاصة ، وهي المنطقة التي وقعت تحت سنابك المُغيرين ، وتحت رحمة الوحوش في فجر القرن السابع الهجري .

وذلك بوجود حكومات إسلامية قوية في الهند ، كانت تتلقى هذه الوفود الكريمة بصدر رحب ، وتكرم وفادتها ، وتحسن رفادتها ، وتتنافس في أكبر عدد من العلماء ، والسادة ، والأشراف ، وأهل الفضل والصلاح الذين يلتجؤون إليها ، وتعتبر وجودهم مفخرة ليست فوقها مفخرة .

وقد هزمت هذه الحكومات الإسلامية الجنود الزاحفة من التتار شر هزيمة ، جربها التتار في تاريخهم الطويل ، الذي لم يكن يعرف غير الانتصار ، وغير النار والدمار ، وحطمت جيوشهم تحطيماً لا يعرف في غير هذه الناحية من نواحي العالم الإسلامي .

وناهيك ! بأن التتار قد زحفوا على الهند خمس مرات في حكومة علاء الدين الخلجي وحده (٦٩٦ـ ٧١٦هـ) ، بحماس وتصميم عرف بهما التتار ، وهزمتهم الجنود العلائية هزيمة منكرة ، وافترستهم افتراس الذئاب للنعاج ، ولم يطمحوا بعد ذلك إلى الغارة على الهند ولم يستشرفوا لها .

وظل علماء المسلمين آمنين مطمئنين عاكفين على الدرس والتأليف ، ونشر العلم والدين ، والتربية والإرشاد .

= ((الثقافة الإسلامية في الهند)) ولكتابه : ((جنة المشرق ومطلع النور المشرق)) اسم : ((الهند في العهد الإسلامي)) . (الندوي) .

(١) ويدعى بمجمع اللغة العربية الآن .

www.abulhasanalinadwi.org

وازدهرت الثقافة الإسلامية ازدهاراً لم يُعرف في بلد إسلامي آخر في هذه القرون التي تعتبر قرون انحطاط عام في العلم والأدب ، والفكر والتأليف ، وساد على العالم العربي الذي أثخنته حملة التتار ، وابتُلي بحكم المماليك والأعاجم ، والإعياء الفكري، والشلل العلمي ، وانتشر التقليد ، وفُقدت الأصالة والإبداع ، وظلت خلية الإسلام تُعَسِّل في الهند في قرون متوالية ، وزخرت القرى الكبيرة ، فضلاً عن المدن والحواضر ، فضلاً عن قصبات البلاد وعواصم الحكومات ، بالعلماء والمعلمين المنقطعين إلى الدرس والإفادة ، والمؤلفين المتجردين للتأليف والكتابة ، والشيوخ العاكفين على الزهد والعبادة ، والإرشاد والإفادة ، لا يحصيهم إلا من أحصى رمل عالِج وشعر غنم بني كلب ، حتى إن المتصفح لكتاب من كتب التراجم والتاريخ ، يتخيل أن هذا البلد لم يكن يعرف غير صناعة العلم والتعليم ، أو التأليف والتدريس ، أو تربية القلوب وتهذيب النفوس ، أو أنه لم يكن يسكنه غير العلماء وأهل الفضل .

ولكن الهند بقيت مُحَجَّبَة عن أنظار العلماء والمؤرخين في العالم العربي لأسباب كثيرة ، منها : بعد هذا الجزء من العالم الإسلامي عن جادة الثقافة الإسلامية العالمية التي تمرّ عليها قوافل العلم والتدوين ، وبسبب انطوائها على نفسها ، وبسبب أن اللغة الفارسية ظلت لغة الديوان ولغة التدوين والتاريخ طول الحكم الإسلامي للهند .

ولولا الحج ولولا مكة ـ مثابة للناس ـ التي عُرف أهل الهند في كل عصر من عصورهم بشدة الشوق إليها ، وارتباط القلوب والنفوس بها ، واجتماع علماء الهند وأهل الفضل منهم بعلماء العالم العربي في الحرمين الشريفين ، وتتلمذهم عليهم في علم الحديث خاصة ، وإقامة بعض علمائهم الطويلة في ربوعها ، وهجرة بعضهم إليها ، لكانت الهند في عزلة تامة عن العالم الإسلامي ، وبقيت مجهولة تحتاج إلى مغامر كـ(كولمبس) لاكتشاف هذا العالم الغريب .

ويدل على ذلك دلالة واضحة أن العلماء الذين ألفوا الكتب في الطبقات وتراجم الرجال في بلاد العرب على حسب القرون ، لم يذكروا أعيان الهند وعلماءها ونوابغ رجالها ، إلا تَحِلَّة القسم[١] .

وقد كان موضوع الطبقات وتراجم الرجال موضوعاً طرقه علماء المسلمين والمؤلفون في الهند في كل عصر وجيل ، وكان ذلك شيئاً طبيعياً ، وكانت الدواعي إليه

(١) راجع المقدمة التي عنوانها ((الهند ومكانتها في تاريخ الإسلام)) .

www.abulhasanalinadwi.org

كثيرة ، وقد تخصص عدد من المؤلفين الكبار لهذا الموضوع .

ولنظرة عجلى في قسم الطبقات والتراجم ، وسير الرجال في كتاب ((الثقافة الإسلامية في الهند)) ، كفيلة بالاطلاع على المكتبة الضخمة ، التي خلفها العلماء والمؤلفون في الهند ، ولكن جلها أو كلها في اللغة الفارسية ، ثم إنها موجزة مقصورة على عدد قليل من الشخصيات . ثم إنها لا تحيط بالهند إحاطة مكانية أو إحاطة زمانية ، وبعضها لا تحتوي إلا على قرنين أو ثلاثة قرون ، ثم إن بعضها لا تشتمل إلا على تراجم طبقة واحدة ، أو مذهب خاص ، أو فرقة من فرق المسلمين ، أو تسيطر على مؤلفيها نـزعة خاصة أو اتجاه خاص .

وقد كانت الحاجة ماسة إلى أن ينهض لسد هذه الثغرة في تاريخ الثقافة الإسلامية بصفة عامة ، وفي تاريخ الهند بصفة خاصة ، رجل رزق علو الهمة ، وسعة النظر ، ورحابة الصدر ، وتنوع الثقافة ، ودقة الملاحظة وسعة الأناة .

وتمكنه الظروف الخاصة من الاتصال بمختلف الطبقات والفرق والمذاهب والآراء ، والاطلاع على المراجع الكثيرة في اللغات المتنوعة ، والعصور المختلفة والإفادة منها .

ويتخير لهذا العمل الجليل ، ولتعريف العالم الإسلامي بالهند : اللغة العربية التي هي لغة التفاهم العالمية ، وهي اللغة التي ضمن الله لها الخلود والبقاء على أصالتها ، وصيغتها المُضرية الفصحى بفضل القرآن .

ويكون ن الكتّاب المترسلين فيها ، ومن ذوي البيان الذين تحرروا من السجع والبديع ، والزخرفات اللفظية التي تورط فيها وأمعن كل من تناول هذا الموضوع في الهند ، وفي غير الهند غالباً ، في القرون الماضية .

وقد كانت ساعة سعيدة حين قرر السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني (١٢٨٦ـ ١٣٤١هـ) وهو طالب شاب ، يتنقل في حلقات الدروس في ((لكهنو)) بلد العلم والآداب ، في فجر القرن الرابع عشر الهجري ، أن يؤلف كتاباً في تراجم علماء الهند وأعيانها من القرن الإسلامي الأول حين دخل فيها الإسلام ، إلى القرن الرابع عشر الذي يعيش فيه .

ولعل الأوراق التي كان يراها بيد شيخه ـ الشيخ محمد نعيم الأنصاري اللكهنوي[١]

(١) اقرأ ترجمته في الجزء الثامن للكتاب .

www.abulhasanalinadwi.org

ـ من أبناء أعمام الإمام عبد الحي اللكهنوي ومعاصريه ، التي كتبها في تراجم العلماء ؛ أوحت إليه بهذه الفكرة التي كانت لا تتناسب مع سنه وثقافته يومئذ ، ولكن الهمة الشامخة لا تخضع للمقاييس والمقادير ، إنه طمح إليها وهيأ نفسه لها ، واحتضنها احتضاناً لم يفارقه إلى آخر يوم من أيام حياته ، فيُقدّر أنه عاش في هذه الفكرة ، واشتغل بهذا التأليف ، نحو ثلاثين سنة .

وقد كان من سمو همته وطموحه ، وألمعيته وبُعد نظره أن يؤثر اللغة العربية لتأليف هذا الكتاب ، وقد بلغت منتهى الضعف والركاكة في عصره ، بضعف الكتب التي كانت مقررة في المنهاج الدراسي ، والإنشاء المسجوع التقليدي الذي كان سائداً في الهند منذ قرون .

وكان من الشجاعة الأدبية ؛ بل من المغامرة أن يقرر طالب شاب قد نشأ على دراسة كتاب ((المقامات)) للحريري وما شاكلها تأليف هذا الكتاب ـ الذي تتنوع فيه الأغراض ، وتتسع فيه دائرة التعبير ـ في اللغة العربية التي لا يجد لها نموذجاً إلا في كتب أدبية من الأسلوب العجمي المتكلف ، ولم تكن هذه الصلات الثقافية والمجلات والنشرات ، ووسائل الاستيراد العلمي والثقافي ، قد حدثت في عصره حتى يتمكن من الاطلاع على ما جدَّ ونُشر في الشرق العربي من الآثار العلمية ، والمؤلفات العربية .

وقد كان له كل المغريات والدواعي إلى أن يؤلف هذا الكتاب في اللغة الفارسية التي يحذقها ويكتب فيها بسهولة وطبع ، أو اللغة الأردية التي كان من أدبائها الناهضين ، وكتابها المرموقين ، ولكنه قد أحسن إلى نفسه وأحسن إلى بلاده التي وُلد فيها وأحبها ، حين اختار اللغة العربية لهذا التأليف .

فاللغة الفارسية قد أفل نجمها في عصره وتقلص ظلها ، فلم تبق إلا في نطاق محدود كان يتضايق وينضوي على مرِّ الأيام ، وأما اللغة الأردية فهي لا تزال في طور انتقال وتطور ، ولم يقرر مصيرها بعدُ في الهند ، والتي تواجه مشكلة كثرة اللغات واللهجات ، والتطرف الطائفي الذي لا يزال يهدد كيان هذه اللغة وبقاءها في الهند .

وبدأ المؤلف رحلته العلمية التأليفية ، التي لم يكن يقدر أنها ستطول هذا الطول ، وأنها ستكون من العسر والالتواء بهذا المكان ، وقد أحاط المؤلفون في التاريخ عملهم بأسوار من السجع البارد ، والتنميق اللفظي .

ثم إنهم ملأوا كتبهم بذكر الخوارق والأمور الغريبة ، وأهملوا ما يهم الدارس

www.abulhasanalinadwi.org

معرفته من السنين والتواريخ ، وأسماء الأساتذة والشيوخ ، وذكر المؤلفات والآثار العلمية والعملية ، والعادات والأخلاق والصفات التي يتميز بها إنسان عن إنسان ، ومراحل الحياة الطبعية ، فضلاً عن الجو السياسي والاجتماعي الذي كان يكتنفهم ، والملابسات التي كانوا يعيشون فيها ، فيقرأ الباحث مئات من الصفحات ، ولا يرجع بطائل ، لا يرجع بما يُسطر به صفحة من صفحات التاريخ الحقيقي .

فكان المؤلف يشعر بأنه يسير في نفق مظلم لا يصل إليه النور والهواء ، وكان لا بد أن يرجع إلى كتب ومجموعات ليست من التاريخ بسبيل ، ولا تخطر من المؤلف ببال ، فيظفر فيها بما لا يظفر في كتب التراجم والسير ، وقد يجد فيها حلقة مفقودة لا تكمل بغيرها ترجمة العالم ، أو الأمير ، أو المؤلف ، وكان في حاجة إلى أن لا يقتصر على المطبوع المنشور ، بل يراسل أخلاف هؤلاء العلماء ، والمنتمين إليهم ، ويزور المكتبات ، وينتسخ المخطوطات .

وكان بحكم مركز بيته العلمي والديني ، وبحكم إشرافه على ندوة العلماء كثير الاتصال بجماعات العلماء ، وأهل الفضل والنباهة ، فساعده كل ذلك على إكمال مهمته ، وتحقيق غايته .

وكان أكبر لذته في تأليف هذا الكتاب ولعل أحلى ساعاته وأطيبها ، كانت الساعة التي يخلو فيها بنفسه ، وبقلمه وأوراقه ومراجعه .

وقد ظل عاكفاً على هذا العمل طول حياته ، لم يقطعه عنه اضطراب سياسي ، أو حادثة شخصية ، أو حرفته ـ الطب الذي كان ناجحاً فيه ـ أو اشتغاله بإدارة ندوة العلماء ، وتنظيم حفلاتها السنوية ، في مدن الهند المختلفة ، حتى جاء هذا الكتاب في ثمانية أجزاء كبار ، واشتمل على أربعة آلاف وخمس مئة ونيف من التراجم .

ولعل الهند هي القطر الإسلامي الوحيد البعيد الذي سجلت تراجم أعيانه من القرن الإسلامي الأول إلى القرن المعاصر في كتاب واحد ، فهنالك أقطار إسلامية قد مثلت دوراً خطيراً في تاريخ الفكر الإسلامي ، وفي تاريخ العلوم الإسلامية ، ونبغ فيها من العلماء والعظماء الذين لا يحصون بحدٍّ وعدٍّ ، كبخارى ، وسمرقند ، وأفغانستان ، وإيران ، وغيرها ، لم يكتب تاريخ رجالها ، ولم تدون تراجم أبنائها بهذا التسلسل والتحقيق .

ويعلم الدارس المطلع أن كتب التراجم والسير التي ألفت في الأقطار الإسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

الرئيسية الغنية برجالها وأعلامها ، إما هي خاصة بقرن ، كـ((الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)) لابن حجر ، و ((الضوء اللامع في رجال القرن التاسع)) للسخاوي ، و ((النور السافر في رجال القرن العاشر)) للحضرمي ، و ((خلاصة الأثر في رجال القرن الحادي عشر)) للمحبي ، و ((سلك الدرر في رجال القرن الثاني عشر)) ، للمرادي ، و ((البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع)) للشوكاني ـ أو مقصورة على مذهب من المذاهب الفقهية المقبولة ، كطبقات الشافعية الكبرى ، وطبقات الحنابلة وغيرها .

أما أن يكون الكتاب يغطي المساحة الزمانية من القرن الإسلامي الأول إلى قرن المؤلف ، والمساحة المكانية من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها ، ويشمل طبقات أهل الفضل وأعلام كل فن ، فلا توجد لذلك أمثلة ونماذج في أكثر الأقطار الإسلامية والعربية .

أما هذا الكتاب ، فهو يغطي المساحة الزمانية من القرن الإسلامي الأول إلى سنة وفاة المؤلف ، والمساحة المكانية من ممر خيبر إلى خليج بنغال ، ومن قلل كشمير في الشمال إلى أقصى جنوب الهند ، ويشمل طبقات أهل الفضل والنباهة على اختلاف مزاياهم ومجالات فضلهم ونبوغهم ، ومذاهبهم واتجاهاتهم ، كما يتحقق ذلك القارئ عند الاطلاع على هذا الكتاب ، وفحصه عن عَلَم من الأعلام ، في أي فن من الفنون ومجالات النبوغ والإنتاج .

وقد صَبَّ المؤلف في هذا الكتاب مواهبه وسجاياه ، فجاء قطعة من نفسه ، ونسخة من روحه ، صفاء حِسٍّ ورِقة شعور ، واندفاعاً إلى الجمال والكمال أينما وُجدا واعترافاً بالفضل أينما حَلَّ واستقر ، واقتصاداً في المدح والنقد ، وتنبيهاً لمواضع الضعف ومما لا يخلو منه بشر ، وعذوبة عبارة ، وخفة روح ، وتنوع مادة ، فأصبح الكتاب لا يمل ولا يُستثقل ، وأصبح سميراً عزيزاً ، ونديماً فَكِهاً ، وموعظة وذكرى ، ودرساً وعبرة .

وكان المؤلف على سجية المؤلفين القدامى ، عاكفاً على التأليف والبحث والتنقيب ، لا يفكر في مصير هذا الجهاد الشاق ، والرحلة الطويلة ، ولم يحدث بذلك كثيراً من إخوانه وزملائه الذين يجالسونه ، ولم يبحث له عن ناشر ، حتى فارق هذه الدنيا في الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٤١هـ ، وخلف هذه المكتبة العظيمة .

ومضى عليها نحوُ عشر سنوات ، ولا سبيل إلى طبعها ، فقد كان ذلك عمل مجمع علمي كبير ، أو حكومة منظمة ، حتى هيَّأ الله له الأسباب ، فقد طبعت دائرة المعارف

www.abulhasanalinadwi.org

العثمانية في حيدر آباد كتاب : ((الدرر الكامنة)) للحافظ ابن حجر العسقلاني ، واقترح بعض من لهم اطلاع على هذا الكنز الدفين : أن يكمل هذا الكتاب بطبع الجزء الثاني من ((نزهة الخواطر)) وهو الجزء الذي يشتمل على تراجم أعيان (القرن الثامن) في الهند ، فكان ذلك ، وصدر الجزء الثاني ـ قبل أن يصدر الجزء الأول ـ في سنة ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م ، لملء هذا الفراغ الواقع في كتاب ((الدرر الكامنة)) وكان ذلك في عهد إدارة الأستاذ هاشم الندوي ، وتحت إشرافه .

وهكذا شق هذا الكتاب طريقه بقيمته العلمية ، وبغَنَائه ، من غير أن يكون لأحد مِنَّةٌ عليه وعلى صاحبه ، واطلع عالَم العلم والتأليف على هذا الكنز المستور المطمور ، ومن هنا طلب المستشرقون والمؤلفون أن يُنشر هذا الكتاب برُمَّته .

وكان الفضل الأكبر في هذا للعلامة السيد مناظر أحسن الكيلاني (١) ، العالم البحاثة، الذي كان عاكفاً على تأليف كتابه ((نظام التعليم والتربية)) فراجع هذا الجزء المطبوع ، وأُعجب بفضل الكتاب وغزارة مادته ، وأقرَّ بقيمته العلمية الكبيرة ، ولفت نظر ((دائرة المعارف العثمانية)) ، والمسؤولين في حكومة حيدر آباد إلى مكانة هذا الأثر العلمي العظيم والحاجة إلى إبرازه ، وقام بحركة قوية لنشر الكتاب ، وأيده كبار العلماء والمؤلفين في الهند ، فظهر الجزء الأول في سنة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م ، وكان ذلك في عهد إدارة الدكتور محمد نظام الدين ، واستمر صدور أجزائه إلى أن توقف بعد الجزء الخامس ، واختلفت الأحوال في الهند ، وكاد الأمل ينقطع في صدور ما بقي من أجزاء هذا الكتاب .

وحدث بعد ذلك أن الشيخ حسين أحمد المدني (٢) كبير علماء الهند والزعيم المسلم المشهور ، كان يبحث عن أخبار بعض أجداده وتراجمهم ، فلا يجدها فيما يتيسر له من كتاب مطبوع أو مخطوط ، فراجع هذا الكتاب فوجد معظمها في أجزائه ، فسرَّ بذلك سروراً عظيماً ، ولفت نظر مولانا أبي الكلام آزاد (٣) وزير المعارف في الجمهورية الهندية آنذاك ، وله معرفة شخصية بالمؤلف ، وتقديرٌ لهذا الكتاب ، فأشار على دائرة

---

(١) هو العالم الجليل والمؤلف الكبير ، كان رئيس القسم الديني في الجامعة العثمانية بحيدر آباد ، صاحب مؤلفات عظيمة كبيرة القيمة ، توفي سنة ١٣٧٥هـ رحمه الله تعالى .

(٢) اقرأ ترجمته في الجزء الثامن .

(٣) اقرأ ترجمته في الجزء الثامن .

www.abulhasanalinadwi.org

المعارف بإتمام الأجزاء الباقية ، فظهر الجزء السادس في سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ، واستمرَّ إلى أن ظهر الجزء السابع في سنة ١٠٧٨هـ - ١٩٥٩م ، وبقي الجزء الثامن وحده، وطبع سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، وستأتي قصة طبعه في مقدمة الجزء الثامن .

www.abulhasanalinadwi.org

الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام

بـ «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»

لمؤرخ الهند الكبير العلامة

الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني

أمين ندوة العلماء بلكهنو ـ الهند ـ سابقاً

المتوفى سنة هـ ١٣٤١ هـ

الجزء الثامن

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد فقد كان هذا الجزء الأخير (الجزء الثامن) من كتاب ((نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر [1])) للعلامة السيد عبد الحي الحسني رحمه الله وأثابه ، في حاجة إلى إكمال وزيادات ، وكان المؤلف مشغولاً بتسويده وتحريره ففاجأته المنية ، ولم يمهل لإكماله ، وكان هذا الجزء يشتمل على خمس مئة وتسع وخمسين (٥٥٩) ترجمة، ويبلغ عدد التراجم التي خلف فيها المؤلف بياضاً أو فراغاً ، أو مات أصحاب

(١) وهو يطبع باسم ((الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)) .

www.abulhasanalinadwi.org

التراجم بعد وفاة المؤلف ٣٥٠ ترجمة ، وقد تدرج هؤلاء المترجمون في مراتب من النبوغ والشهرة ، والتأليف والإنتاج ، أو كان لهم نشاط وجولة في المجال السياسي ، وجدت في البلاد أحوال ، ونشأت حركات ، وخاض هؤلاء الأعلام معتركها ، وتقلدوا قيادتها ، فكان لا بد من إكمال هذه التراجم ، وتسجيل حوادث حياتهم ، ومآثرهم العلمية والعملية من جديد .

وكان الذين قد شغفوا بهذا الكتاب في الهند وخارجها ، يطلبون إصدار هذا الجزء، وكان الإلحاح يتجدد منهم حيناً بعد حين ، وكان صديقنا الفاضل الدكتور عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية حالاً [(١)]، يلح علي بالتفرغ لهذا العمل ، ولا شيء أحب إلي من تحقيق هذا الغرض ، فإن فيه خدمة للدين وللعلم ، وللأمة والبلد ، وفوق ذلك كله بر بالوالد ووفاء بحقه ، وأداء لأمانته ، ولكني بقيت متهيباً لهذا العمل، مستعظماً له عدة سنين .

أولاً : لأنه عمل شاق عسير تقصر عنه قواي ومواهبي ، فإن تلقيح هذا الكتاب بالعبارات الجديدة والزيادات الحديثة صعب جداً ، وذلك لإيجاز المؤلف، ودقته وعبارته المحكمة الرصينة التي لا يسهل تقليدها ، وللالتزامات التي التزمها في تحرير الآراء ووصف المترجم، ومدحه ونقده ، والاقتصاد في ذلك ، وعدم إرسال القول على عواهنه .

الثاني : إن هذا الجزء هو أكثر تنوعاً واتساعاً في التراجم من كل عصر مضى ، ففيه كبار العلماء ونوابغ المؤلفين ، وشيوخ أجلاء، ومربون وأهل القلوب ، ومعلمون كبار، وأصحاب الدرس والتخريج ، ومنهم قادة الفكر الحديث ، ورواد حركات ونهضات ، يحتدم حولهم الجدال ، ويكثر عنهم القيل والقال ، ومنهم : أدباء وشعراء ، ومنهم : من خاض المعارك السياسية ، واكتوى بنارها وأوارها ، وامتزج تاريخه بتاريخ الهند الديني والسياسي ، فلا يمكن الفصل بينهما ، وامتدت حوادث حياته على بساط طويل من الزمان ، مفروش بالأشواك ، ومنهم : من جمع بين النبوغ والسراوة ، وتفنن في الفضائل والكمالات ، ومنهم من شذ عن السواد الأعظم من المسلمين ، وأسس مذهباً جديداً ، أو فرقة جديدة ، واستهدف للنقد العنيف ، والجرح المرير ، إلى غير ذلك من نماذج الفكر وأساليب الحياة ، وأنماط الإنسانية ، ولعل أصعب تاريخ هو تاريخ المعاصرين الذين يعاصرهم المؤلف ، ويرى آثار نبوغهم ونباهتهم في الحياة ، وقد يبذل

(١) توفي رحمه الله تعالى في ٢٧ من شعبان المعظم سنة ١٣٩٣ هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

جهده ، ويجهد نفسه في تصويرهم، وتحديد مكانتهم ، والتنويه بشأنهم ، فيستقله كثير ممن عاشرهم وعرفهم عن كثب ، ويستهوله كثير ممن سمع عنهم ، أو خبرهم ، واطلع على الخبايا ، ومواضع الضعف في حياتهم ، وهكذا يستهدف المؤلف لنقد الفريقين ، فحيناً ينسب إلى البخل والتفريط ، وحيناً يتهم بالمبالغة والإسراف ، ولكن كل ذلك لا يمنع رائد الحقيقة ، ومدون التاريخ من أن يقيد معلوماته للأجيال القادمة ، ويحفظ الملامح الحقيقية في المصور التاريخي العام الخالد .

أقدمت إلى هذا العمل الشاق المحرج ، متهيباً مدفوعاً في البداية ، منشرحاً مندفعاً في النهاية ، وبدأت أقرأ الكتاب ، وأسجل ما وقع بعد المؤلف في حياة المترجم ، وأطواره وآثاره ، ومؤلفاته ، معتمداً في ذلك على أثبت المراجع وأوثق المصادر ، وما كتبه هو نفسه ، أو أخص أصحابه ، أو ما كان مشاهدة عيان ، ومعرفة شخصية ، وحرصت على أن يتميز كل ما أزيده ، ويصدر عن قلمي القاصر عما صدر عن قلم المؤلف نفسه ، وما كان في متن الكتاب فجعلتُ الزيادات والملحقات كلها ، بين عمودين هكذا [ ] ، حتى لا يتلبس الأصل بالزيادة ، وبذلت مجهودي في أن أكتب بقلمه، وأطبق مقاييسه وموازينه في الحكم على الشخصيات ، ونقدها وتقريظها ، وحاولت أن أعيش في أدبه وأسلوبه وتفكيره ، زمن إكمال هذا الكتاب ، وأقلده بقدر ما يمكن لشخص ، أكثر من قراءة هذا الكتاب، وأتشرب أسلوبه وتفكيره ، مع ذلك أقر بأني لم أصل إلى النقطة التي وصل إليها المؤلف في السداد والاقتصاد، وغزارة العبارة، وقلة المباني ، وكثرة المعاني ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

هذا والزيادات كلها محدودة في التراجم التي جاءت في الكتاب ، ولم أضم تراجم جديدة إلى الكتاب ، ولم أكتب ترجمة جديدة ، لم يكتبها المؤلف ، فإن الأمر كان يطول جداً ، وقائمة الشخصيات التي نبغت بعد المؤلف ، واستحقت التنويه والتسجيل أو فات المؤلف ذكرها ، كبيرة تبلغ إلى المئات ، وهو موضوع كتاب مستقل يكون ذيلاً لكتاب ((نزهة الخواطر)) ولعل الله يقيض لذلك رجلاً آخر يوفق للقيام به .

وبدأت أقيد سني وفيات المترجمين ، فلا أجد إلى كثير منها سبيلاً ، فيما عندنا من المطبوعات والمراجع ، فاضطر إلى مراسلة من يتصل بهؤلاء المترجمين بسبب ، أو يلتقي بهم في زمالة أو نسب ، وطالت المراسلات ، وتكررت الرسائل والردود ، وقد جر ذلك في بعض الأحيان إلى زيارة القبور ، وقراءة الألواح ، والاتصال بأبناء المترجمين وأحفادهم ، وقد جر هذا البحث في بعض الأحيان إلى مراجعة الأوراق

www.abulhasanalinadwi.org

والوثائق في البلدية ، لتحقيق اسم الوالد ، أو سنة ولادته ، فاجتمعت بذلك مجموعة كبيرة من الوفيات والمعلومات ، وأسماء المؤلفات ، ولم يبق إلا نحو ١٣٠ شخصاً[١] ، لم أهتد إلى سني وفياتهم ، فأشرت إلى ذلك في الهامش ، وأكبر ظني أنه لو تأخر هذا البحث عن السنين والتواريخ ، والمعلومات عن المترجمين عدة سنين أخرى لضاع الشيء الكثير منها وتلف ، ولم يكن إليه سبيل لمن يأتي بعدنا ، ويحاول جمع هذه المعلومات ، ويؤلف كتاباً في تراجم هؤلاء الرجال ، وقد شاهدت في ذلك تيسيراً لا أعلله إلا بإخلاص المؤلف ، والإعانة الغيبية لحفظ آثار العلماء والمؤلفين الذين أفنوا قواهم ، وأجهدوا نفوسهم في سبيل العلم أو الدين .

وفي الآخر إن كاتب هذه السطور مدين لأولئك الأفاضل الذين أعانوه بالمعلومات، وبصفة خاصة في التواريخ وسني الوفيات ، ولم يضنوا بما عندهم من علم، ووثائق تاريخية ، ومراجع علمية ، ولولا أن قائمة أسماء هؤلاء الفضلاء تطول طولاً مملاً لسردت أسماءهم ، ولهم اعتراف الكاتب ، وشكر القراء ، ما عند الله من المثوبة والجزاء أفضل من كل هذا ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

وبهذا الجزء الثامن الأخير تكملة سلسلة ((نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)) ، للعلامة السيد عبد الحي الحسني ، والحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات .

أبو الحسن علي الحسني الندوي
ندوة العلماء ـ لكهنو (الهند)
٢٠ محرم الحرام سنة ١٣٨٨ هـ

(١) وقد عثر كاتب هذا التقديم على سني وفاة ستة من أصحاب التراجم ، بعد صدور الطبعة الأولى ، فنزلت القائمة إلى ١٢٤ شخصاً لم يعثر على سني وفاتهم ، والرجاء من الدارسين لهذا الجزء أن يخبروا الكاتب ، أو المؤسسة التي تقوم بطبع هذا الكتاب ، بسن وفاة الآخرين إذا اطلعوا عليها . (الندوي) .

www.abulhasanalinadwi.org

الأمير سيد صديق حسن خان

حياته ـ وآثاره

تأليف

الدكتور محمد إجتباء الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

وبعد :

فإني يسعدني أن أقدم لكتاب ألف عن حياة الأمير العلامة السيد صديق حسن خان وآثاره ، وشعوري بهذه السعادة والاغتباط يرجع إلى عدة أسباب ، سأتناول شرح بعضها في هذا التقديم القصير .

لقد ولدت في بيت كان موضوعه الأثير الحبيب ، بل هوايته التأليف في سير الرجال وطبقاتهم ، وتراجم العلماء وأهل الفضل ، وخاصة الذين أنجبتهم أرض الهند ، ونبغوا في شبه القارة الهندية منذ دخول الإسلام في هذه البلاد إلى هذا القرن [1]، ونشأتُ في

---

(١) من آثار جدي السيد فخر الدين بن عبد العلي الحسني (توفي ١٣٢٦هـ) الموسوعة الفارسية الكبيرة في الأخبار والآثار ، وتراجم الرجال ، والعلوم والمعارف ، المسماة بمهرجها نتاب ، التي احتوى مجلدها الأول على (١٣٠٠) صفحة بالقطع الكبير ، بخط دقيق ، ولا يزال هذا الأثر العلمي الكبير كتاباً خطياً بقلم المؤلف لم يطبع بعد ، أما الوالد العلامة السيد عبد الحي=

www.abulhasanalinadwi.org

بيئة كان الحديث الدائر المتكرر في أوساطها ومجالسها ، وتكأة المحدثين فيها الإشادة بالمثل والقيم الإنسانية والعلمية ، والتنويه بسمات العلماء الكبار ، ومجالات اختصاصهم ، وتبريزهم ، والشعائر الغالبة عليهم ، والتغني بنبوغ أصحاب النبوغ ، وعبقرية أصحاب العبقريات في مختلف العصور والأمصار ، في إكبار وإعظام ، بل في شيء من الهيام ، فثارت في نفسي ملكة الإعجاب بمواضع العظمة ، والنبالة ، ومكارم الأخلاق ، وعلو الهمة ، وسمو النفس من بين أفراد البشر ، بصرف النظر عن جنسيتهم ووطنيتهم ، وعصرهم التاريخي في سن مبكرة ، لا تنبعث فيها هذه الملكة في غالب الأحيان ، والملكات البشرية المودعة في طبائع الأطفال قد يثيرها باعث خاص من بيئة وتربية ، وحوادث مخصوصة فتنقدح ، وتنفتق قبل أوانها الطبيعي المعتاد ، وقد كانت هذه قصة كاتب هذه السطور ، ولا يدعي في ذلك تفرداً أو بدعاً من الأمر .

وقد نشأتُ بصفة خاصة على حب التفنن في الفضائل ، والجمع بين الأشتات ، بل الأضداد من الفضائل الإنسانية ، وأنواع العلوم والمعارف ، والآداب والثقافات ، وعلو الهمة ، والقدرة الفائقة على التنسيق بينها ، وتسخيرها للوصول إلى غاية مثلى ، وخدمة العلم والدين ، حتى لو أدى ذلك إلى المشاركة في علوم وآداب ، ويتحاشى عنها كثير من علماء الدين ، ويعدونها من حثالة العلوم ، وبراية[1] الآداب ، فيستخدمونها في سبيل إثبات الدين ، والدعوة إلى الله ، ويجرون لأهل عصرهم ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل : ٦٦] .

ونشأتُ كذلك على حب من يوفقه الله ويقويه على الجمع بين الرئاستين : العلمية والعملية ، والحسنيين : الدنيا والآخرة ، والنقيضين (في عرف الناس) من إمارة أو وزارة في جانب ، والاشتغال بالتأليف والتدريس ، أو التربية والإرشاد ، والإصلاح وإزالة الفساد في جانب آخر ، ولذلك كان إعجابي وإكباري بنابغة القرن التاسع الهجري ، وأحد أبناء الهند الأفذاذ خواجه عماد الدين محمود الكيلاني وزير الدولة البهمنية الكبيرة ، (٨١٣ ـ ٨٨٦هـ) تلميذ الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، ومؤلف كتاب «مناظر الإنشاء» ومؤسس أكبر جامعة في بلدة بيدر ، يقول عنه

= الحسني (توفي ١٣٤١هـ) فيكفي من ذكر آثاره العلمية ، الإشارة إلى كتاب (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ثمانية مجلدات كبار ، قد احتوت على أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة ترجمة لأعيان الهند ونبهائها .

(١) البُرَاية : النُّحَاتة ، وما يسقط عند نحت القلم ، وهو المرذول الذي لا ينفع .

www.abulhasanalinadwi.org

مؤرخ الهند ، ومترجم نوابغها العلامة عبد الحي الحسني :

كان عالماً كبيراً ، بارعاً في المعقول والمنقول ، لا سيما الفنون الرياضية ، وصناعة الطب ، والإنشاء ، وقرض الشعر ، وكان باذلاً سخيّاً ، شجاعاً ، حسن العقيدة ، حسن الفعال ، يجزل على أهل العلم صلات جزيلة ، ويُرسلها إلى خراسان وما وراء النهر والعراق ، وكان لا يأكل مما يحصل له من أقطاع الأرض شيئاً ، بل يصرفها على مستحقيها ، وكان يحفظ رأس ماله ، وينميه بالتجارة ، فيأكل ما يحصل له منها ، وله آثار باقية في أرض الدكن ، منها : المدرسة العظيمة بأحمد آباد بيدر ، وتلك العمارة في غاية الحسن والحصانة ، لا يوجد لها نظير في بلاد الدكن ، بناها سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وتاريخه ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧] ، ويقول : تدرج إلى الإمارة ، واستوزره علاء الدين شاه البهمني ، وجعله جملة الملك ، ثم لقبه محمد شاه البهمني «بخواجه جهان» [(١)] .

وكذلك كان إعجابي بالأمير قائد الجيوش المغولية الأكبر عبد الرحيم خانخانان؛ الذي يقول عنه العلامة السيد عبد الحي الحسني : ((لم ينهض من الهند أحد مثله ، ولا من غيرها من الأقاليم السبعة[(٢)] من يكون جامعاً لأشتات الفضائل[(٣)] ، ويتقدم فيقول : وكان له من النقاوة التامة ، والشهامة الكاملة ، وعلو الهمة والكرم ، ما لا يمكن وصفه، مع المعرفة للأدب ، ومطالعة كتبه ، والإشراف على كتب التاريخ ، ومحبة أهل الفضائل ، وكراهة أرباب الرذائل ، والنزاهة والصيانة ، والميل إلى معالي الأمور ، حتى لم أجد ممن كان قبله أو بعده من يساويه في مجموع كمالاته ، وكان مع ذلك لا يعفي نفسه عن مطالعة الكتب ، فإذا كان على ظهر الفرس وقت طعنة ، أو نهضة ، رأيت الأجزاء في يده ، إذا كان يغتسل رأيت الأجزاء في يد خدامه ، يحاذونه ، وهو يطالعها ويغتسل[(٤)])) .

وكذلك الأمير الكبير نواب مرتضى بن أحمد البخاري (توفي ١٠٢٥هـ) الذي

---

(١) نزهة الخواطر (ج٣/ ص ١٧١ـ ١٧٣) وترجم له السخاوي في الضوء اللامع ، وذكره طاش كبري زاده في مفتاح السعادة

(٢) لعله يريد في القرن الحادي عشر ، وما يتصل به .

(٣) نزهة الخواطر (ج٥/ ص ٢٢١) .

(٤) نزهة الخواطر (ج٥ / ص ٢٢٢ـ ٢٢٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

يقول عنه العلامة الحسني : ((لم يكن له نظير في زمانه في السياسة والتدبير ، والسخاء والكرم ، والمحبة لأهل الفضائل ، والميل إلى معالي الأمور ، لقبه جهانكير بن أكبر شاه ((بصاحب السيف والقلم [١])) .

وكان من بين هؤلاء الأفذاذ النوابغ الذين جمعوا بين أشتات الفضائل ، وأنواع المحامد والشمائل ، العلامة الأمير السيد صديق حسن خان أمير ولاية بهوبال ، وكان اسمه من الأسماء الأولى التي طرقتْ أذني في طفولتي ، ذلك بسبب الوشائج والصلات الوثيقة ، التي كانت بيني وبين أسرة الأمير ، وهي وشائج العقيدة السنية الخالصة ، وارتباط والده العلامة السيد أولاد حسن القنوجي الروحي ، والديني بكبير أسرتنا وشرفها السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ؛ الذي بايعه الأول على الدعوة إلى الله ، والعمل بالشريعة والسنة ، والجهاد في سبيل الله ، حتى كان موضع ثقته ، وسفيره الخاص إلى بعض الملوك والكبراء ، ووشيجة القرابة كذلك ، وقد عاش الأمير السيد صديق حسن فترة من الزمن في إمارة ((تونك)) التي كانت من مواطن أسرتنا بعد شهادة الإمام السيد أحمد . زيادة على كل ذلك كان نجله الأكبر الأمير العلامة السيد نور الحسن من أعز أصدقاء والدي ، وممن توثقت بينهما المحبة والوداد والانسجام بين الأذواق والأخلاق ، جاء في كتابه ((نزهة الخواطر)) :

«وكان له حب زائد لجامع هذا الكتاب ، على أنه أكبر منه سناً ، وأغزر منه علماً ، يكثر التردد إليه ، ويبالغ في تعظيمه ، ويحرص على مجالسته ، ويبث إليه بذات نفسه [٢]».

ولا أزال أذكر مرافقتي لوالدي في زياراته له ، وقد كان يبيت بعض الليالي في قصره وأنا معه ، وقد توفي في حياة والدي (سنة ١٣٣٦هـ) فكان كثير التحسر عليه ، دائم الذكر له .

وقدر الله بعد وفاة الأمير السيد نور الحسن أن أقضي فترة لا تقل عن ثلاث سنين في منزله بلكهنو مع أخي الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني ، مدير ندوة العلماء سابقاً ، كأحد أبناء الأسرة ، وذلك بين العاشرة والثالثة عشرة من سني ، أسمع الكثير من أخبار العلامة الأمير ، وأتقلب بين أبناء هذه الأسرة النجيبة داخل المنزل وخارجه ،

(١) راجع للتفصيل : نزهة الخواطر (ج٥ / ص ٤١٣ ـ ٤١٥) .
(٢) راجع للتفصيل : نزهة الخواطر (ج٨ / ص ٥٠٦) .

www.abulhasanalinadwi.org

فوعيت الكثير ، وعشت الزمن الماضي حساً وشعوراً ، وخيالاً ، ثم لما تقدمتُ في السن والثقافة ، وبدأتُ أشدو بالعربية ، وأفهم ما كتب فيها ، بدأتُ أقرأ بعض مؤلفاته التي كانت في مكتبته الثمينة ، التي أودعها ورثةُ الأمير في مكتبة ندوة العلماء الكبيرة ، وكنت أسمع كثيراً من أخباره ومناقبه ، وبعض المآخذ عليه ، ممن أدرك عصره ، أو جلس إلى بعض معاصريه وعارفيه ، من العلماء والمؤلفين ، وكان شيخي في الحديث العلامة حيدر حسن بن الشيخ أحمد حسن خان التونكي الأفغاني (توفي ١٣٦١هـ) شيخ الحديث ، ورئيس الأساتذة في دار العلوم ندوة العلماء ، تلميذ العلامة المحدث الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني ، أستاذ السيد صديق حسن ممن مكث في بهوبال طويلاً ، والعهد قريب بالأمير السيد صديق حسن ، وربما أدرك الأمير وزاره ، وعرفه عن كثب ، وقد ولد مولانا حيدر حسن خان حوالي سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف ، كل ذلك أعانني على معرفة العلامة الأمير معرفة أكثر وأعمق من المعرفة التي تنشأ عن الكتب ، تعتمد على السماع والرواية ، وعرفت مواضع النبوغ والعظمة في هذه الشخصية الكبيرة ، التي كانت من مفاخر عصره ، ومن مفاخر الهند ، وكان يحق في لفظ صاحب ((نزهة الخواطر)) الذي يتحرى الدقة والأمانة في وصف الرجال وتقييمهم، ولا يكيل المدح جزافاً :

((علامة الزمان ، وترجمان الحديث والقرآن ، محيي العلوم العربية ، وبدر الأقطار الهندية ، السيد الشريف صديق حسن بن أولاد حسن بن أولاد علي الحسني البخاري القنوجي ، صاحب المصنفات الشهيرة ، والمؤلفات الكثيرة [١])) .

ويقول : ((وكان غاية في صفاء الذهن ، وسرعة الخاطر ، وعذوبة التقدير وحسن التحرير ، وشرف الطبع ، وكرم الأخلاق ، وبهاء المنظر ، وكمال المخبر ، وله من الحياء والتواضع ما لا يساويه فيه أحد ، ولا يصدق بذلك إلا من تاخمه وجالسه ، فإنه كان لا يعد نفسه إلا كأحد الناس [٢])) .

ومما يمتاز به الأمير من بين أقرانه ، ويخلد ذكره في تاريخ العلم والإصلاح في الهند ، جمعه بين الرئاستين العلمية والعملية ، الذي لا يتأتى إلا لأفراد الناس في فترات قليلة ، وكثرة مؤلفاته التي بلغ عددها إلى اثنين وعشرين ومائتين (٢٢٢) ، وإذا ضمت

---

(١) نزهة الخواطر (ج٨/ ص١٨٧) .

(٢) نزهة الخواطر (ج٨/ ص ١٥٢) .

www.abulhasanalinadwi.org

إليه الرسائل الصغيرة بلغت إلى ثلاثمائة (٣٠٠) وقد قام ـ في مجال التأليف والإنتاج العلمي ـ بما لو قامت به مجامع علمية كبيرة في الشرق أو الغرب لاستحقت الإعجاب والتقدير ، وذلك كله رغم المآخذ التي لا يخلو عنها كثير من كبار المؤلفين ، من تلخيص أو تجريد ، أو نقل من لسان إلى لسان آخر ، أو استعانة بالزملاء والفضلاء ، أو اقتباس من مؤلفات سابقة ، ثم تشجيعه للحركة العلمية التأليفية ، ونشر آثار السلف والعلماء المحققين الناصرين للسنة ، كالعلامة محمد بن علي الشوكاني ، والعلامة السيد محمد بن إبراهيم الوزير ، والأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني ، وحكيم الإسلام الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي ، وغيرهم .

ومن مآثره التي لا تنسى ، ولا يغمط حقها ، أنه أمر بطبع تفسير ابن كثير (مع فتح البيان) وفتح الباري للعلامة ابن حجر ، وقد اشترى نسخة من الحديدة ، وكانت بخط ابن علان ، وطبعهُ بمطبعة بولاق في مصر ، وكلف طبعه خمسين ألف روبية [1]، وأهداه إلى أهل العلم والمشتغلين بالحديث في الهند وخارجها ، وقد انتسخ سنن الدارمي عند قفوله من الحج ، والبحر هائج والسفينة مضطربة .

ومن مآثره وحسناته ؛ أنه كان السبب في انتقال العلامة الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني الانتقال الأخير الدائم ، وتديره في بهوبال ، وهو الذي انتهت إليه رئاسة تدريس الحديث الشريف ، وإجازاته في الهند في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وتخرج عليه أئمة تدريس الحديث وكبار أساتذته في شبه القارة الهندية ، وبوجود العلامة الأمير على منصة الرئاسة والإمارة ، وطلوع السهيل اليماني في جواره وحماه ، أصبحت بوفال محط رحال العلماء ، ومنتجع رواد الحديث ، وكانت لعلم الحديث نهضة وانتفاضة لا نظير لها حتى في البلاد العربية ، وفي مراكز هذا العلم القديمة ، ونشطت حركة التأليف والتدريس والشرح في طول الهند وعرضها ، وكان للسنة وحملتها والدعاة إليها جولة وصولة ، وكان لأهل البدع ضعف واختفاء ، في ربوع هذه الإمارة الإسلامية ، التي ملك زمام الأمور فيها مدة من الزمن ، وكانت له فيها الكلمة المسموعة، والأعلام المرفوعة .

هذا وقد لقي الأمير من كثير من علماء العرب ومؤرخيهم شبه انصراف عنه ، وعدم إنصاف ، والسبب في ذلك يرجع إلى عدم وجود كتاب ألف في حياته وآثاره ، وتقييمه

---

(١) وذلك يساوي مئات الآلاف في هذا الزمان .

www.abulhasanalinadwi.org

تقييماً علمياً تاريخياً ، وإزاحة الستار عن مناقبه ومآثره العلمية والإصلاحية ، ومكانته في تاريخ العلم والتأليف والإصلاح ، والدعوة إلى الهند ، ولم أجد أحداً من علماء العرب يعرف علو منزلته ، ويشيد بفضله ويشتغل بمؤلفاته ، ويثني عليها أكثر من المرحوم العلامة محمد بن نافع ، مدير المعارف الأسبق في المملكة العربية السعودية ، ووزير المعارف في دولة قطر سابقاً ، فما كنت أحضرُ له مجلساً في الخمسينات الأولى الميلادية في مكة المكرمة إلا ويتطرق الحديث بمناسبة أو غير مناسبة ، إلى ذكر العلامة الأمير والحاجة إلى إحياء كُتُبه ونشرها .

وقد كان من تيسير الله تعالى وحكمته أن قيض للكتابة في موضوع حياته وآثاره ، الأخ العزيز محمد إجتباء الحسيني الندوي ، الذي اختار هذا الموضوع لرسالة الدكتوراه التي قدمها لجامعة عليكره الإسلامية ، وهو حفيد المصلح الكبير ، الداعي إلى الله الشيخ جعفر علي الحُسيني النقوي (توفي ١٢٨٨هـ) أحد خلفاء السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (توفي ١٢٤٦هـ) ، وزميل والد العلامة الأمير السيد أولاد حسن في الدعوة والجهاد والارتباط بإمام هذه الدعوة السيد الإمام الشهيد ورفيقه ، وعضده الأيمن ، العلامة محمد إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي ، وقد التقى في تأليفه لهذا الكتاب العامل العقائدي العاطفي مع العامل العلمي التأليفي ، فصدر هذا الكتاب جامعاً بين البحث والتحقيق ، والجد والعناء والحب والعاطفة ، وقد أعان المؤلف على إتمام هذا العمل ، وإيفائه حقه معرفته للغة الفارسية التي فيها عدد كبير من مؤلفات الأمير ، وكان كاتباً قديراً رشيقاً فيها ، كما كان من الكتاب المعدودين في العربية في الهند ، الذين لا يجاوزهم رؤوس الأنامل [١] .

وكذلك معرفة اللغة الأردية التي يحذقها كأبنائها ، وفيها عدد من مؤلفات الأمير أيضاً ، وأعانه على التأليف القدرة على اللغة الفصيحة ، والكتابة العربية السلسة الرشيقة ، والروح الندوية الهادئة المتزنة البعيدة عن الغلو والتطرف ، والعصبية والتعسف ، وما أحسن إذا اجتمعت هذه العوامل القوية ـ التي قد تبدو متناقضة ـ في كتابة كاتب ، وتأليف مؤلف .

(١) ذكر لي العلامة محمد بهجة الأثري ـ علامة العراق ـ أن مقدمة الكتاب المعدودين ؛ الذين لا مغمز في عربيتهم ، الذين نبغوا في الهند العلامة السيد صديق حسن ، ووالدكم العلامة السيد عبد الحي الحسني .

www.abulhasanalinadwi.org

وإضافة إلى كل ذلك أعان المؤلف تمكنه من الإفادة من مكتبة ندوة العلماء الكبيرة، ومكتبة العلامة الأمير التي أودعها نجلاه الأميران السيد نور الحسن ، والسيد علي حسن مكتبة ندوة العلماء ؛ لاتصاله الوثيق بندوة العلماء والقائمين عليها ، وكذلك صلته بالرجال الذين يعتبرون مراجع في هذا الموضوع ، لذلك كله جاء كتابه حاوياً لوصف البيئة والمجتمع الذي وُلد ، وعاش ونبغ فيه الأمير ، والملابسات والأجواء التي اكتنفت حياته ، والعوامل التي لعبت دورها في تكوينه العقلي والنفسي والعلمي ، ووصف معاصريه وأصدقائه ، والمشاكل التي واجهها ، واتجاهاته وذوقه ، ثم استعراض كتبه ومؤلفاته ، والدراسة المقارنة لها ، ومناقشتها ، وتحديد مكانته العلمية والتأليفية ، ومكانة آثاره العلمية والدينية ، إلى غير ذلك من البحوث النافعة المنيرة .

وأشعر وأنا أقرأ هذا الكتاب ـ وكنتُ من ضمن المختبرين لهذه الرسالة ـ أن هذا الكتاب سيسد غوراً ، ويملأ فراغاً في المكتبة العربية المعاصرة ، وتهنيئاتي للمؤلف ، ولمن يقوم بنشر هذا الكتاب في العالمين العربي والإسلامي .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على نبيه وصفيه محمد وآله وصحبه .

١٤/ خلون من ربيع الأول ١٤٠٢هـ

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دار عرفات ـ راي بريلي

www.abulhasanalinadwi.org

موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

لبلاد السند والبنجاب

(باكستان الحالية)

في عهد العرب

تأليف

الدكتور عبد الله مبشر الطرازي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد: فقد منّ الله على أرض السند إذ جعلها الموطن الأول للفتح الإسلامي المبارك في هذا الجزء من العالم الذي تتكوّن منه باكستان حالياً والذي كان جزءاً من شبه القارة الهندية قبل انقسامها إلى بلاد الهند وبلاد باكستان.

فقد عاش هذا الجزء لأول مرة في تاريخها الطويل عصراً كان كله خيراً وبركة على البلاد والعباد، حين شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تدخل هذه البقعة في حضانة الإسلام على أيدي العرب الفاتحين في أواخر القرن الأول الهجري، فعرفت ما لم تكن تعرف من عقيدة سمحة، ورسالة عالمية، وأسس للأخلاق والسجايا الإنسانية الحميدة، وكفاءات عالية لإدارة النظم الحكومية.

www.abulhasanalinadwi.org

لم يكن العرب المسلمون من طراز أولئك الغزاة الذين إذا دخلوا أرضاً أفسدوها، واعتبروها بقرة حلوباً، أو ناقة ركوباً، يحلبون ضرعها ويركبون ظهرها، ويجزون صوفها، ثم يتركونها هزيلة عجفاء، ولا يعتبرون أنفسهم إلا كالإسفنج يتشرب الثروة من مكان ويصبها في مكان آخر، كما كان شأن الإنجليز في الهند، وفرنسا في الجزائر والمغرب الأقصى، وإيطاليا في طرابلس وبرقة، وهولندا في إندونيسيا، بل وهب العرب البلاد التي فتحوها أفضل ما عندهم من عقيدة ورسالة، وأخلاق وسجايا، ومقدرة وكفاية، وتنظيم وإدارة، أقبلوا عليها بالعقل النابغ، والشعور الرقيق، والذوق الرفيع، والقلب الولوع، واليد الحاذقة الصنّاع، فنقلوها من طور البداوة إلى طور الحضارة، ومن عهد الطفولة إلى عهد الشباب الغض، فأمنت بعد خوف، واستقرت بعد اضطراب، وأخذت الأرض زخرفها، وبلغت المدنية أوجها، وتحولت الصحارى الموحشة والأراضي القاحلة إلى مدن زاخرة وأراضي خصبة، وتحولت الغابات إلى حدائق ذات بهجة، والأشجار البرية إلى أشجار مثمرة مدنية، ونشأت علوم لا علم بها للأولين، وفنون وأساليب في الحضارة لا عهد لهم بها في الماضي، وانتشرت التجارة، وازدهرت الزراعة، فكأنما ولدت هذه البلاد في العهد الإسلامي ميلاداً جديداً ولبست ثوباً قشيباً.

وقصة بلاد السند والبنجاب لم تكن تختلف عن البلدان التي كانت متأخرة حضارياً وأدبياً، فحولها العرب المسلمون من طور الجاهلية إلى طور الإنسانية، ومن دور التأخر إلى دور التقدم.

كانت هذه البقعة من الأرض وما جاورها من البلدان تعيش في عزلة من العالم، يحكمها ولاة يعتبرون أنفسهم آلهة على الأرض، والناس كانوا يكفرون بين أيديهم، ويقدسونهم كتقديس العبد لربه، وكانت الأرض وخيراتها ملكاً لهم، والناس عبيداً عندهم، يفعلون ما شاءوا ويحكمون بما أرادوا، الرقاب تحت سيوفهم، والأعراض رهينة شهواتهم، الضعيف المكافح كان أذل من الحيوان، ولم يكن الشرف إلّا بالوراثة، أما من ناحية العقيدة فلم تكن هناك ديانة واحدة، بل ديانات متفرقة، ليس فيما بينها رابط جامع، وكل ما في الأمر أنهم كانوا يعتزون بطقوس وتقاليد ورثوها من آبائهم وتمسكوا بها جهلاً وغروراً.

إن دخول الإسلام إلى بلاد الهند، كان فاتحة عصر جديد، عصر علم ونور، وحضارة وثقافة، كانت هذه البقعة من العالم تستحق عناية الباحثين والمؤرخين، ولكن

www.abulhasanalinadwi.org

للأسف أهملها المؤرخون باستثناء والدي المغفور له العلامة الشريف عبد الحي الحسني رحمه الله، الذي أفرد مؤلفاً من مؤلفاته في عرض مآثر المسلمين في شبه القارة الهندية بما فيها بلاد السند والبنجاب، فذكر أسماء المدارس الإسلامية والمستشفيات والمؤسسات الخيرية، والشوارع العظيمة والحدائق العامة، وما سعوا إليه من أساليب التنظيم المدني والإدارة الحازمة العادلة، غير أنه لم يركز اهتمامه على بلاد السند والبنجاب، بل مسح شبه القارة كلها مسحاً علمياً وتاريخياً، في كتاب «الهند في العهد الإسلامي»، الذي يعتبر موسوعة فيما يتصل ببلاد الهند جغرافياً وتاريخياً وحضارياً، وقد ترجم إلى الإنجليزية والأردية.

أما أخونا الفاضل الباحث سعادة الدكتور عبد الله مبشر الطرازي الحسيني في كتابه القيم «موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب» فقد قام بدراسة شاملة لهذه المنطقة بالذات في شبه القارة الهندية، وما كانت عليها في صدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي في عهد العرب، وهو في بحثه أمين، وفي دراسته موفق، فقد اطلع على أكثر المصادر والمراجع لإكمال هذا التحقيق، واستعرض ما كتبه المستشرقون والمسلمون، وغيرهم من المواطنين الهنود، قارن بما لديه من الأخبار الصحيحة تلك الآراء التي تبنّاها أعداء الإسلام والمسلمين لتضليل الناس وإخفاء معالم الإسلام وخدمات المسلمين نحو الإنسانية جمعاء.

وإذا كان للبيروني فضل في تعريف بلاد الهند من ناحية العقيدة والتقاليد، وصاحب «نزهة الخواطر» في ذكر تراجم علماء الهند، فقد قيّض الله صاحبنا الدكتور عبد الله مؤلف هذا البحث الشامل للإبانة عما كان مطموراً في ثنايا الأسفار، وثنايا التاريخ من أمجاد المسلمين العرب في صدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي، وخدماتهم التي أدّوها للإسلام والإنسانية في بلاد السند والبنجاب وهي بلاد باكستان الحالية.

ويسعدني أن أنوه بالمؤلف الفاضل الذي تربطني به صلة الصداقة والتقدير، وأبدي إعجابي بجهده العلمي الرائع، وإخراج بحث على مستوى عال من التحقيق، وقد كنت كثير التردد إلى والده المجاهد العظيم سماحة الشيخ مبشر الطرازي الحسيني رحمه الله في القاهرة سنة ١٩٥١م، وكان يعطف عليّ عطف الكبير على الصغير والغريب على الغريب.

وقد بحث المؤلف أيضاً الجوانب الاجتماعية التي كانت عليها بلاد السند وعدم استقرار السلام فيها قبل دخول العرب المسلمين، والفصلان الأول والثاني من الباب

www.abulhasanalinadwi.org

السابع لهذا الكتاب يصوران تصويراً دقيقاً للظروف والملابسات الاجتماعية والخلقية والعقائدية التي كانت تلك المنطقة ترزح تحت وطأتها، وما آلت إليه من نظام وعدل وسلام بعد دخول الإسلام فيها.

وإني لمعجب بتنسيق البحث تنسيقاً علمياً، فقد بدأ المؤلف بحثه بتاريخ تلك المنطقة وجغرافيتها وصلاتها بجيرانها، وأوضاعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتحدث عن فتح تلك البلاد وانتشار الإسلام والعلوم الإسلامية فيها، ثم أتى بإشادة مآثر المسلمين ومن نبغ منهم من الشعراء والأدباء والمؤلفين، كما أفرد فصولاً في ذكر أسماء الولاة العرب الذين تتابعوا على الحكم من قبل الخلفاء الأمويين والعباسيين مع حفظ تاريخهم ومدة حكمهم، والإصلاحات التي تناولوا بها في عصورهم.

جزى الله المؤلف الباحث عن العلم والعلماء خيراً، فإنه أغنى المكتبة الإسلامية بمؤلف يستحق كل تقدير وإعجاب.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

لكهنو. الهند ١٥/ ١١/ ١٤٠٢هـ

الموافق ٤/ ٩/ ١٩٨٢م

www.abulhasanalinadwi.org

الهند في العهد الإسلامي

للعلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني

(١٢٨٧ ـ ١٣٤١ هـ)

راجعه وقدم له (نجل المؤلف)

العلاّمة أبو الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على رسول الله ﷺ .

أما بعد : فإذا صح أن " الوطن المألوف بمنزلة الأم ، لها حق لا يضاع ، وإليها حنين لا ينكر[١] " فقد سجل تاريخ العلم ، والأدب ، والكتابة ، والتأليف ، أمثلة رائعة، وآيات باهرة من هذا الوفاء الكريم ، والبر السامي النزيه لأبناء البلاد البررة لأمهم الحنون ، التي ولدتهم ، وأرضعتهم ، والتي قضوا في أحضانها أطيب أيام حياتهم ، وأصفاها ، وعاش فيها ودفن آباؤهم الذين يحبونهم ، ويجلونهم ، ولهم فيها آثار وذكريات ، وتغنى بها الشعراء قديما وحديثا ، فقال ابن الرومي :

ولي وطن آليت أن لا أبيعه وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعما بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وقال الآخر :

بلاد بها نيطت علي تمائمي وأول أرض مس جسمي ترابها

(١) كلام مقتبس من مقدمة " جنة المشرق " لمؤلفها التي سميناها " الهند في العهد الإسلامي " .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد كان المسلمون بفضل التعاليم الإنسانية الخلقية التي تلقوها في مدرسة الرسالة المحمدية ، من أوفى الأمم والشعوب للبلاد التي ولدتهم ، وأنشأتهم ، أو آوتهم واحتضنتهم ، ومن أبر الأبناء لتلك الأمهات المعنوية ، ومن أحرص عباد الله على شكر النعمة ، ومعرفة الحق والفضل ، وأحرصهم على تسجيل الأخبار ، وتخليد الآثار ، وإثارة الدفائن وإيضاح المعالم والكشف عن المجاهل ، والبحث عن الحقيقة وتحري الصدق والدقة ، والأمانة في الحكاية والرواية ، ساعدهم في ذلك ذوقهم التاريخي الذي رافقهم من أول رحلتهم ، وفجر نشأتهم ، وطبيعة التحقيق التي اقترنت بحياتهم وأخلاقهم منذ عنوا بفن الحديث والرواية ، ودونوا علم الأصول ، وفن أسماء الرجال ، فكانوا رواد البحث العلمي ، وحاملي فن التاريخ الأمين في كثير من البلاد التي وردوا فيها .

وإذا أراد الله ببلد خيرا ، وأراد أن يخرجه من الظلمات إلى النور ، ومن الخفاء إلى الظهور ، ومن حياة العزلة والخمول ، والقناعة بالنزر اليسير ، والانطواء على النفس ، إلى حياة الشهرة والاتصال ببقية الأسرة الإنسانية ، والعالم المترامي الواسع ، وركب الحياة السيّار ، وأراد أن يسلط عليه أضواء قوية من العلم والتحقيق ، ساق إليه المسلمين ، فاتخذوه وطنا ، وسكنا ، ومعاشا ، ومدفنا ، ولم يعتبره بقرة حلوبا ، أو ناقة ركوبا ، يحلبون ضرعها ، ويركبون ظهرها ، ويجزون صوفها ، ثم يتركونها هزيلة عجفاء ، أو منتوفة شوهاء ، ولا يعتبرون نفوسهم كالإسفنج يتشرب الثروة في مكان ، ويصبها في مكان [1] ، بل وهبوا هذه البلاد أفضل ما عندهم من عقيدة ورسالة ، وأخلاق وسجايا ، وقدرة وكفاية ، وتنظيم وإدارة ، وأقبلوا عليها بالعقل النابغ ، والشعور الرقيق ، والذوق الرفيع ، والقلب الولوع ، واليد الحاذقة الصناع ، فنقلوها من طور البداوة إلى طور الحضارة ، ومن عهد الطفولة إلى عهد الشباب الغض ، وآمنت بعد خوف ، واستقرت بعد اضطراب ، وأخذت الأرض زخرفها ، وبلغت المدنية أوجها ، وتحولت الصحارى الموحشة ، والأراضي القاحلة إلى مدن زاخرة ، وأراض خصبة ، وتحولت الغابات حدائق ذات بهجة ، وأشجار البرية أشجارا مثمرة مدنية ، ونشأت علوم لا علم بها للأولين ، وفنون وأساليب في الحضارة والحكم والفن لا عهد بها في الماضي ، وانتشرت التجارة وازدهرت الزراعة ، فكأنما ولدت هذه البلاد في العهد الإسلامي ميلادا جديدا ولبست ثوبا قشيبا .

---

(١) كما كان شأن الإنكليز في الهند ، وفرنسا في الجزائر والمغرب الأقصى ، وإيطاليا في طرابلس وبرقة .

www.abulhasanalinadwi.org

هذه قصة أسبانيا التي سماها المسلمون بلاد الأندلس ، فلم يكن العالم يعرف عنها إلا الشيء القليل الذي لا يشرح الصدر ، ولا يبعث الآمال ، فلما دخلت هذه البلاد في ولاية العرب المسلمين ، وفي حضانة الإسلام بلفظ أصح ، انتقلت من الظلام إلى النور، ولفظت الأرض خزائنها ، وصبت خيراتها ، فكانت أمنية الفاتحين ، وأغنية الشعراء والمتغزلين ، وموضوع المؤرخين والجغرافيين ، وكانت جنة الدنيا ، وسوق العلم ، ومثابة العلماء ، ومنتجع الشعراء ، وكانت ذات مدرسة في الفقه ، والشعر ، والأدب ، والفلسفة ، والفن المعماري ، وكانت فيها مرسية ، وبلنسية ، وجيان ، وشاطبة ، وقرطبة ، وإشبيلية ، وغرناطة ، وكانت فيها مدينة الزهراء ، وقصر الحمراء .

وهذه قصة مصر ، والشام ، والعراق ، وإيران ، وتركستان بعد الفتح الإسلامي ، فكانت كماء راكد قد أسن ، وكانت مطية للرومان والفرس ، ينعمون بثرواتها ، وحاصلاتها ، وبكدح عملتها وفلاحيها ، ولم تكن هذه البلاد قبل فتح المسلمين ذات طابع خاص في المدنية والآداب ، والفن ، ولم ينبغ فيها علماء ، وشعراء ، وفقهاء ، ومشرعون ، وحقوقيون ، ومبدعون ، وعمالقة الفكر ، وعباقرة الفن ، دوى اسمهم في الآفاق وسارت بمصنفاتهم الرفاق ، وردد العالم صوتهم من أقصاه إلى أقصاه ، وسمع صدى أفكارهم وتحقيقاتهم في الشرق والغرب ، حتى جاء الإسلام ، فكانت البصرة ، والكوفة ، والموصل ، وبغداد في العراق ، ودمشق ، وحلب ، وحمص ، ونابلس والقدس الإسلامي ، وطرابلس ، وحماة في الشام ، والفسطاط ، والقطائع ، والقاهرة، وأسيوط ، والمنصورة ودمياط في مصر ، وسمرقند ، وبخارى ، والشاش(١) ، وخوارزم في تركستان ، والري ، وهمدان ، ونيسابور ، وشيراز ، وطوس، وأصفهان في إيران (٢) ظهر فيها نوابغ لا يحصيهم إلا من أحصى حصى البطحاء، ورمال الدهناء .

وهذه قصة شمال إفريقية من ليبيا إلى مراكش ، فلم تعرف هذه البلاد إلا بالقسوة ، والفروسية ، وشدة الشكيمة ، واستعصاء أهلها على الفاتحين حتى ضرب بأهلها البربر المثل في الوحشية ، والنخوة ، وتشاغلها بالحروب الداخلية ، وشدة تمسكها بالعادات القديمة ، والتقاليد القبلية ، لا لغة راقية ، ولا حضارة رقيقة ، ولا دين معقول ، ولا

(١) وتسمى الآن طاشقند .

(٢) وقد اقتصرنا على قليل من أسماء المدن التي لمعت في التاريخ الإسلامي على سبيل المثال ، وإلا هي أكثر من أن تستقصى .

www.abulhasanalinadwi.org

مدينة مشهورة حتى جاء الإسلام ، فكانت فيها مدينة قيروان ، وفاس ، ومكناس ، ومراكش ، وباجة ، وسوسة ، وسرقسطة ، وبجاية ، والمسان ، وتونس ، أنجبت أفذاذا في الحديث ، والتفسير ، والفقه ، والتصوف ، والشعر والأدب ، والنقد ، والتاريخ ، والفلسفة ، يطل استقصاؤهم ، وكانت فيها مدارس كجامع القرويين وجامع زيتونة تخرج فيها وعلّم أئمة في العلوم والفنون ، وخلفوا آثارا باقية ما دامت اللغة العربية ، والعلوم الإسلامية .

وهذه قصة الهند ، فكانت تعيش في عزلة عن العالم يحجزها عن العالم المتمدن البحر في الجنوب والشرق ، وسلسلة الجبال من أكثر جبال العالم ارتفاعا وطولا في الشمال والغرب ، لا يتمثلها العالم المتمدن ، ولا يراها إلا في مرآة العقائد المتطرفة ، والأساطير الشائعة عن الرياضات المرهقة ، والزهد المتبتل ، وتعذيب الجسم ، والتغلب على مطالب النفس ، وقهرها ، والتمسك بفلسفة وحدة الوجود ، والبراعة في بعض العلوم الرياضية ، و الفلك ، واتساع المساحة ، وخصب الأرض ، ووفور الخيرات ، ولا تفتح نافذة ينظر منها العالم إلى هذه البلاد المطوية المغلقة إلا عن طريق بعض الفاتحين كالإسكندر المقدوني ، أو عن طريق بعض المحققين الباحثين كأبي الريحان البيروني[١] (م ـ ٤٤٠هـ) قد وقفت مدنيتها على ما كانت عليه قبل آلاف من السنين ،ولم تشتغل إليه الحاذقة في زيادة الثروة وتسهيل الحياة وترقيق المدنية ، وتوسيع الثقافة كما اشتغلت في بلاد مجاورة ، فبقيت على ما كانت عليه[٢] من مدنية ، وفن ، وزراعة وأساليب للحياة ، حتى دخلها المسلمون فحملوا إليها أجمل ما عندهم من عقيدة توحيد ، ومساواة إنسانية وحقوق عامة لجميع الطبقات ،ومدنية رقت حواشيها ، وطالت ذيولها ، وثقافة شارك في توسيعها وتهذيبها عبقريات عدة شعوب ، وتجارب عدة أمم، وإدارة قد مارسوها ، وأتقنوها في ميادين شتى ، فدخل معهم الهواء الطري النقي ، ولقاح الأفكار المتباينة ، والفن الذي نضج واختمر ، وتنظيم البلاد وسياسة الحكم التي طالت تجربتهم فيها ، والتقت الفروسية التركية ، وقوة الإرادة المغولية ، والنخوة الأفغانية مع الشريعة الإسلامية السمحة ، والطموح العسكري الإداري الذي لا يخضع

---

(١) يرجع إلى كتابه " تحقيق ما للهند من مقالة مقبولة في العقل أو مرذولة .

(٢) اقرأ صفة الهند وما كانت عليه من مدنية وإنتاج وصناعة وثمار وفواكه وأدوات مدنية ومرافق الحياة في منتصف القرن العاشر الهجري بقلم السلطان بابر التيموري الرسام المصور في كتابه الخالد "تزك بابري " أو اقرأ ترجمته بالعربية في كتابنا " المسلمون في الهند " .ص٢٦، ٢٧

www.abulhasanalinadwi.org

لصعوبة ، ولا يؤمن بخطر ، ومع طبيعة البلاد والشعوب التي اختلطوا بها ، الرقيقة الوادعة التي تتدفق برسالة الحب والرفق ، والغناء المطرب ، والشعر الرقيق ، والكرم الأصيل ، وحب التعمق في كل علم وفن ، التقى كل ذلك في إنشاء حضارة جديدة تستحق أن تسمى " الحضارة الهندية الإسلامية " أو " الحكم المغولي الإسلامي الهندي " وفي تكوين فن معماري يستحق أن يسمى " الفن الإسلامي الهندي " فإذا تجلت هذه العبقرية الممزوجة المركبة في أساليب الحكم والإدارة والتنظيم ؛ كانت عبقرية علاء الدين الخلجي (م٧١٦هـ) في قوانين التجارة ، والمعاملة ، والتسعير ، ورخص المواد الغذائية ، وصلاح أخلاق التجار وأهل الحرف.

و إذا كانت عبقرية تجلت في الحب و الحنان، و الأنغام و الألحان، كانت عبقرية الأمير التركي الهندي الأمير خسرو [١] أمير شعراء الهند (م٧٢٥هـ) فظهرت في شعره الرقيق الرائق، الذي كان يسيل رقة و عذوبة و كان يضرب على أوتار القلب، و ظهرت في تفننه في أغراض الشعر و ضروبه، و اقتداره على عدة لغات.

و إذا كانت عبقرية تجلت في الإنسانية السامية، و الأخلاق الفاضلة، و الحياة النافعة، كانت عبقرية الشيخ نظام الدين البدايوني الدهلوي (م ٧٢٥هـ) التي ظهرت في زهده، و شفقته على الخلق، و إيثارهم على النفس.

و إذا تجلت هذه العبقرية في طيب الخلق، و تأمين البلاد، و خدمة العباد، كانت عبقرية فيروز تغلق (٩٧٧هـ) التي تجلت في الأمن المنقطع النظير، الذي لم تعرفه البلاد من قبل، و في كثرة الأنهار، و تنظيم الريّ، و تعايش أهل البلاد السلمي، و ارتفاع المظالم، و قلة نسبة الجنايات.

و كانت عبقرية شير شاه السوري (٩٥٢هـ) في سنِّ القوانين، و ضبط البلاد، و ترفيه السكان، و تجلت في هذا الشارع الذي كان يبتدئ من ماء نيلاب في أقصى الشمال الغربي إلى سناركاؤن في أقصى الشرق ، و بناء الخانات، و تهيئة أسباب الراحة و الخفارة للقوافل و السابلة، و في وضع دستور الحكم العام الحكيم، تحقق كل ذلك في خمس سنوات.

---

(١) هو من أصل تركي صميم و خؤولته من الهند، ولد في بتيالي في الولاية الشمالية، و كان إماما في الشعر و الموسيقى، و له اختراعات و اجتهادات فيهما.

www.abulhasanalinadwi.org

و إن تجلت هذه العبقرية في الجمع بين الفضائل العلمية و العملية، و بين السيف والقلم، و القدرة الأدبية الشعرية في لغات متنوعة، كانت عبقرية عبد الرحيم خانخانان (م١٠٠٥هـ) القائد العسكري الكبير، و من أركان الدولة المغولية الذي جمع بين قيادة الجيوش و صدارة الأدب و الشعر، و تربية الأدباء و الشعراء، و يعتبر من الشعراء المفلقين في اللغات التركية، و الفارسية و الهندية الوطنية.(١)

و إذا تجلت هذه العبقرية في الذوق الرقيق و حسن الاختيار، و صفاء الحس، و رقة الشعور، كانت عبقرية جهانكير (م١٠٣٧هـ) في ترقية الثمار و الفواكه، و في تلقيح الأشجار، و التفنن في المأكل و المشرب، و إذا تجلت هذه العبقرية المزدوجة المركبة، الرقيقة المهذبة في الفن المعماري ، و الهندسة و البناء ، و الآثار الجميلة الخالدة، كانت عبقرية شاهجهان التي تجلت في التاج محل الدرة الفريدة المعمارية ، وفي جامع شاهجهان في " دهلي " والقلعة الحمراء ، وإذا تجلت هذه العبقرية في قوة الإرادة ، وقدرة الإدارة ، وقيادة الجيوش ، وإخضاع البلاد لحكم واحد ، وقانون واحد ، والإشراف عليها في وقت واحد ؛ تجلت في عبقرية أورنك زيب في إخضاع جنوب الهند الذي تمرد على الفاتحين الأولين، و بقي محافظا على استقلاله، و شخصيته أكثر الوقت، و في ديانته و تقواه، و أخذه بالعزائم، و ظهرت في تدوين " الفتاوى الهندية " و في إحياء السنن النبوية، و إزالة العادات والشعائر الجاهلية التي تمسك بها أجداده، وعضوا عليها بالنواجذ، و إذا تجلت هذه العبقرية في ميدان العلم ، والفكر الإسلامي، والغوص في مقاصد الشريعة ، وأسرار الكتاب والسنة ، وتمحيص الحق والباطل ، والخالص والزائف؛ تجلت في معارف الشيخ شرف الدين يحيى المنيري (م٧٨٦هـ) وحمية الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (م١٠٣٤هـ) وحكمة الشيخ ولي الله الدهلوي (م١١٧٦هـ) فكانت الهند عالما مستقلا لا بالمعنى القديم الذي كانت تعيش فيه قبل دخول الإسلام ، ولكن بالمعنى الجديد الذي وصلت إليه بعد الفتح الإسلامي من تفوق في أساليب الحكم ، وبراعة في كثير من العلوم الإسلامية وقيادة لعدة حركات إصلاحية ، وإبداع في كثير من فنون الحضارة والاجتماع .

---

(١) هو عبد الرحيم بن بيرم خان (أحد مؤسسي الدولة المغولية) من أصل تركي أصيل، و أمه هندية، و يعتبر من أئمة الشعر الهندي (غير الأردوية) كان يتلقب فيه برحيم، و يقر بفضله أدباء الهنادك ويعدونه من شعرائها المعدودين الذي نبغوا في المسلمين ، اقرأ ترجمته الحافلة في "نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر" في الجزء الخامس.

www.abulhasanalinadwi.org

فكانت في حاجة إلى استعراض شامل تاريخي دقيق ، ومقارنة أمينة بين الماضي والحاضر ، وما كان للهند من تراث ، وبقايا ، وما حمل إليها المسلمون من طرف وهدايا ، وكانت في حاجة إلى مؤرخ واسع الاطلاع ، دقيق الإحصاء ، واسع الصبر والأناة ، قد نقب في المكتبة الإسلامية ، وعاش فيها مدة طويلة لا يرى اللذة إلا في إحياء مآثر السلف ، وإيتائهم ما يستحقون من الاعتراف والشكر.

وقد كان من سعادة الأندلس الإسلامية أن قيض لها مؤرخ وصَّاف ، وأديب رسَّام ، مثل محمد لسان الدين بن الخطيب من وزراء دولة غرناطة ، فألف كتابه الفريد " الإحاطة في أخبار غرناطة " في ثلاثة أجزاء ، فكان موسوعة صغيرة فيما يتصل بعاصمة العرب المسلمين الأخيرة في الأندلس ، وقد طرق في هذا التاريخ باباً قلّ من سبقه إليه من مؤرخي العرب ، وهو أنه افتتح الكتاب بقسم جغرافي خطط فيه ولاية غرناطة وما يتبعها من القرى والجنَّات ، وذكر فيه عوائد أهلها ، ومعايشهم ، وأزياءهم ، وجندهم، وسلاحهم ، وكثيرا مما يتعلق بحالهم الاجتماعية لعهده .

وقد فاق هذا الأثر العلمي الخالد أثر آخر لمؤلف مغربي جاء بعده يجدر أن يتطاول به المغرب على بلاد الشرق الإسلامية ، وهو يحيط بالأندلس إحاطة أكمل ، وأشمل ، وأوفى ، وأجمل ، وهو الكتاب الطائر الصيت : نفح الطيب لغصن الأندلس الرطيب للعلامة أحمد المقرىء المغربي المالكي (م١٠٤١هـ) [١] وهي دائرة معارف ، ومعجم مستقل في كل ما يتعلق بالأندلس ، مشحون بالتاريخ ، والأدب ، والشعر والملح في أسلوب أدبي وسجع ، وفيه فوائد كثيرة ، ومادة غزيرة وعلم منثور ونوادر وحكايات ممزوج بأخبار غير الأندلسيين [٢] وما لا صلة له بالموضوع بأدنى مناسبة ، ولكنه لا يخلو من الفائدة ، وإن كان ينقصه التنقيح والتأليف المرتب على النسق الجديد - والكتاب في أربعة أجزاء كبار ؛ إلا أن الجزء الثالث والرابع في ترجمة لسان الدين بن الخطيب وحده ، وقد أولع به هواة الأدب والإنشاء البليغ والنثر الفني قديما وحديثا ، واعتنوا به اعتناء كبيرا .

وكانت سعادة مصر من هذا الوصف والتصوير ، وتخليد الآثار ، وحفظ الأخبار أوفى وأوفر من كل قطر زها في العهد الإسلامي ، وذلك بفضل ابنها البار العلامة تقي

---

(١) مات شهيدا .

(٢) العبارة مقتبسة من تقديم الكتاب للأستاذ رفيق العظم .

www.abulhasanalinadwi.org

الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزي (م٨٤٥هـ) فقد ألف كتابه العظيم " كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار[١] " المشهور بخطط مصر (في جزأين كبيرين) وقد استقصى فيه الدقيق والجليل ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ذكر فيه المدن والمسالك ، والشوارع ، والحارات ، والدروب ، والأزقة ، والخوخ ، والرحاب ، والدور ، والقصور ، والحمامات ، والمارستانات ، والقياسرة ، والخانات ، والفنادق ، والأسواق ، والقناطر ، والجسور ، والبرك ، والسجون ، والمساجد ، والمدارس ، والخانكاهات ، والربط ، والمشاهد والجواسق، والمقابر ، والكنائس ، وذكر الأعياد ، والمواسم ، والدواوين ، و رتب الأمراء ، والخزائن ، ورتبة الوزارة ، وهيئة خلعهم ، ومقدار جاريهم ، وذكر فيه صلاة العيد ، وما يتعلق بها ، وذكر المناظر ، والمنتزهات ، والعوائد التي كانت بقصبة القاهرة ، والمكوس ، والصناعات ، والنظر في المظالم والجيوش والحجبة ، وأحكام السياسة ، ومذاهب أهل مصر ونحلهم ، ولكن الحديث أكثره منصرف إلى القاهرة ، ودائر حولها ، وما كانت عليه القاهرة المعزية في حياته من مدنية ، وعمارة ، وعادات ، واجتماع ، وطراز للحياة ، وآثار باقية ، وقد مضى على وفاة المؤلف أكثر من خمسة قرون وما جاء بعده ـ على كثرة المؤلفين والمؤرخين في مصر ـ من يخلفه في تسجيل ما جد وتغير ، وفي وصل الحاضر بالغابر ، وعلى كل فالكتاب مأثرة علمية تأليفية تتباهى بها مصر ، وبرهان ساطع على وفاء علماء المسلمين ومؤلفيهم لأوطانهم ، وهمتهم السامية في التأليف والتدوين ، وتخليد الآثار .

أما الشام فقد صنف ابن عساكر (م٥٧١هـ) كتابه المشهور " تاريخ دمشق " [٢] الذي هو بمكتبة أو بدائرة معارف أشبه منه بكتاب مفرد ، وأكثره تراجم رجال ، ثم وقعت فترة طويلة في صفة الشام ، وذكر أخباره ، وآثاره ، ومدينته ، وحضارته ، وما حباه الله من جمال ، وكمال ، وسحر ، وشعر ، وما طرأ عليه من تطورات ، وحكومات ، وعادات، وصناعات ، وأوضاع ، وتصوير ما عليه هذا البلد من حياة ، واجتماع ، وزراعة ، وتجارة، حتى قام أحد أبنائه الأوفياء وهو الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي

(١) قال المقريزي (م٨٤٣هـ) إن أول من صنف فيهما أبو عمر بن يوسف الكندي ، ثم القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، وأكبر الظن أن هذه الكتب قد ضاعت ، ولم تنته إلينا .

(٢) قال العماد عن أجزاء " تاريخ دمشق " : وهو يحتوي على سبعمئة كراسة ، كل كراسة عشرون ورقة ، وقال : إنه في خمسمئة وسبعين جزءا والنسخة الجديدة في ثمانمئة جزء .

www.abulhasanalinadwi.org

العربي بدمشق سابقا (م١٣٧٣هـ الموافق٢/ نيسان سنة ١٩٥٣) فألف كتابه القيم " خطط الشام "[١] وضمنه تاريخ البلد المدني والسياسي ، وتاريخ العلوم والآداب التي ازدهرت فيها ، وما كان عليه القطر في عهده من زراعة ، وتجارة ، وما يستورده من الخارج ، وما يصدره إليه ، وما يستطرف من مصنوعاته ومنتجاته وما يحتوي عليه من معادن وخيرات ، وما يمتاز به من حيوانات دواجن ، واستعرض القوة الحربية، والحالة الاقتصادية ، والأمور الخيرية ، ومظاهر الحياة المدنية الدينية في مختلف العهود والآثار القديمة (العاديات) وذكر أهم مدن القطر ، وخصائص أهله ، واللغات التي تكلم بها أهل هذه البلاد في عصور مختلفة ، فجاء هذا الكتاب نبراسا مضيئا ، ودليلا مرشدا في جغرافية هذه البلاد وتاريخها ، ومدنيتها ، وثقافتها ، واجتماعها ، فاستحق المؤلف شكر أبناء وطنه ، وكل معجب بالشام ، معترف بفضله في تاريخ الإسلام .

و قد اقتصرنا في هذا الفصل على التعريف الإجمالي بالكتب التي ألفها أبناء هذه البلاد في خطط هذه البلاد، و آثارها ، ووصفها، و إلا فالكتب التي ألفها المؤلفون الإسلاميون في وصف بلاد إسلامية و تاريخها و خططها أكثر من أن تستقصى في هذه العجالة ، و خير ما كتب في هذا الموضوع ، و أوسع ما ألف فيه "كتاب الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية" للمرحوم الأمير شكيب أرسلان (م ١٣٦٦هـ ديسمبر ١٩٤٦م) و الكتاب في ثلاثة أجزاء، و كان الظن أن تكون ثمانية و لكن حالت المنية دون إتمامه، و قد حشد فيه المؤلف المعلومات الجغرافية، و التاريخية ، فأصبح كتابا موسوعة في وصف الأندلس و رغما على أنه لم يتم أوسع كتاب عربي كتب عن الأندلس في العصر الحاضر.

و قد كانت للهند[٢] الإسلامية شخصية إسلامية ممتازة و دور مستقل في توسيع الحضارة الإسلامية و تجارب الحكم ، و مجال العلوم الدينية إذا لم يكن لها دور في إنشائها و تكوينها، كما قدمنا في السطور الماضية، وهي حلقة ذهبية في سلسلة الذهب التي يتحلى بها جيد الإسلام، و يتجمل بها تاريخ المسلمين، و قد نشطت حركة التأليف و التدوين منذ فجر الإسلام في هذه البلاد، ونبغ فيها مؤلفون و مؤرخون يعدون بالمئات، و لكن جل مؤلفاتهم و آثارهم العلمية تدور حول البلاد و شخصيات الملوك، و إما تدور حول الزوايا و من كان فيها من الشيوخ الكبار ، و أكبر همّهم تدوين أخبار

(١) في خمسة أجزاء (ظهر هذا الكتاب سنة ١٣٤٣هـ الموافق سنة ١٩٢٥ م) .

(٢) إذا أطلقنا كلمة الهند فإنما نعني بها : شبه القارة الهندية، و القطر الهندي كله قبل التقسيم.

www.abulhasanalinadwi.org

الفتوح، و أخبار الشجاعة، و الكرم، و تسجيل الخوارق، و الكرامات و المجاهدات والرياضات و القليل النادر منها ما يتحدث عن العلماء و الأدباء و يسجل أخبارهم، وهذا القليل النادر يتجرد عن ذكر التفاصيل التي تتكون بها سيرهم الحقيقية، و تتمثل بها صورتهم الواقعية ، أما ما كانت عليه البلاد في مختلف العهود من حضارة و رقي و تقدم و ما كانت عليه سياسة البلاد، و أساليب الحكم، و التنظيم الإداري، و تحصيل المالية و الجبايات، و قيادة الجيوش و نظام الحروب، و كيف كانت الحالة الاقتصادية، و إلى أين وصلت مجابي البلاد و مواردها في حكومات مختلفة و عهود مختلفة، و كيف كانت طريقة الملوك الإسلاميين في القضاء و العدل، و فصل الخصومات، و ما هي عاداتهم في الجلوس للناس، و الخروج في المدن ، و الجولات في المملكة، و ما هي عاداتهم و سننهم في الأعياد و المواسم، و ما هي الأيام التي كانوا يحتفلون بها ، و كيف كانوا يظهرون سرورهم في الأفراح، و عطفهم على الرعية، و ما هي الرتب و المناصب الرئيسية في دور حكمهم، و كيف كانوا يقلدونها أهلها ، و ما هي جرايات أهل المناصب و مرتباتهم، و ما هي الحقوق و التكريمات التي كانوا يتمتعون بها، ثم ما هي الأمور الخيرية التي وفق لها الملوك المسلمون في عهدهم الطويل، و ما هي المآثر و المبرات التي شادوها لترقية البلاد، و ترفيه العباد، و إطعام الجائع، و إغاثة الملهوف، و تأمين السبل، و ما هي سوابقهم ، و أولياتهم، و مخترعاتهم في السياسة، و الحكم، و تنظيم البلاد، و تحصيل الخراج، و ترقية الزراعة و التجارة، و ما هو طرازهم الخاص في الفن المعماري، و ماهي التحسينات التي أدخلوها على المدينة ـ إلى غير ذلك مما تهم معرفته. فقد صورهم بعض المؤرخين المتحيزين إلى فئة الخاضعين لأغراض سياسية، أو طائفية، ملوكا جبارين، غلاظا شدادا ، قساة جفاة، لا يحملون إلا السيف و لا يحسنون إلا صناعة الحرب، و لا يعرفون إلا لغة الدم و الدرهم، لا ذوق عندهم، و لا ذكاء، و لا أصالة في فنهم و لا اختراع.

و كان الذي يطالع مؤلفات مؤرخي الهند المسلمين ـ و جلها بالفارسية ـ لا يستطيع أن يقدم لهذا العهد صورة مشرقة، أو يهتدي إلى مآثرهم في ضوء هذه الكتب، فإما يتجرد أكثرها عن هذه المواد تجريدا يمكن المؤرخين المتشائمين المغرضين من تأييد دعواهم و إما يجدها القارئ مبعثرة في هذه الكتب الكبيرة الضخمة، مطمورة تحت ركام أخبار الحروب و الفتوح، و قصص السطوة و القسوة، و الصلات السنية السخية، والجوائز المشدهة للعقول، و كأن القارئ يشعر في أثناء قراءته بأنه يمشي في نفق مظلم لا ضوء فيه، و لا هواء، فلا يتبين من يمر به في هذه الرحلة، و لا يرى الأزياء، و لا

www.abulhasanalinadwi.org

يعرف النقود التي كانوا يتعاملون بها، و القواعد التي يلتزمونها، و أسس الحكم التي يسيرون عليها، إلا بعض اللمعات، أو بعض الأضواء التي يراها في "تاريخ فيروز شاهي" لضياء الدين البرني (مات بعد ٧٥٨هـ) و "تحفة فيروز شاهي" لسراج الدين عفيف، و " تاريخ كازار إبراهيمي" المعروف بتاريخ فرشته لمحمد قاسم البيجابوري[١].

فكانت الهند في حاجة إلى مؤرخ للرجال، كابن خلكان (م٦٨١هـ) و مستعرض للتاريخ العلمي كحاجي خليفة جلبي (م ١٠٨١هـ) و وصاف كالمقريزي(م ٨٤٥هـ) حتى توفى هذه البلاد التي ذكر فيها الرجال و ازدهر فيها العلم و اتسعت فيها المدنية حقها من التاريخ، و التسجيل و التصوير، و قد وفّق الله العلامة السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني (م١٣٤١هـ) ليمثل هؤلاء الثلاثة العظماء فيما يختص بالهند، ترجمة و تاريخا و استعراضا و تصويرا، و طالما سمت همة أصحاب النفوس الكبيرة إلى تمثيل أشخاص مختلفين، و إلى القيام بعمل ينوء بالعصبة أولي القوة، و قد أنتج بعض الأفراد في تاريخ الإسلام العلمي قديما و حديثاً ما قد تعجز عنه المجامع العلمية في هذا الزمان، فتاريخ دمشق عمل رجل[٢]واحد، و لسان العرب[٣] إنتاج رجل و احد، و فتح الباري في شرح صحيح البخاري[٤] أثر رجل واحد، و تاج العروس في شرح القاموس و إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين تأليف رجل واحد[٥]و معجم المصنفين مأثرة رجل واحد[٦]، فألف أولا كتابه "نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر"[٧] ـ في تراجم أعيان الهند ـ من القرن الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري في ثمانية أجزاء،

(١) و يستثنى من ذلك إلى حد ما كتاب "آئين أكبري" و "أكبرنامه" لأبي الفضل الناكوري و ما ألف من الكتب بعدهما عن الملوك التيموريين كـ" بادشاه نامه" و مآثر عالمكيري" إلا أنها مخصصة بشخصيات معينة و عهود خاصة.

(٢) هو ابن عساكر (م ٥٧١هـ)

(٣) هو ابن منظور (٧١٤هـ) و كتابه لسان العرب في ٢٠ جزءا.

(٤) هو للمحدث الكبير الحافظ ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٣هـ) وهو في ١٣ جزءا.

(٥) هو العلامة السيد مرتضى بن محمد الزبيدي البلكرامي (م ١٢٠٥هـ) كتابه " تاج العروس" يقع في عشرة مجلدات كبار، و إتحاف السادة المتقين يقع في عشرين مجلدا.

(٦) هو العلامة محمود حسن خان التونكي (م١٣٦٦هـ) و كتابه يقع في ستين مجلدا، و ٢٠ ألف صفحة و تحتوي على تراجم أربعين ألفا من المصنفين.

(٧) قامت دائرة المعارف العثمانية (بحيدرآباد الدكن ـ الهند) بطبع هذه السلسلة و قد ظهر الجزء الأخير و هو الجزء الثامن في ١٩٧٠م.

www.abulhasanalinadwi.org

تشتمل على أكثر من أربعة آلاف و خمسمئة ترجمة، و قد اقتدى فيه بابن خلكان في الدقة و الاقتصاد، ووضع الرجال في منازلهم، و ألف كتابه" معارف العوارف في أنواع العلوم و المعارف"[١] و هو دليل شامل لمؤلفات علماء الهند ، مع تاريخ دخول العلوم الإسلامية في هذا القطر و تطورها، و تاريخ مناهج الدرس فيه، والمراحل التي مرت بها.

ثم أقبل على هذا الموضوع الذي هو من أشد الموضوعات العلمية في هذه البلاد غموضا و خمولا ، و مواده كما قدمنا إما منثورة مبعثرة في ثنايا السطور في الأسفار الكبيرة، و هي إشارات لا تفي بالغرض، و لا تسمن و لا تغني من جوع، و إما هي مطمورة مغمورة ، تحتاج إلى نفض أتربة، و إزالة أنقاض، ثم إن كثيرا منها يوجد في غير مظانها، فلا يهتدى إليها، و لا يتفطن بها إلا من عاش بين الكتب ـ بين مطبوع و مخطوط ـ مدة طويلة، و أرهق عينيه و أضنى نفسه في مطالعة كل ما ألف في التاريخ و الأخبار و التصوف، و ما لايتصل بالتاريخ عن قريب و بعيد، و يكون كالنحلة تدور بين الأشجار، و تجلس على الرياحين و الأزهار، فتمتص منها الرحيق، فتحوله إلى عسل مصفى، فيه شفاء للناس، و يرزق بصبرها و حرصها ، و تلطفها ، و حكمتها في قضاء وطرها و إخلاصها في عملها ، و إيثارها في نفع غيرها.

فألف هذا الكتاب الذي أتشرف بتقديمه، و الذي أسماه" جنة المشرق، و مطلع النور المشرق" و سميناه "الهند في العهد الإسلامي" فذكر فيه جغرافية البلاد و موقعها من الأرض و ما يتعلق بها، ثم ذكر حاصلات الهند (وهو باب يكاد هذا الكتاب ينفرد به في اللغة العربية) و قد ساعدته على إكماله و تحقيقه صناعته الطبية، فذكر حاصلاتها بين أشجار و فواكه و أزهار ورياحين، و حشائش، و عقاقير، و أصناف النبات، ثم ذكر معادن البلاد، و ما تهم معرفته من أحوال الهند، من ديانات و لغات و غير ذلك، و أشهر مدنها، و قراها في الدولة الإسلامية، و توصل بذلك إلى ذكر ما كانت عليه الهند في العهد الإنجليزي، ثم استعرض تاريخ الحكومات الإسلامية في الهند، المركزية منها و الإقليمية (ملوك الطوائف) في إجمال و اختصار، و لكن في تحقيق و دقة، إلى آخر ملوك الهند في دهلي، و ذكر الثورة الهندية الشهيرة، و قيام الإمارات الإسلامية، و قد

(١) وقد طبع هذا الكتاب باسم" الثقافة الإسلامية في الهند" في دمشق، طبعه المجمع العلمي العربي سنة ١٩٥٨م.

www.abulhasanalinadwi.org

ألحقنا به تذييلا و تكميلا بقلم نجله الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني، مع بعض الزيادات بقلمنا، إكمالا للفائدة، فصار به هذا الكتاب مطابقا للأحداث الأخيرة.

ويلي كل ذلك القسم الذي هو قيمة هذا الكتاب العلمية و التاريخية، و ميزته بين الكتب، و هو الفن الثالث في الخطط و الآثار، فيرى فيه القارئ صورة واضحة القسمات، ظاهرة الملامح للعهد الإسلامي الزاهر الذي كان هدفا للظلم و القسوة من كثير من مؤرخي المسلمين و المشتغلين بالعلم و الدراسات في الجامعات و المجامع العلمية ، و اشتمل هذا الفن على خطط الملوك في الأحكام السياسية، و نظام المملكة، و عاداتهم في الجباية، وفي العدل و القضاء، و مآثرهم الإنسانية، و آثارهم في الأمور النافعة، و ذكر العساكر و ترتيبها و نظامها، وقد نجح المؤلف في تقديم كمية العساكر الإسلامية، و البحرية، و ذكر صفة القتال، و ذكر المناصب و أهلها، و فيها تفاصيل دقيقة، ثم ذكر ما أحدثه الملوك المختلفون في عهدهم في السياسة و في الخروج للناس، على غير ذلك، و تحدث عن الأعياد، و المواسم، و الأيام المشهودة، و آداب التحية.

و يلي ذلك فصل من أهم فصول الكتاب و أكثرها قيمة علمية في ذكر السنين، و الشهور و الساعات، و طريق المسلمين في الهند في التاريخ، و النقود، والموازين و تقسيم الأرض بحسب المساحة و أصنافها، و أحكام العشر والخراج، و مالية الدولة الإسلامية، و لا يقدر قيمة هذا الفصل و ما جاء فيه من معلومات قيمة، و مدى نجاح المؤلف في جمعها إلا من اضطر إلى البحث في هذا الموضوع ، و طالع آلافا من الصفحات.

ثم انتقل إلى الفصل الأخير و هي المؤسسات الخيرية، و الأمور النافعة التي قام بها الملوك المسلمون، و الآثار المعمارية، و التحف الفنية التي خلفوها وراءهم و زينوا بها هذه البلاد، من شوارع عامة، و تنظيم البريد، و حياض، و أنهار، و حدائق، و بساتين، و جوامع، و مدارس، و قد استقصى فيها استقصاء كبيرا، مارستانات (مستشفيات) و ملاجئ للفقراء و العجزة (بلغورخانه) و استطرد إلى ذكر المقابر العظيمة، و المشاهد ، و ختم الكتاب بذكر نوادر ما صنع المسلمون في عهد حكمهم، و نبوغهم، و نشاطهم العقلي، و حريتهم السياسية ، وهي عصارة دراسة طويلة، و مكتبة ضخمة.

لقد نزل مستوى الدراسات و البحث العلمي نزولا كبيرا في هذا العصر، حتى قلت قيمتها، و هانت منزلتها، ففي كل شهر يطالعنا كتاب له اسم هائل، و موضوع ضخم،

www.abulhasanalinadwi.org

قد جمعت فيه معلومات، و التقطت على عجل، و من غير تمحيص، و هضم من بعض كتاب المتقدمين، و رصفت ترصيفا على طراز المؤلفين الأوربيين، و لكن تنقصها الأصالة العلمية، والرسوخ في الموضوع، و الفقه العميق له، أما هذا الكتاب الذي لم يتبجح به مؤلفه، و لم تقم له دعاية في سوق العلم، بل بقي مغمورا نصف قرن تقريبا بين ما خلفه المؤلف من مخطوطات و أوراق ـ فإن فصلا واحدا منه يتضمن ما انتشر في مكتبة، و إن صفحة واحدة منه تقوم بكتاب كبير، و هكذا أعمال السلف المخلصين التي أريد بها وجه الله، و رضا الضمير، و خدمة العلم، و تحلت بالإخلاص، و التطوع وروح الاحتساب، و تميزت بالخفاء، والتواضع والخمول، حتى قدر الله ظهورها في أوانها، و بعد أن مضى على وفاة المؤلف عقود من السنين.

وقد كانت هذه قصة هذا الكتاب فقد تعرض للتلف مرتين: مرة في سنة ١٩٢٣م ، لما أخذه أستاذنا العلامة السيد سليمان الندوي وهو تلميذ المؤلف، لينشره من دار المصنفين بأعظم كره (الهند) التي كان يرأسها و يديرها، فقدمه للمطبعة في دهلي، فكانت الحروف العربية نادرة في الهند فبقي الكتاب في ركام من الأوراق، حتى وصلت إليه الأرضة و خرمته، و قد طبع من الكتاب ٢٩٢ صفحة، و لما اطلع على ذلك ابن المؤلف الدكتور عبد العلي الحسني ، أنقذه من هذا العدو الفاتك، وأخذه من هذه المطبعة الغافلة، و صحح هذا الكتاب، و ملأ فراغه في ضوء مؤلفات المؤلف، و مصادر الكتاب ، حتى أكمل هذه النسخة و لم تتهيأ الأسباب لنشره، فهجم عليه السوس مرة ثانية و تلفت بعض صفحاته فجاهدنا فيه مرة ثانية ، و بحثنا عن النسخ الأخرى، فوجدنا نسخة للجزء المطبوع بمكتبة دارالمصنفين، فأكملنا به الناقص، و صححنا به الغلط، و جهزنا الكتاب للطباعة و النشر في شكل نهائي لا نقدر على أحسن منه، و قد شاهدنا تيسير الله تبارك و تعالى و نصرته في حفظ هذا التراث الثمين، و استخراج هذا الكنز الدفين، إن الله لا يضيع أجر المحسنين.

و كان هذا الأثر العلمي أمانة عند ورثة المؤلف و أفراد الأسرة، و أمانة الأفراد عند الأفراد، و المخطوطات عرضة للحوادث، و الإهمال والتلف، يشهد بذلك تاريخ المكتبات الفردية و الذخائر العلمية التي خلفها الآباء للأبناء، لذلك عزمت أسرة المؤلف على أن تتخلى عن مسئوليتها في أقرب زمان، فيكون هذا الكتاب ملكا للأمة التي كتب لها، و زينة لمكتبات العالم.

و قد هيأ الله لذلك الأسباب و ذلل الطريق لنشره، و ها نحن أولاء نقدم هذا الأثر

www.abulhasanalinadwi.org

العلمي الكبير، راجين من الله الثواب، متوقعين من القراء الرضا و الإعجاب، والله الهادي إلى الصواب، و إليه المرجع و المآب.

و يرى كاتب هذه السطور من الأمانة و الاعتراف بالجميل أن يشكر إخوانه و زملاءه الذين ساعدوه في مراجعة هذا الكتاب و تصحيحه و مقارنته بالأصول و المصادر القديمة و التقاط المعلومات الجديدة لإكمال الكتاب، و موافاته للعصر الحديث، و في مقدمة هؤلاء الزملاء الأستاذ أبو العرفان الندوي مدرس دارالعلوم ندوة العلماء ، و كان له القسط الأكبر في هذا الجهد العلمي، و الأستاذ محيي الدين، و العزيز نذر الحفيظ الندوي، والمؤلف يدين لجميعهم بالفضل و يشكرهم على مساعدتهم الغالية.

و أخيرا لا آخرا أشكر الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ، فإنه اطلع على هذا الأثر العلمي و طلبه من ورثة المؤلف، و قرر نشره من دائرة المعارف العثمانية، و ضم هذه المأثرة إلى مآثره الكبيرة الكثيرة في إنقاذ الكتب القيمة التي نسجت عليها العنكبوت و توسط في انتشارها ووصولها إلى أيدي القراء والباحثين، والحمد لله أولا و آخرا، و صلى الله على خير خلقه و بارك وسلم .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

المنهج الصوفي في فكر ودعوة سماحة الشيخ أحمد كفتارو

تأليف

محمد شريف الصوّاف

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على من أرسله الله هداية للخلق ، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الكرام المبجلين .

وبعد: فقد أنزل الله رسالة الهدى والحق ، والخير والعدل ، رسالة عامة شاملة كاملة ، فيها الهدى والنور تهدي إلى صراط العزيز الحكيم ، وتنير الدرب للباحثين عن الحق ، وتعهد الله بحفظها فهيأ لها العلماء العاملين ، في شتى مجالات علوم الشريعة ، واختصاصاتها ، فكان منهم الفقهاء ، والمحدثون ، والمفسرون ، والمربون الروحيون الذين وضعوا مناهج للسير إلى الله ، وسلوك صراطه المستقيم ، وكان منهم مقلدون ، ومنهم من اختار منهجاً دون منهج ، وآثر طريقة في أوضاع خاصة على طريقة ، وكان منهم من قنع بظواهر المناهج ، وأشكال الأعمال ، ولم يستطع الوصول إلى لبابها وجوهرها ، ومنهم من ابتدع ، واخترع على غير بينة وهدى ، فكان فيهم الأصلاء

www.abulhasanalinadwi.org

والدخلاء ولم يُعصم من الضلال إلا من اعتصم بحبل الله المتين وتمسك بهدي النبي الكريم ـ عليه الصلوات والتسليم ـ وقد بعث إلينا الأخ العزيز الأستاذ العزيز محمد شريف عدنان الصواف ـ حفظه المولى ونفع به ـ ببحث قيم صالح بعنوان: منهج الشيخ أحمد كفتارو في تجديد التصوف ، فرأيته يعرف بشخصية عرفتها في أوئل الستينيات حيث زرت بلاد الشام لأول مرة عام ١٩٥١ ، ونزلت عند سماحته ، فألفيته صاحب خلق نبيل وعلم جليل ، وفضل وصلاح ، وكرم وضيافة وحفاوة ، وهو من رجال الصوفية الذين ينتمون إلى السلسلة النقشبندية العلية ، والذين لهم الفضل في نشر الإسلام والدعوة إليه عبر مسيرة حياته الطويلة بالحكمة والموعظة الحسنة ، مما يشكر له ، ويسجل في صحائفه إن شاء الله .

وقد سرني هذا البحث الطيب الممتع عن منهج سماحته في تجديد التصوف وتنقيته ، فهو ليس تعريفاً محضاً بشخصيته ومنهجه ، بل فيه فصول تنفع جميع القراء الذين يريدون معرفة التصوف ، ومناهجه وحقيقته وظواهره بشكل سليم صافٍ .

أدعو الله ـ تعالى ـ أن يتقبل هذا العمل ، ويجعله وسيلة للاستبصار في التصوف الصالح الأصيل واجتناب كل ما هو خطأ ودخيل ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وكتبه

أبو الحسن علي الحسني الندوي

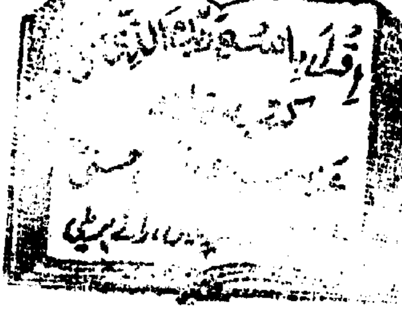

www.abulhasanalinadwi.org

القسم السادس

في

التربية الإسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

التربية والمجتمع

تاليف

محمد الرابع الحسني الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد : فإنه منذ عدة سنوات أُقيمت في دار العلوم التابعة لندوة العلماء دورة تربوية للمتخرجين ووضعت لها مقررات دراسية ، وذلك لمدة سنة واحدة وتحت إشراف المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي ، بغية تخريج الدعاة والمعلمين الذين يتربون تربية علمية ودعوية ، ليقوموا بعد تخرجهم بعمل الدعوة على بصيرة ويتمرنوا أثناء دراستهم على طرق الخطابة وأساليب الكتابة ، وعرضِ الدعوة وتفهيم الدين بأسلوب حكيم يفي بمتطلبات هذا العصر . وقد استُفيد في وضع هذه المقررات وفي منهجها الدراسي من الكتب والمصادر التي تلقي الأضواء الكاشفة على أساليب الدعوة وأوضاع المسلمين في العالم الإسلامي وغيره ، والمجتمع المسلم والعقليات المختلفة لطبقات المسلمين ومشاكلهم وقضاياهم ، والصراع العقلي والفكري الذي يعيشونه ، والفوضى الخلقية والأخطار التي تواجه مستقبل هذه الأمة الإسلامية ، ويقوم بتدريس هذه المواد العلمية والدعوية أساتذة وموجهون بخطبهم ومحاضراتهم ، ويعرفون الطلاب بمصادر الموضوعات المتعلقة بالمنهج ، وفضلاء لهم تجارب ميدانية في مجال الدعوة الإسلامية وشرح الفكرة الإسلامية ، ويطبقون بين الأصول والنظريات التي وُضعت في جو خاص وبيئة خاصة أو في عصر من العصور خاص وبين الأوضاع والظروف المعاصرة ، الأمر الذي يعرف صعوبته ودقته كل من مارس ذلك .

www.abulhasanalinadwi.org

وأرى أن هذه تجربة جديدة وخطوة جريئة في شبه القارة الهندية ، قامت بها دار العلوم لتحقيق ذلك الحلم الذي رآه بُناة هذه الدار ، في ضوء أهداف حركة ندوة العلماء ودوافعها ، وفي ضوء تطورات مؤسسي ندوة العلماء البعيدي النظر وخطتهم وعزيمتهم الصادقة .

وقد التحق عدد من خريجي الدراسات العليا ـ من قسمي الشريعة واللغة العربية في دار العلوم لندوة العلماء ـ في هذه الدورة التربوية الخاصة بالمرحلة العليا في المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي ، وأُلقيت محاضرات في التعريف بالقومية ، والاشتراكية ، والصهيونية ، والاستعمار ، والفِرَق الضالة من المسلمين ، وأخطارها وطرق مقاومتها .

وقد دلت التجربة على أن هذه الطريقة في التعليم وهذا المنهج الدراسي له فائدته وأهميته وضرورته ، وشعرنا بأنه كان يلزم البدء بإقامة هذا المعهد قبل ذلك بكثير ، وأنه يحتاج إلى توسيع ، وتنظيم وتنسيق أكثر .

ولا يخفى على من مارس الدعوة وقام بأداء هذه الفريضة الدينية ـ لا سيما في الطبقة المثقفة التي تأثرت بالفلسفات المعاصرة والحركات الإلحادية والمادية مع الاطلاع على خلفياتها العلمية والثقافية ـ أن مهمة الدعوة ليست سهلة يسيرة قصيرة المدى، كما يعتقد عامة الناس ، وأن من إعجاز القرآن وبلاغته أنه أوجز في بيان تلك الضوابط والأصول الشاملة لواجبات الداعي وأساليب الدعوة التي لا تتغير في أي عصر أو مصر ولا تحتاج لاختلاف العصر والمكان إلى أي تعديل أو حذف أو زيادة ، قال تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ :

١ـ الحكمة .

٢ـ الموعظة الحسنة .

٣ـ المجادلة بالتي هي أحسن .

هذه هي العناوين الثلاثة العريضة التي تندرج تحتها البحوث المتعلقة بعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الجدل ، التي تتجرد عن الإفراط والتفريط والمغالاة والمبالغة والتدقيقات اللفظية والتشقيقات الفنية ، وتنبني على الفهم الصحيح للدين ، ومعرفة النفسية والعقلية البشرية ، والمجتمع والبيئة ، وتوافق العقول الراجحة السليمة .

ولذلك فإنه يجب على الداعي التعرف على نفسية الحياة الفردية والجماعية

www.abulhasanalinadwi.org

وخصائصها أكثر من معرفته بفن البلاغة وكثير من محتويات الكتب القديمة في فن البلاغة والمعاني والبيان والفلسفة والمنطق وعلم الجدل ، التي صُرفت إليها الهمة ، وبُذلت فيها كثير من الطاقات العلمية والعقلية في العصور القديمة ، والتي فقدت قيمتها وفائدتها العلمية في عصرنا هذا ، بل قد يكون ضررها أكبر من نفعها ، وتصبح حجاباً كثيفاً بين الطالب وفهم حقيقة الموضع ولبابه . والحاجة إلى فهم نفسية الحياة الاجتماعية وخصائصها اليوم وعمل الدعوة والتربية في ضوئها أكبر وأشد من الحاجة إلى غيرها .

وقد ظهرت في هذا الموضوع ، في نصف قرن من الزمان ، مكتبة زاخرة ، وألَّف عدد من الأساتذة العرب الإسلاميين الفضلاء في البلدان العربية ، وفي الجامعات العربية كتباً قيمة في موضوعات طرق التعليم والتدريس ، ودراسة نفسية الفرد والجماعة ، وعلم النفس وعلم الاجتماع وأساليب الدعوة إلى الله ، كما صدرت في بلادنا أيضاً كتبٌ قيمة مهمة بأقلام الكتاب الإسلاميين الفضلاء من المتخصصين في هذه المواضيع العلمية وَحَمَلة الفكر الإسلامي الصحيح .

وكانت الحاجة ماسة إلى أن يقوم أستاذ فاضل ـ لم يختلف عن ركب العلم والفكر والتأليف والبحث السيار ـ بدراسة هذه الكتب واستعراضها ويقدم خلاصتها والأجزاء المهمة الضرورية منها التي توافق حاجة خريجي مدارسنا وجامعاتنا الإسلامية والشباب الذين يعملون في مجال الدعوة وظروفهم ومستوياتهم في أسلوب شيق واضح ، ويركز بصفة خاصة على ثلاثة جوانب تتسم بالقيمة العلمية التطبيقية ، والتي لا يستطيع أي داعية أن يعمل بدونها في الطبقة المثقفة الذكية المعاصرة ، ويقوم بدوره بطريقة حسنة ويكسب نجاحاً كبيراً :

١ـ طبيعة الحياة الاجتماعية ونفسيتها .

٢ـ طرق التدريس ودراسة النظريات التعليمية .

٣ـ دراسة طرق الدعوة وأساليب الدعاية والإعلام وتأثيراتها .

ويسرنا أن العزيز الفاضل الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء ـ الذي أسندت إليه هذه المهمة ـ قام بها خير قيام ، وعرض هذا الموضوع بإحسان وإجادة وإتقان ، فقد ألقى في هذا الموضوع ٢٨ محاضرة ـ وهي بين أيدي القراء ـ استكمل بها أطراف الموضوع إلى حد كبير ، وقد استفاد المؤلف في إعداد هذه المحاضرات والدروس من المصادر العربية والإنكليزية

www.abulhasanalinadwi.org

والأردية الحديثة استفادة تامة ، وأوجز وأطنب حسب الحاجة الداعية إليه ، فجاء كل ذلك في كتاب لا يلبي الحاجة الطارئة المؤقتة بفترة الدوام الدراسي فحسب ، بل أصبح جديراً لأن يستفاد به في تدريس هذه المادة ، وقد استعان المؤلف في إعداد هذا الكتاب بدراساته الأدبية الواسعة ورحلاته الطويلة في بلدان العالم الإسلامي وبلدان الغرب أيضاً ، ومساهمته الفعالة في الندوات ، واتصالاته القريبة بالطبقة المثقفة المعاصرة ، وتعرفه عن كثب على مسائلها ومشاكلها وأوضاعها ، فضلاً عن تذوقه للموضوع ، وجهده الجاد الصابر فيه .

ولا يجد القارئ في هذا الكتاب بحوثاً علمية رتيبة جافة بل يجد فيه الحديث الشيق الممتع عن تأثير القرآن الأدبي المعجز ، وقدوة الرسول ﷺ وأسوته المباركة ، وتأثيرات الأدلة ، وشرح طبيعة الأدب السافل ونقده ، وتأثير الصحافة ، ووسائل الإعلام المختلفة النفسية والخُلُقية ، وطُرُق الاستفادة من الوسائل السمعية والبصرية ، وإسهام المكتبات في التربية العقلية والعملية ، وتأثير المجمعات السكنية ودُور الإقامة للطلاب عليهم سلباً وإيجاباً ، ويجد فيها القارئ بعض الجوانب الجديدة التي لا يجدها في المصادر العربية أو الأردية أو غيرها في هذا الموضوع ، مثل الرحلات وحركة الإمام محمد إلياس الدعوية وأسلوبها في تنظيم الرحلات الدعوية ، وأوضاع الأسر الغربية العائشة تحت ظل المدنية الغربية ، وتأثير فصل الدين عن الأخلاق ، وأهمية المساجد ... الخ .

وهكذا لم يعد هذا الكتاب كتاب منهج دراسي جاف ، بل أصبح كتاب علم ودعوة وفن جديراً بأن يقرأه ويتمعَّنه المعنيون بشؤون الدعوة ، المهتمون بقضايا مستقبل النشئ الجديد ، والجيل المثقف المعاصر ، وكل من يشعر بأهمية إصلاح المجتمع المسلم ، والله أسأل أن ينفع به قارئه ، ويتقبله من المؤلف تقبلاً حسناً ، وقد كان الكتاب في أصله باللغة الأردية ثم نقله بعض مدرسي ندوة العلماء إلى اللغة العربية ، واطَّلع المؤلف على الصورة المعرَّبة وقام فيها ببعض التحسينات .

والحمد لله رب العالمين

درا العلوم ندوة العلماء

أبو الحسن علي الحسني الندوي

لكهنو ـ الهند

١٥/ ١٢/ ١٤٠٩هـ ـ ١٧/ ٧/ ١٩٨٩م

www.abulhasanalinadwi.org

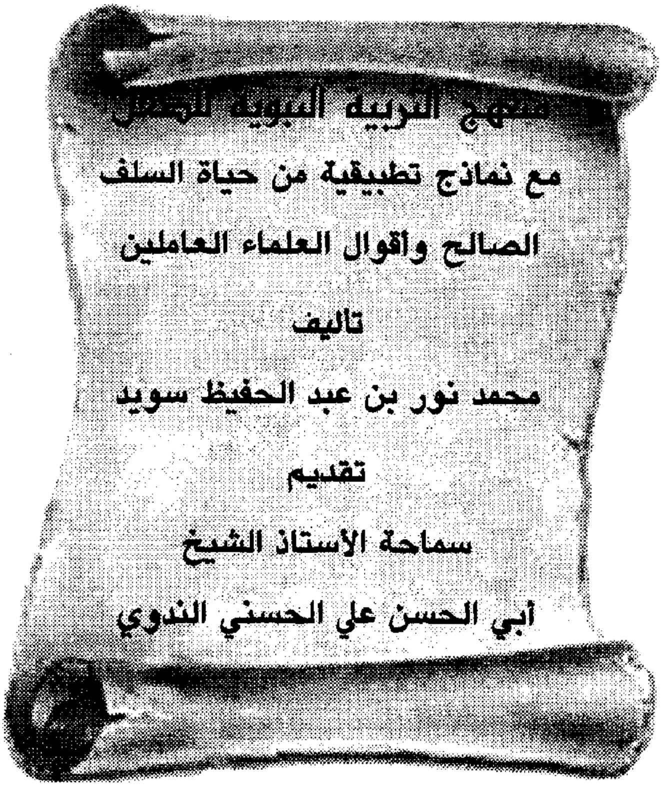

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فقد طلب مني الأخ الكريم محمد نور سويد أن أكتب كلمة عن كتابه: "منهج التربية النبوية للطفل" للطبعة الثالثة ، وقدم نسخة من كتابه القيم ،وعندما تصفحت أوراقه وجدت أن نخبة من أهل القلم والفكر الإسلامي والتربية قد أعربوا عن تقديرهم لهذا المجهود العلمي الكبير ؛ الذي ملأ فراغاً كبيراً في تربية الطفل ، ولم يكن المؤلف في حاجة إلى كلمة جديدة للتعريف بالكتاب ، فقد عرفه الكتاب المعروفون ، وكان عنوان الكتاب نفسه يعرِّف الكتاب خير تعريف ، وقد نال الكتاب القبول كما يظهر من صدور طبعتين في سنة واحدة ، الأمر الذي يدل على ما يحمل الكتاب من نفع ، واستحقاق للقراءة ، والاستفادة منه .

لقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في جمع المواد في هذا الموضوع الطريف ، الذي لم

www.abulhasanalinadwi.org

يتجه إليه انتباه الكتاب في التربية ، وعلى عكس ذلك كان عمادهم منهج التربية الغربية ؛ لأن العصر الذي نعيش فيه هو عصر الغزو الفكري ، وقد غُزِي المسلمون في كل مجال من مجالات العلم والثقافة ، وكانت التربية الميدان الفسيح الذي تغلغل فيه النفوذ الأوربي المادي ، فإن جميع تعريفات التربية تلتقي على إعداد الطفل ؛ ليكون الطفل قادراً على تحقيق رغباته الدنيوية ، وتطبق عليه التجارب التي أجريت على الحيوانات والبهائم ، ولمتابعة هذا المنهج المادي لا يخرّج مجتمعنا إنساناً يحمل الصفات الإنسانية النبيلة .

وقد أشار المؤلف على أساس دراسته للسيرة النبوية والسنة : أن مرحلة تربية الطفل تبدأ من الزواج ، وأن العلاقات بين الوالدين ، وصلاح الوالدين ، والتوافق بينهما على الخير ، لهما تأثير على تكوين نفسية الطفل وميوله ، وذكر أهمية نشأة الطفل في حضن أمه ، وأهله ، وبيئته ، وصلته بالوالدين وأقاربه ، ورعاية المثل الإسلامية في مراحل النشأة وتربيته الفكرية ، وأكد على ضرورة اتخاذ وسائل تلائم طبيعته ، والاستفادة في ذلك من المنهج النبوي الشريف ، وما ورد في الحديث النبوي الشريف ، وأقوال رجال التربية الإسلامية ، وقدم ملخص قصص وحكايات إسلامية نافعة في تربية ذهن الطفل ؛ من الكتب الإسلامية ؛ ليتكيف ذهن الطفل المسلم بالجو الإسلامي ، وينشأ فيه الذوق الإسلامي ، وتتكون الطبيعة الإسلامية ؛ التي تميز بين الخير والشر ، والنافع والضار ، وتوجد فيه مناعة ذاتية ، وتهيء السيرة النبوية مواد دسمة توجيهية في تربية السلوك على جميع المستويات .

لقد وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خلق النبي ﷺ : " كان خلقه القرآن " ، وقدم القرآن الكريم حياة الرسول ﷺ للمسلمين : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: من الآية ٢١] ولا يمكن اتباع هذه الأسوة إلا إذا عرضت السيرة النبوية ، والمنهج النبوي على جميع المستويات ، وهذا هو المجهود الأول لعرض السيرة والمنهج النبوي في تربية الطفل ، وفي الحياة المنزلية .

جزى الله الأخ الكريم محمد نور سويد على هذا الإبداع ، والتقدم في هذا الموضوع الطريف ، وأدعو الله أن ينفع به المسلمين ، ويستحق الكتاب أن يكون في كل بيت ، وأن تعدّ برامج التربية في ضوء ما عرضه المؤلف في كتابه من الفكر الإسلامي للتربية .

أبو الحسن الحسني الندوي

دار العلوم / ندوة العلماء

١٧ / ١١ / ١٤١٣ هـ

١١/ ٥ / ١٩٩٣ م

www.abulhasanalinadwi.org

القسم السابع

موضوعات من أبواب وعلوم متفرقة

www.abulhasanalinadwi.org

إظهار الحق

تأليف

الإمام العلامة الشيخ رحمة الله

بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي

المدرس بالمسجد الحرام ومؤسس

المدرسة الصولتية بمكة المكرمة

إخراج وتحقيق

عمر الدسوقي

الجزء الأول

عني بطبعه ومراجعته

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، و الصلاة و السلام على رسول الله ﷺ و على آله و أصحابه و سلم.

أما بعد.

فإنه يسعد كاتب هذه السطور أن يسطر سطورا في موضوع يتصل بعلم من أعلام هذه الأمة.

قيضه الله للذب عن حوزة الإسلام، و إظهار الحق، و إزالة الشكوك وإزالة الأوهام[١] حين كان الخوض في هذا الموضوع مجازفة بالحياة و دعوة للموت الزؤام، و أتى في ذلك بحجج و براهين لم يسبق إليها. ولقي خصومه على يده من الهزيمة و الانتكاص مالم يلقوه من قبل و انتهت إليه الرئاسة في هذ االفن، في القرن الرابع عشر الهجري (القرن التاسع عشر الميلادي) و طبقت شهرته الآفاق و سلم له معاصروه و أقرانه و علماء العالم الإسلامي، بالأمانة و الزعامة في هذا الموضوع، ألا وهو مولانا رحمة الله الكيرانوي مؤلف هذا الكتاب " إظهار الحق" و مؤسس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة و دفين المعلاة (١٢٣٣هـ ١٣٠٨هـ).

مأثرة عظيمة تكفي للبلوغ به إلى درجة العلماء الخالدين و الأبطال المجاهدين، إنه وقف في الدفاع عن الإسلام و تمحيص الحق و الباطل و دحض الشبهات و إعادة الثقة إلى نفوس المسلمين ورفع معنوياتهم، واعتزازهم بفضل دينهم على الأديان كلها وإعجاز كتابهم و خلود رسالة نبيهم ﷺ في أحوال رهيبة و ساعات عصيبة ووقف في وجه خصوم[٢] كانوا ينتمون إلى الفاتحين الذين يتمتعون بأكبر سلطة و قوة في ذلك العصر، و حكومات قوية و مملكة لا تغرب عنها الشمس، و مدنية زاهرة دافقة بالحياة و النشاط، و كان هو بالعكس ينتمي إلى شعب[٣] جريح القلب و الجسم، متحطم الأعصاب شغيف الثقة بتراثه و أمجاده يعيش في عزلة عن العالم، ينظر إليه الإنجليز كالمنافس الطبيعي

---

(١) تلميح بأسماء و مؤلفات العلامة الشيخ محمد رحمة الله الكيرانوي المكي الثلاثة الشهيرة، هي : «إظهار الحق»، و «إزالة الأوهام» و«إزالة الشكوك»، ، وله كتاب رابع في نفس الموضوع و هو «أصح الأحاديث في إبطال التثليث».

(٢) القساوسة الأوروبيون.

(٣) الشعب المسلم الهندي.

www.abulhasanalinadwi.org

الوحيد، والخطر الحقيقي على زحفهم و تقدمهم في آسيا و أفريقيا بصفة خاصة، و قد انتشر القسس ـ النصارى و الأوروبيون والمتنصرون الهنود ـ في مدن الهند و قراها بحماس زائد و نشاط كبير يدعون أنصاف المتعلمين و الأميين إلى دين الفاتحين الأقوياء الأغنياء الذين حالفهم الجد و وواكبهم النصر في كل ميدان، و كفى بذلك دليلا على صدق الدين الذي يدينون به في عيون الجهلاء الضعفاء.

وقد ضعفت معرفة علماء المسلمين ـ فضلا عن عوامهم ودهمائهم ـ بالنصرانية ومصادرها ـ بما فيها العهد القديم والجديد وشروحهما وتفاسيرهما ـ وتاريخهما وتطورها وارتقائها وما طرأ عليها من تغييرات وتحويلات ومامر بها من أحداث وطوارىء ، وما عبث بها من حكومات ومجامع ، كانوا في شغل شاغل بما كانوا يدرسونه من علوم دينية شرعية ، أو فنون عقلية يونانية [1] وبحوث كلامية وفقهية ، وتحقيقات تفسيرية وحديثية ، فكان هذا الزحف العلمي والعقائدي مفاجأة لعلماء المسلمين ، شبيهة بتبييت أوغارة في ظلام الليل ، وكان الوقوف في وجهها ومقاومتها تحتاج إلى شجاعة معنوية وحمية دينية متأججة ، وصبر طويل وهمة عالية ، تحث على دراسة المسيحية من ينابيعها الأصلية ، واستعراض واسع بما كتب عنها ، إثباتا ونفيا وتوثيقا ومعارضة ونقدا وبحثا ، وكان الذي يبدأ بهذه الرحلة الطويلة المضنية ليشعر بأنه سائر في نفق طويل مظلم ، وكانت وسائل هذه الدراسة وموادها ، مفقودة أو نادرة ندوراً كبيراً، وقد وضع أكثرها في اللغات الأجنبية ، وكان من أقربها إلى علماء هذه البلاد ـ شبه القارة الهندية ـ اللغة الإنجليزية ، وكانوا حديثي العهد بها ، وقد زهدهم فيها وكرهها إليهم أنها لغة الفاتحين المهينين لهم ، ولا يتوقع وجود هذه المصادر في هذه البلاد ، لأن ذلك ينافي مصلحة الدعوة إلى النصرانية ، ويضعف موقف الدعاة إليها ، ويثير عليهم مشاكل جديدة ، فكانوا على إقصائها من هذه البلاد أحرص منهم على جلبها أوتزويد المكتبات بها .

---

(١) يستثنى من ذلك أفذاذ من أصحاب الاختصاص في دراسة الديانات الأجنبية والاطلاع على العهد القديم والجديد ، من علماء أسرة حكيم الإسلام ولي الله الدهلوي . الذين كانوا يدرسون التوراة والإنجيل مع ما يدرسونه من الكتب والمصحف ، والشواذ من علماء الهند المتبحرين أمثال العلامة السيد آل حسن الموهاني (١٢٨٧هـ) صاحب كتابي (الاستفسار والاستبشار) والشيخ عنايت رسول الجرياكوتي (١٣٢٠هـ) صاحب كتاب (البشرى) الذي درس اللغة العبرانية .

www.abulhasanalinadwi.org

كل ذلك كان يعقد حمية الشيخ رحمة الله وزملائه الذين وهبوا حياتهم للدفاع عن الإسلام ، ودحض الشبهات حوله ، والوقوف بالقس و" المبشرين " ـ كما كانوا يسمون أنفسهم ـ في موقف الدفاع بدل موقف الهجوم ، وتلك هي الحكمة الحربية "والاستراتيجية " الجدلية التي مازالت و لاتزال سياسة القادة المحنكين، و الحذاق العسكريين، و لكن ذلك لم يفت في عضد الشيخ الذي هيأه الله ليخوض هذه المعركة الحاسمة التي لابد أن يخوضها الشعب المسلم الهندي الذي واجه الدعوة المسيحية وجها لوجه، قبل أن يواجهها شعب آخر في قطر إسلامي أو عربي، فكان يتوقف عليه مصير الشعوب الإسلامية و الشعوب العربية كلها ، التي كانت هذه الدعوة في طريقها إليها ، فإذا قدر الله أن يخرج هذا الشعب الأعزل المثخن بالجراح من هذه المعركة الجدلية الكلامية والعلمية الاستدلالية، فاتحا مظفراً، مرفوع الرأس شامخا بأنفه، تراجع هذا السيل على أعقابه أو ضعف مده و طغيانه.

قام الشيخ رحمةالله و شمر عن ساق الجد و الاجتهاد، و نذر لله أن لا يهدأ حتى يدرس مصادر النصرانية ، ومراجعها ، دراسة عميقة دقيقة و يغوص فيها وينقب.

و قد شحذ عزمه على ذلك قدم القس الطائر الصيت فندر من إنكلترا ، و قد قام بنشاط كبير و حماس زائد ، في مناظرة علماء الهند، و قد تحداهم تحديا سافرا، و قام بجولة في مديريات الهند يخطب في مجامع، و يدعو إلى النصرانية، وكانت المشكلة مشكلة اللغة، و كان الشيخ لا يعرف اللغة الإنجليزية، و لتعلم اللغات الأجنبية من طبيعته قد تخطاها الشيخ، الذي ظل زمنا طويلا مشغولا بالعلوم الدينية و العقلية، و كان فندر لا يعرف إلا اللغة الإنجليزية، و كان مشاركا في اللغة العربية و الفارسية، فأين القنطرة التي تصل بينهما ، و أين الرجل الذي يساعد الشيخ رحمة الله في الاطلاع على المصادر الأجنبية و الوثائق المسيحية التاريخية؟

هنالك قيض الله له مسلما غيورا ـ ولله جنود السماوات و الأرض ـ و هو الدكتور محمد وزير خان الأكبر آبادي الذي سافر إلى لندن ١٨٣٢م يدرس الطب الجديد، و قد نال فيها شهادة عالية و أتقن اللغة الإنجليزية، ودرس اللغة اليونانية، و عني بدراسة المسيحية من مصادرها الأصلية و اقتناء كتبها ، و استصحب هذه المكتبة الثمينة [١] إلى الهند، و كان عضد الشيخ الأيمن في هذا الجهاد العلمي الكبير الذي كان جهاد الساعة وواجب الوقت.

---

(١) ساهم الدكتور في ثورة ١٨٥٧م و هاجر على أثرها إلى مكة المكرمة حيث لحق بالشيخ رحمة الله ومات و دفن بالبقيع.

www.abulhasanalinadwi.org

و لما أكمل الشيخ رحمة الله مهمته في الدراسة، و أخذ عدته وعتاده لخوض المعركة و قد استفحل أمر "فندر" رأى أن الجو قد خلا له، فازداد جرأة و تحديا، رأى الشيخ رحمة الله أنه لا سبيل إلى الحد من نشاط هؤلاء القسس ـ وفي مقدمتهم وعلى رأسهم القس "فندر" و إعادة الثقة إلى نفوس المسلمين و مقاومة "مركب النقص" فيهم إلا مناظرة "فندر" في جمع حافل يحضره المسلمون و المواطنون، و الحكام الأوربيون، والنصارى والمتنصرون، و كان "فندر" كثير الإدلال بكتابه "ميزان الحق" فخورا متبجحا به، و يرى أنه ليس من السهل معارضته و نقضه من علماء المسلمين.

حرص الشيخ رحمة الله على مناظرة القس "فندر" كل الحرص فراسله في هذا الموضوع و ألح عليه بالظهور أمام الجمهور و علماء المسلمين، و استعان في ذلك بكل من يرى فيه غناء أو تأثيرا، و لما رأى القس أنه لا مناص له من هذه المناظرة، قبلها راضيا أو مكرها وهو لا يقدر نتائجها تقديرا صحيحا، و تقرر عقد مجلس المناظرة في ١١من رجب سنة ١٢٧٠هـ (١٠ من أبريل ١٨٥٤م)[١] في أكبر آباد ـ آكره إحدى مديريات الولاية الشمالية الرئيسية و أحد مجالات النشاط التبشيري في الهند، و في حي من أحيائها المعروفة بحارة "عبد المسيح" [٢].

بدأ الحفل في اليوم المعين، والساعة المحددة وقد حضرها ولاة المديرية من حكام وقضاة وبعض كبار موظفي الثكنة الإنجليزية من الإنجليز، وحضر القس الشهير (Funder) والقس (وليم كلين) (william clean) وعدد كبير من أعيان البلد ووجهائه، ومن أبناء البلد المسلمين والمسيحيين والهنادك والسيخ، وكان الدكتور محمد وزير خان بجوار الشيخ رحمة الله يساعده ويتعاون معه، وكانت خمس قضايا موضوع البحث والمناظرة وهي : ـ

١- التحريف في الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد).

٢- وقوع النسخ .

٣- التثليث .

٤- نبوة محمد ﷺ .

٥- صدق القرآن وصحته .

---

(١) قبل الثورة بثلاث سنوات.

(٢) منسوبة إلى أحد المتنصرين من أبناء البلد، يظهر من ذلك نفوذ حركة التنصير في داخل البلد .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد تقرر أنه إذا انتصر الشيخ رحمة الله في هذه المناظرة يدخل فندر في الإسلام وإن كان بالعكس يتنصر الشيخ .. أسفرت هذه المناظرة التي لفتت أنظار المعنيين بالقضية في داخل البلد وخارجه ، وكانت حديث النوادي ، والشغل الشاغل والمقيم المقعد في البلد عن اعتراف القس " فندر " بوقوع التحريف في ثمانية موضع من الإنجيل ، وقد أفزع ذلك الولاة وأنصار (فندر) وشيعته . ولكنه سهم أطلق من القوس فلا راد له ، وتزايد عدد الحاضرين في الغد وازداد عدد الحكام الإنجليز ، والمسيحيين والهنادك والسيخ ، وحضرها جم غفير من المسلمين وأصر (فندر) على أن الأخطاء التي وقعت في الإنجيل كانت من سهو الكاتب ، أما العبارات التي تتضمن عقيدة التثليث وألوهية المسيح والفداء والشفاعة فهي مصونة من التحريف وقد رد عليه الشيخ بقوله (أنك ما دمت قد اعترفت بوقوع التحريف في الإنجيل ، فقد أصبح هذا الكتاب مشكوكا فيه برمته) وانتهى البحث على ذلك ، ولم يرجع القس إلى البحث والمناظرة في اليوم الثالث[١] وكان من الواضح أنه انسحب عن ميدان المناظرة ، وكان انتصارا رائعا للجانب الإسلامي ، قويت به معنوية المسلمين وتشجعوا على مواجهة القس ورد دعاويه، وفقدت الدعوة التبشيرية الكثير من اعتبارها وقيمتها .

وبعد عامين قامت ثورة ١٨٥٧م التي كانت المحاولة الأخيرة اليائسة للتخلص من "الأخطبوط " الإنجليزي وطرح نيره ، وعلى أثر إخفاقها تعرض المسلمون لرد فعل عنيف من جهة الإنجليز الفاتحين الموتورين الذين كانوا يعتبرون المسلمين أصحاب الفكرة والقيادة في هذا النضال ، والمواطنين تابعين لهم ، فكان حنقهم شديدا على علماء المسلمين وأهل الخطر منهم ، ومن له شأن في المجتمع الهندي ، يعلقونهم على المشانق ويقتلونهم بتعذيب ، وإهانة ، ويبحثون عن كل من كانت له كلمة مسموعة أو نفوذ في المجتمع ، وكان من ضمنهم وفي مقدمتهم الشيخ رحمة الله الكيرانوي الذي انتصر عليهم في المعركة الدينية ، وأسهم في الكفاح ضدهم ، وقد اختفى مدة في قرية صغيرة، ولما دخلت الجيوش الإنجليزية في هذه القرية أخذ المنجل ودخل في مزرعة وتشاغل بحصاد الحقل كفلاح صغير مغمور ، واستطاع بذلك أن ينجو بنفسه ويصل إلى "سورت" ميناء الهند و يهاجر منها إلى البلاد المقدسة، و كان ذلك في سنة ١٨٦٢م يعني بعد الثورة بخمس سنوات، و صودرت أملاكه التي كانت كبيرة وواسعة ، و بيعت

(١) راجع للتفصيل " البحث الشريف في مسألتي النسخ والتحريف " في خطابة هذه المناظرة وخبرها للشيخ رفاعي الخولي على هامش " إظهار الحق " طبع المطبعة العلمية باستنبول عام ١٣١٥هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

بالمزاد العلني ، و كان ذلك في أيام خلافة السلطان عبد العزيز العثماني، و إمارة الشريف عبد الله بن عون، و لما عرفت منزلته العلمية في مكة، و بلاؤه في الدفاع عن الإسلام سمح له بالتدريس في الحرم المكي، و توثقت بينه و بين عالم مكة الجليل الشيخ أحمد بن زيني دحلان الصداقة، و هو الذي كان له الفضل في التعريف به عند الشريف و علماء مكة و أعيانها.

و صادف أن القس "فندر" بعد ما قضى فترة في الأقطار الأوروبية كألمانيا و سويسرا و إنجلترا أرسلته الإرسالية الكنسية في لندن إلى القسطنطينية ليقوم بالدعوة و التبشير في مقر الخلافة الإسلامية و قلب العالم الإسلامي، و قد قابل السلطان عبد العزيز و حكى له قصة المناظرة في الهند و ذكر أنه كان للمسيحية فيها انتصار على الإسلام، و أهم ذلك السلطان عبد العزيز خليفة المسلمين، و كتب إلى شريف مكة بأمره بالاتصال بأهل الخبرة من حجاج الهند و الحصول على المعلومات الصحيحة عن هذه المناظرة و ثورة ١٨٥٧م و إحاطة الباب العالي بحقيقة الأمر، و كان الشريف قد اطلع على حقيقة الأمر عن طريق شيخ العلماء السيد أحمد دحلان، فكتب بذلك إلى الآستانة، و ذكر أن العالم المسلم الذي كان بطل هذه القضية موجود في مكة فأنفذ السلطان بطلبه إلى الآستانة، و توجه الشيخ إليها في سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٤م) ، ولما علم القس "فندر" بتوجهه إلى القسطنطينية غادر العاصمة لساعته، و عقد السلطان مجلسا للعلماء و الوزراء حكى فيه الشيخ قصة المناظرة، و كيف انتصر فيها الإسلام على المسيحية ، و قص ثورة ١٨٥٧م و حينئذ فرض السلطان قيودا على نشاط المبشرين و الإرساليين في الدولة العثمانية و سن في ذلك قوانين صارمة ، و كثيرا ما كان السلطان يجتمع بالشيخ بعد صلاة العشاء و يصغي إلى حديثه، و يحضر هذا المجلس خير الدين باشا التونسي الصدر الأعظم و كذلك شيخ الإسلام و غير ه من كبار العلماء.

و اقترح السلطان عبد العزيز و الصدر الأعظم خير الدين باشا على الشيخ بعد ما سمعا قصة المناظرة ، وعرفا طول باعه وواسع اطلاعه في هذا الموضوع وقوة عارضته واقتداره على نقد المسيحية ومصادرها ، أن يؤلف كتابا بالعربية يتناول فيه القضايا الخمس التي دار عليها البحث في مناظرة آكره بالتحقيق والتفصيل ، وقبل الشيخ هذا الاقتراح ، وبدأ في تأليف كتاب " إظهار الحق " وهو مقيم في الآستانة في شهر رجب ١٢٨٠هـ وأكمله في ذي الحجة في نفس السنة يعني في ظرف ستة أشهر ، وقدمه إلى السلطان ولكنه ذكر في المقدمة أن هذا التأليف كان تحقيقا لرغبة شيخ العلماء السيد

www.abulhasanalinadwi.org

أحمد بن زيني دحلان ، فكلمه في ذلك خير الدين باشا ، وقال إنه كان امتثالا لأمر أمير المؤمنين ، فكان اللائق أن ينوه بذلك إكراما لمركز الخلافة وإنصافا للواقع فاعتذر الشيخ وقال : إن هذا العمل كان واجبا أن يكون خالصا لوجه الله لا يشوبه غرض دنيوي أو تزلف إلى أمير أو سلطان ، وقد سبق أن شيخ العلماء رغب إلي في ذلك وترجًا في أن أقيد خبر هذه المناظرة ، وكنت قد بدأت بجمع بعض المواد في مكة ، وله فضل في تقديمي إلى شريف مكة ، وهو الذي كان السبب في وصولي إلى سدة الخلافة ، لذلك آثرته بالذكر والاعتراف بالفضل .

وهكذا ظهر هذا الكتاب إلى حيز الوجود ويمتاز بعدة ميزات : ـ

١- الأولى أن المؤلف آثر خطة الهجوم على خطة الدفاع التي لا تزال أقوى وأكثر تأثيراً في النفس، فإنها تلجيء الخصم إلى أن يتخذ موقف الدفاع وأن يقف في قفص الاتهام ، ويدافع عن نفسه وينفي التهمة ، وكان مما تورط فيه علماء المسلمين قديما أنهم وضعوا التوراة والإنجيل والقرآن على مستوى واحد ، وبذلك نالت هذه الصحف القديمة ما لم تكن تستحقه من الثقة والتقدير ، مع أن أصحابها أنفسهم لا يدعون أنها كلها كلام الله والوحي المنزل من السماء ، بنصه وقصه ، كما هو الشأن مع القرآن الكريم والمؤمنين به [١] .

وقد كان شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، موفقا كل التوفيق في إيثار خطة الهجوم في كتابه " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح [٢] " مع أن قيمة الصحف الأربعة للإنجيل لا تعدو عند المحققين قيمة كتب السيرة والحديث من الطبقة الثانية والثالثة ، ليس لها سند متصل صحيح ، وقد ألفت بعد رفع المسيح في فترات مختلفة، وفيها أشياء من كلام المسيح وأشياء من أفعاله ومعجزاته [٣] وقد تفطن الشيخ رحمة الله بدقة دراسته وأصالتها ، وأصاب المحز ، فغير ذلك وجه البحث والجو الذي تقوم فيه المناظرة وأفقد الخصوم الموقف المشرف الذي تمتعوا به واستغلوه زمنا طويلا .

٢- الميزة الثانية أن المؤلف تجنب البحوث الدقيقة التي يتسع فيها مجال الجدال، و

(١) راجع كتابنا " النبوة والأنبياء في ضوء القرآن " فصل " الصحف السماوية السابقة والقرآن في ميزان العلم والتاريخ " .

(٢) الكتاب في أربعة أجزاء وتقع في ١٢٩٥صفحة ، طبع في مصر عام ١٣٢٢هـ .

(٣) راجع للتفصيل الجزء الثاني من " الجواب الصحيح " ص ١٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

يكثر فيها القيل والقال، بل اعتمد في الكتاب على التناقضات الواضحة، و البديهيات الجليلة، التي لا تقبل التأويل، و استخرج منها نتائج رياضية لايختلف فيها اثنان، فقد أثبت أن التوراة و الإنجيل مليئة بالاختلافات و التناقضات، و قد وقعت فيها أخطاء فاحشة عد منها مائة و ثمانية ١٠٨ أخطاء، وبرهن بذلك على أنها كلها ليست إلهاما من الله، و أن التحريف قد وقع في " الكتاب المقدس" لا محالة من زيادة ألفاظ، و حذف كلمات، و عبارات إلحاقية، وبذلك أصبح هذا الكتاب شديد الوطأة على من يؤمن بكونه صحفا سماوية منزلة وصلت إلى البشر عن طريق الوحي و الإلهام.

٣- تعرض المؤلف فيه لمغالطات النصارى و تمويههم، و رد عليها في أسلوب سائغ مقنع، و تعرض لإثبات النسخ ووقوعه في الديانتين السابقتين و صحفهما.

٤- وضع المؤلف العلامة حقيقة عقيدة التثليث في النصرانية على محل العقل و نقدها نقدا علميا يستسيغه كل من رزق العقل السليم و الذوق الصحيح.

٥- لم يكتف المؤلف بنقد المسيحية و عقائدها و صحفها، بل أضاف إلى ذلك الحديث عن القرآن الكريم و إثبات أنه كلام الله، لا شك في ذلك، و أجاب في هذا الصدد على كل ما عارضه به النصارى، و اعترضوا على القرآن ، و ذكر في ذلك نبذة من سيرة الرسول ﷺ و معجزاته و البشارات التي وردت في شأنه و قد ذكر ثماني عشرة ١٨ بشارة، وحقق صحة الأحاديث. لذلك كان الإقبال على هذا الكتاب كبيرا و العناية به عظيمة، و قد ظهرت الطبعة الأولى في عام ١٢٨١هـ في إستنبول، و نقله عالم تركي إلى اللغة التركية و سماه " إبرازالحق" و قامت الحكومة العثمانية بترجمة الكتاب في عدة لغات أوروبية، و نقله أحد الكتاب بالإنجليزية ـ في الهند إلى اللغة الإنجليزية و لا زالت هذه الترجمة موجودة في مكتبات الهند و الباكستان[١] .

و ترجمه الشيخ غلام محمد الرانديري إلى الكجراتية إحدى لغات الهند الإقليمية، و ترجم أخيرا إلى اللغة الأردية " بائبل سى قرآن تك" (من العهدين القديم و الجديد إلى القرآن) و هذه الترجمة في ثلاث مجلدات ، قام بها الشيخ أكبر علي السهارنفوري أستاذ الحديث في دارالعلوم ـ كراتشي ـ و قدم له فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني بمقال مسهب في تاريخ المسيحية و شرح عقائدها و مبادئها، و نقدها نقدا علميا و تستحق هذه المقدمة

(١) مع الأسف لم ينزل هذا الكتاب إلى السوق و إلى المكتبات في الهند أو إنجلترا لأسباب سياسية أخرى.

www.abulhasanalinadwi.org

العلمية القيمة أن تنشر مفردة و تنقل إلى العربية و الإنجليزية[١] و اشترى القسس كميات كبيرة من طبعات الكتاب و أتلفوها إحراقاً و إبادة ليتغيب الكتاب من السوق و قد أعيد طبعه في مصر مراراً، و أخيرا قامت وزارة الأوقاف و الأمور الدينية في المغرب و أصدرت له طبعة ممتازة في ١٣٨٤هـ و أثنى على الكتاب و علو مكانته كبار العلماء في الشرق العربي منهم الشيخ عبد الرحمن بك باجي زاده في كتابه " الفارق بين المخلوق و الخالق" و منهم الشيخ عبد الرحمن الجزيري عضو هيئة كبار العلماء في مصر في كتابه "أدلة اليقين" ، والعلامة السيد رشيد رضا منشئ مجلة " المنار" في تقديمه لإنجيل برناباس ترجمة الدكتور خليل سعادة المسيحي و الأستاذ عمر الدسوقي في مقدمة الكتاب " إظهار الحق".

أما الأوساط النصرانية الأوروبية فناهيك بما كتبته كبرى صحف إنجلترا تعليقاً على هذا الكتاب.

" لو دام الناس يقرأون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم".

و نحن نكتفي في هذه العجالة التي كتبت كتقديم لهذا الكتاب العظيم باقتراح صديقنا الجليل الأستاذ محسن أحمد باروم صاحب دار الشروق" و الكاتب على أهبة السفر و تشتت بال و تزاحم أشغال".. و الله و لي التوفيق.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

١٨/ ١١/ ١٣٩٨هـ

٢١/ ١٠/ ١٩٧٨م

---

(١) اقترح ذلك كاتب هذه السطور على صديقه الفاضل كاتب هذه المقدمة و ناشر هذه المقدمة، وناشر هذه الترجمة من باكستان و هو لا يزال متمسكا بهذه الفكرة.

www.abulhasanalinadwi.org

باقة الأزهار
مجموعة قصائد ومقالات عربية
لمحمد ناظم الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد! فإن الكتابة عن صديق صميم، وزميل قديم قضى معه الكاتب شطراً! من العمر من أهنأ أوقات الحياة، وأطيبها، وأصفاها، أو إبداء انطباعات عن أدبه وشعره، محنة كبيرة للكاتب، فإنه تتمثل له الصور، وتنثال عليه الذكريات، وتتجدد له الأحزان والأفراح يحار بينها الكاتب ويقف مشدوهاً، مغلوباً على أمره، كيف يتغلب عليها وكيف يشق الطريق بينها، وكيف يمسك عنان القلم فلا يرخيه، ولا يرسل النفس على سجيتها، وينشد بيت الشاعر الحماسي:

وأذكر أيام الحمى ثم انثني   على كمدي من خشية أن تصدعا

كنا ثلاثة أصدقاء، زملاء في الثلاثينات الأولى من هذا القرن الميلادي في ندوة العلماء بلكهنو، معروفين بهيامهم باللغة العربية وآدابها ـ يشار إليهم بالبنان ـ وقد ينظر إليهم شزراً لمغالاتهم في حبها، وتفانيهم في الانتصار لها، والدعوة إليها، والتشاغل بها، دراسة وكتابة، ونطقاً وتدريساً، وهم الأستاذ الكبير الشيخ مسعود عالم الندوي رائد

www.abulhasanalinadwi.org

الصحافة العربية وزعيمها في شبه القارة الهندية، والكاتب الأديب المؤرخ الصحافي الإسلامي، وكان أكبر الثلاثة سناً، وأوسعهم اطلاعاً، وأبرزهم حماساً، وقد بلغت حمايته للقضايا الإسلامية، والآداب العربية إلى درجة الحمية، وأوسطهم صاحب هذه المجموعة الشعرية الأستاذ محمد ناظم الندوي، وكان يمتاز برسوخه في قواعد اللغة العربية وإتقانه للصرف والنحو، وعلوم البلاغة، وتضلعه من اللغة العربية، ومفرداتها وتعبيراتها، وحفظه للشعر الجاهلي والإسلامي؛ وكان ثالث ثلاثة في الجماعة، وأزجاهم بضاعة كاتب هذه السطور، وكلهم من الطليعة الأدبية، أو الكتيبة العربية التي أكملت دراستها الأدبية، وهذبت ورقت ذوقها العربي في «مدرسة» العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي «المراكشي» الذي رأس قسم الغلة العربية وآدابها في دار العلوم لندوة العلماء بين سنة ١٩٣١ ـ ١٩٣٤م فكان الأستاذ مسعود عالم الندوي ـ الذي يعرفه قراء العربية بـ «مسعود الندوي» ـ قد تخرج بدار العلوم قبل أن يفد الأستاذ الهلالي إليها، إلا أنه انتهز فرصة وجوده في هذه الدار، فاغترف من بحر علمه، ونهل وأعل من معينه الصافي، أما الأستاذ محمد ناظم وكاتب هذه السطور، فقد كانا زميلين مترافقين في الدراسة، ثم في التدريس، فالكتابة في مجلة «الضياء» فالمساهمة في النوادي الأدبية الطلابية، ففي السكنى، والخروج في الرحلات والجولات الدعوية، والاستطلاعية وكان كما قال الشاعر:

وكنا كغصني بانة قد تأنقا على دوحة حتى استطالا وأينعا

حتى تشتت هذا الشمل، وانفرط هذا العقد، في سنة ١٩٤٧م وانتقل الأستاذ محمد ناظم إلى باكستان.

ظل صاحب هذه المجموعة مشتغلاً بمهنة التدريس، والإشراف على شؤون التعليم، متصلاً بالأدب العربي، وكان مديراً للجامعة العباسية بهاولبور الباكستان، تخللت ذلك فترة قضاها أستاذاً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إلى أن أحيل إلى المعاش واستقر في كراتشي، بارك لله في حياته ومتعه بالصحة والعافية، والتوفيق لما يحب ويرضى.

وقد كان الأستاذ محمد ناظم الندوي يقول الشعر أحياناً، ولم يكن في زمن من الأزمان من المكثرين إنما كان شاعر الندوة الأستاذ اللغوي الضليع المرحوم الشيخ عبد الرحمن الكاشغري الندوي صاحب الديوان «الزهرات» التي قدم له الأستاذ مسعود عالم الندوي بمقدمة بليغة، وكان له لكل مناسبة، وعند قدوم كل ضيف محتفىً به قصيدة رنانة

www.abulhasanalinadwi.org

وقد اطلعت على سبيل المصادفة على قطع شعرية للأستاذ محمد ناظم أخذت منها قصيدة قالها في القلم، وكان من خبرها أن أستاذنا العلامة السيد سليمان الندوي ـ رحمه الله ـ أهدى إليه قلماً، ففاض قلبه بالشكر والامتنان، على هدية قلم يهديها أكبر كاتب إسلامي في شبه القابرة الهندية، ومن أكبر الكتاب والمؤلفين في عصره، فكانت خير هدية من خير مهد، وجاشت قريحته بشعر بليغ يصدر من أديب يعرف قيمة القلم، ويحسن استخدامه في النثر والنظم، واقتبست هذه القصيدة لكتابي، «القراء الراشدة» الذي كنت في تأليفه، ولعل كثيراً من أصدقائه لم يعرفوا أنه شاعر إلا بهذه القصيدة، وهي عندي من أحسن ما قيل في القلم خصوصاً الأبيات الأخيرة منها.

تفري الأمور بحده ... ولمجده يعنو الزمن
يرقى للديغ بنفشه ... فيهب يمشي من وسن
يسقى الجديب بنبعه ... فإذا به روض أغنّ
سيف صقيل في الوغى ... موت ذريع بالرسن

ووقعت على مجموعة شعره قريباً، فتجولت في أصناف من الشعر لم أكن قد اطلعت عليها قبل هذا، ولاحظت أن ملكته الشعرية قد نضجت وترقت مع الزمن، قرأت له قصيدة في وصف «تاج محل» تلك الدرة اليتيمة في الفن المعماري، وقد ظهرت فيها قدرته على الوصف، وقرأت له قصيدة في مدح المجاهدين الفلسطينيين فأعجمت بقدرته على وصف الحرب واختيار الكلمات المناسبة لها، وقد تجلت فيها جزالة القديم، وتضلع من الأدب العربي، وتأثر بالشعر الغزلي والوصفي في العهد العباسي.

وقرأت قصيدة في وصف الحج وأيام منى، فأعجبت بقدرته على التعبير عن المشاعر والأحاسيس الدينية والوجدانية ومطاوعة اللفظ العربي لها، بقول في هذه القصيدة:

إذا ما ظلام الليل يأتي بطيفها ... يدغدغ قلبي ناعم اللمسات
هي الحزن والسلوان والداء والشفاء ... وتوحى إلى الشعر كالزهرات
هي الروح والريحان والهم والأسى ... ومنها يفيض الشعر كالقبسات

وقد ظهرت قدرته عل القوافي في قصيدته التائية، في وصف روضة يقول في آخرها:

لعل نجوم الفلك لم ترض أن ترى ... مثيلاً لها بالأرض في لمعات
فأوحت إلى أخت لها في سماءها ... لترسل عليها الضوء باللفحات
فكان كما شاءت وزال بهاءها ... وجفَّ بها ما كان من قطرات

www.abulhasanalinadwi.org

وظهرت الواقعية في وصف رجل القرن العشرين ما له وما عليه في قصيدة طويلة فيها خمسة وثلاثون بيتاً، والاستعراض التاريخي في قصيدة عن أخلاق اليهود، وفيها أربعون بيتاً، وفي وصف الحضارة الغربية وإنكار الوجودية.

وظهر حميته الدينية في رثاء الملك فيصل بن عبد العزيز الشهيد رحمه الله، رائد التضامن الإسلامي والملك العقال البعيد النظر، المحتضن للقضايا الإسلامية في العالم الإسلامي، وفي التغني بالجهاد الفلسطيني، وبطولة المجاهدين المغامرين، وقد نبع كل هذا الشعر عن عاطفة إسلامية قوية وحمية دينية.

أما بعد فإني لم أقل كل شيء عن صديقي الحبيب، وزميلي الأديب الأستاذ محمد ناظم الندوي، فالوقت ضيق، والفكر مشغول، والقلب جريح والأحداث التي وقعت قريباً في الشرق العربي، وفي شبه القارة الهندية، ومعذرة إلى الأستاذ محمد ناظم الندوي، وإلى شعره وأدبه، وإلى القلب الذي أحبه وأعترف بفضله.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دار العلوم ندوة العلماء

٢٠ من جمادى الأولى ١٣٩٩هـ

١٨/ ٤/ ١٩٧٩م

لكهنو ـ الهند

www.abulhasanalinadwi.org

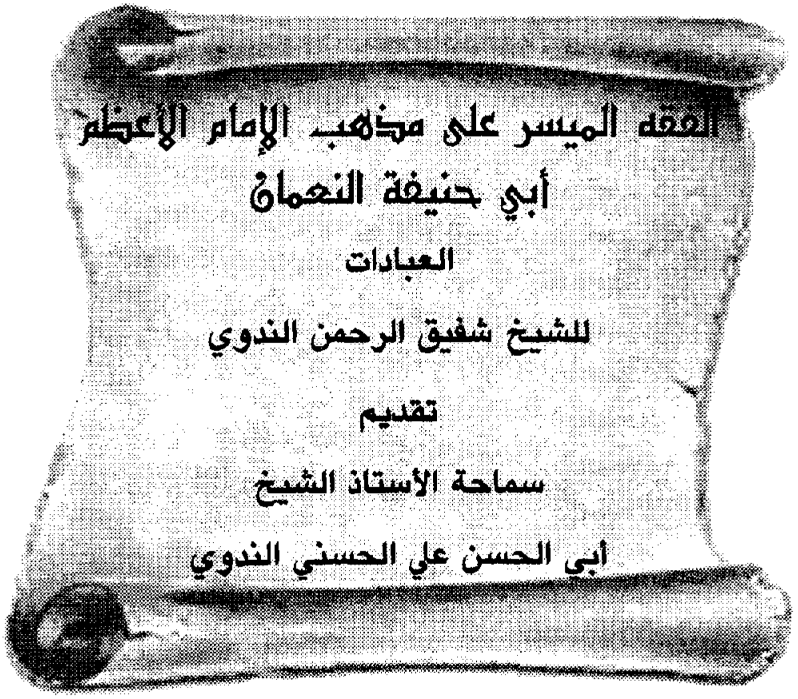

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين، محمد و آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن مناهج التعليمية و المقررات الدراسية في كل عصر و مصر خاضعة لعوامل كثيرة، و قد تكون تجريبية و قائمة على التصور التعليمي الخاص و أهدافه المعينة، و قد تكون خاضعة لظروف دينية و إدارية و اقتصادية ، و قد تشكل لتوافق أعمار الطلبة و سنهم و نفسيتهم و مداركهم و حاجاتهم، و أفضل المناهج و أجدرها بالبقاء و الاستمرار مدة أطول ما تكون جامعة لهذه النواحي كلها ، وافية بهذه الأغراض جميعها.

و قد تجلت هذه الحقيقة في منهج شبه القارة الهندية القديم، الذي ظل يسمى بـ" الدرس النظامي" بعد منتصف القرن الثاني عشر، عزوا إلى الإمام نظام الدين بن قطب الدين السهالوي اللكنوي المتوفى سنة (١١٦١هـ) و هو الطور النهائي المختمر للمنهج التعليمي القديم الذي بقي مطبقا في هذا القطر بعد الفتح الإسلامي، يزاد فيه

www.abulhasanalinadwi.org

وينقص، ويطور و يكيف، مع حاجات البلاد و الحكومات و المجتمع الإسلامي الهندي، و بتأثير اتجاهات الأقطار الإسلامية المجاورة خصوصا إيران التي كانت قدوة و إماما لهذا القطر، و "رديفاً" علميا و فكريا للهند، يغذيها و يمونها بالمواد الدراسية و الكتب المؤلفة (خصوصا في علوم الحكمة) و أساتذة فاقوا في الذكاء و البحث العلمي، و يؤمون الهند بدوافع اقتصادية و علمية، فيؤثرون في المنهج التعليمي، و معيار الفضيلة و محك الفطنة و الذكاء تأثيرا عميقا.

و لم يقف هذا المد و الجزر، و عملية النقص و الزيادة إلا بعد أن تشكل الدرس النظامي، ووقف عند حد خاص، و ذلك في زمن كان أحوج إلى التطوير و التكييف من زمن سابق، لتغير نظام الحكم و القانون و اللغة الرسمية و احتلال الحضارة الغربية و الثقافية الغربية لهذه البلاد.

و كان هذا المنهج يبتدئ من دراسة اللغة الفارسية و شعرها و أدبها دراسة مطولة، تستغرق عدة سنين، ثم ينتقل الطالب ـ و قد دخل سن المراهقة ـ إلى قواعد اللغة العربية و مبادئها من صرف و نحو، و بلاغة، و كتب أولية في المنطق، و يبلغ عدد الكتب المقررة في الصرف وحده إلى سبعة كتب، و في النحو خمسة كتب، و بعد ذلك يدخل في مرحلة دراسة الكتب الفقهية، فيكون قد بلغ سن البلوغ، أو تجاوزها بقليل، و من بدأ بالدراسة متأخرا بسبب من الأسباب ، يكون قد بلغ سن الشباب، فكان لا يجد صعوبة في فهم التفاصيل الفقهية، و المسائل الدقيقة ، و الفروض النادرة، التي كانت تحتوي عليها كتب الفقه المقررة في هذا المنهج، كـ " القدوري" و "شرح الوقاية" ، و لا يفاجأ بقضايا تقصر عن فهمها مداركه، أو تثير فيه الغريزة و الشعور قبل أوانه، و يشق على المعلم و قد يمنعه الحياء ، و مراعاة سن الطالب، و عقله، عن شرحها و إيضاحها ، و لاتوجد في هذا المنهج غالبا و في أكثر الأحوال بين سن الطالب و مداركه فجوة واسعة تحتاج إلى قنطرة، أو إلى عدول عنها. ثم إن المراحل الأولى من التعليم من دراسة الأدب الفارسي، و كتب الصرف و النحو الدقيقة، و كتب المنطق المعتصرة للذهن، كانت تنشئ استعدادا لفهم هذه المسائل الفقهية الدقيقة، و إساغتها و هضمها.

أما حين حذفت مواد دراسية كانت تشغل حيزا كبيرا من السن و الدراسة ، كدراسة اللغة الفارسية و آدابها ، و قلل من عدد الكتب المقررة في الصرف و النحو، و المنطق، و أكثر من كل ذلك حين سيطرت على عقول الناس ـ بتأثير الضغط الاقتصادي، و نظام التعليم الغربي، و تحقيق مطالب الحياة و المسابقة في ميدان الاقتصاد و الوظائف ـ فكرة

www.abulhasanalinadwi.org

توفير الوقت، و المجهود على الطالب، و انتهاز الفرصة للدخول في معترك الحياة، اضطر الطالب الديني إلى أن يدرس كتب الدين و الفقه في سن مبكرة، و على الأكثر في سن المراهقة، و هي أخطر مرحلة و أدقها من مراحل العمر في علم النفس و الأخلاق و الطب، فيواجه مسائل و تفريعات و تشقيقات من أول أبواب الطهارة إلى أبواب النكاح، يصعب عليه فهمها، و إذا فهمها فإنه يحرك فيه الشعور و الغريزة قبل أوانه، و قد يحدث ذلك فيه اضطرابا نفسيا أو فكريا يورطه فيما لا تحمد عاقبته، و لا تؤمن غائلته.

قد كان ينتابني هذ ا الشعور و أنا مشغول بتعليم الأطفال و الشباب المراهقين في دارالعلوم التابعة لندوة العلماء حينا بعد حين، و تراودني فكرة و ضع كتاب في الفقه يلائم سن الطلبة و مداركهم، و البيئة التي يعيشون فيها، و الزمن الذي ولدوا فيه ، و أن أدخل فيه تعديلات إن لم أستطع أن أسبكه سبكا جديدا، و عزمت على هذا على كثرة أشغالي و أسفاري و تنوع مسئوولياتي، فتناولت كتاب " نور الإيضاح" للعلامة حسن بن عمار الشرنبلالي الحنفي المصري، و هو كتاب ميسر في الفقه الحنفي، نال قبولا و انتشارا في الزمن الأخير في مدارسنا الدينية ، التي تسمى "المدارس العربية" و بدأت عملي التأليفي محددا نفسي و جهدي في إطار هذا الكتاب، و استعنت بأستاذ من أساتذة دارالعلوم، وهو الأخ نذر الحفيظ الندوي، و لكن أشغالي التأليفية الأخرى و تنقلاتي عاقتني عن إتمام هذا العمل مع شدة الحاجة إليه و الشعور بأهميته، و لكنني لم تفارقني هذه الفكرة زمنا من الأزمان، فلما رأيت أن لا محيص منه عزمت على أن أسنده إلى أستاذ من أساتذة الندوة، يجمع بين الدراسة الفقهية، و الاطلاع على علم الحديث، و القدرة على الكتابة و التأليف للصغار، في لغة سهلة و أسلوب مبسط.

ووقع اختياري على الأخ العزيز الشيخ شفيق الرحمن الندوي. و كان التوفيق حليفه في إتمام هذا العمل حسب ما كنت أرومه و خططت له، فقام بهذا العمل خير قيام و في مدة قصيرة ووضع الكتاب الذي سميته بـ " الفقه الميسر" و كان أكثر اعتماده على كتاب "نور الإيضاح" لمزاياه الكثيرة، و قد التزم البدء بآية قرآنية، و حديث شريف في مدخل كل باب، ليعرف الطالب مكانة هذا الباب من أبواب الفقه في الشريعة الإسلامية و درجته عند الله و رسوله، و ينشأ عنده الشعور بالإيمان و الاحتساب، ثم عني بتعريف المصطلحات الفقهية و شرحها لغويا و شرعيا، و احترز عن ذكر المسائل التي لا تلائم سن الطلبة و مداركهم ، لأن هذا هو الغرض الرئيسي لتأليف كتاب جديد للصغار، و عن الاختلافات الفقهية، و التزم القول المفتى به، و احترز عن كل ما يوهم و يحدث

www.abulhasanalinadwi.org

الالتباس، فذكر اسم الظاهر مكان الضمائر، و قسم المواد تقسيما على منهج الكتب الدراسية العصرية، و آثر اللغة السهلة الواضحة، و أضاف بعض المسائل التي وقع الاحتياج إليها في هذا العصر، و لم تكن قد حدثت في عصر المؤلفين القدماء، كالصلاة على القطار و الطائرة، و طبق بين الأوزان و المقاييس القديمة كالدرهم و المثقال، والصاع ، بالأوزان الحديثة.

و بذلك أصبح كتابه " الفقه الميسر" الذي بين يدي القراء، كتابا ميسورا للأحداث في التعرف بالفقه، و تلقي مبادئه، و ملأ فراغا في مكتبة الصغار الدينية و الدراسية، وقضى حاجة من حاجات مدارسنا الدينية، كان يشعر بها القائمون على المدارس والعاملون بنظام التربية و علم النفس الحريصون على تثقيف الطلبة الصغار ، تثقيفا دينيا تربويا، يلائم سنهم و مداركهم، و يتفق مع طبيعة العصر وتطوره الطبيعي الجائز.

و أخيرا أشكر المؤلف العزيز على مجهوده، و أقدم هذا الكتاب بحكم اتصالي بندوة العلماء الوثيق، و ارتباطي بالمدارس الدينية عامة، تحفة مضافة إلى مجهودات معلمي دارالعلوم القائمين عليها في مجال اللغة العربية و الأدب العربي و القواعد و الإنشاء، أرجو أن تتقبلها المدارس الدينية تقبلا حسنا، و تفسح له المجال في مناهجها التعليمية ليحل محله في كتب الفقه و التعليم الديني، فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها.

و الحمد لله أولا و آخرا، وصلى الله على نبيه و صفيه و سلم

أبو الحسن علي الحسني الندوي

٦/ من جمادى الآخرة/ ١٤٠٢هـ

تكية كلان راي بريلي

www.abulhasanalinadwi.org

الثقافة الإسلامية في الهند

معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف

تأليف

عبد الحي الحسني

راجعه وقدم له (نجل المؤلف)

أبو الحسن علي الحسني الندوي

ترجمة المؤلف

هو الشريف العلامة عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي ، ينتهي نسبه إلى عبد الله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ، انتقل جده قطب الدين محمد المدني من بغداد إلى الهند في فتنة المغول ، وجاهد في سبيل الله ، وتولى مشيخة الإسلام في دهلي ، وتوفي سنة ٦٧٧هـ بمدينة كرا ، ونبغ من ذريته كثير من أئمة العلم والمعرفة ، وقادة الجهاد والإصلاح ، أشهرهم السيد العارف علم الله النقشبندي (المتوفى سنة ١٠٩٧هـ) ، والسيد الإمام المجاهد السيد أحمد الشهيد سنة ١٢٤٦هـ .

ولد المؤلف لثماني عشرة خلون من رمضان سنة ١٢٨٦هـ (٢٢من كانون الأول / ديسمبر ١٨٦٩م) في زاوية السيد علم الله ، على ميلين من بلدة رائي بريلي ، من أعمال لكهنو .

كان بيته بيت علم ودين وصلاح وإرشاد ، وكان أبوه السيد فخر الدين فاضلاً عارفاً ذا مسكنة وتواضع وقناعة ، وكذلك كثير من أعمامه وأخواله ، لا سيما الشيخان الجليلان السيد ضياء النبي والسيد عبد السلام ، فكانا مرجع الخلائق ، في التربية

www.abulhasanalinadwi.org

وتزكية النفوس ، تشد إليهما الرحال ، ويغشاهما الرجال من أقصى البلاد ، فنشأ على الخير والصلاح وتربى في حجر الدين والعلم .

قرأ الكتب الدراسية من الصرف والنحو والأصول والتفسير والمعقولات ، على أشهر علماء لكهنو، مثل الشيخ محمد نعيم الفرنكي المحلي ، ومولانا السيد أمير علي المليح آبادي ، وأخوند أحمد شاه الأفغاني ، والشيخ فضل الله وغيرهم ، ثم سافر إلى بهو بال ، وهي إذ ذاك محط رحال العلماء والطلبة ، فقرأ الكتب الدراسية على الشيخ القاضي عبد الحق الكابلي ، والعلوم الرياضية على العلامة السيد أحمد الدهلوي رئيس الأساتذة في معهد ديوبند سابقاً ، والحديث على العلامة المحدث الشيخ حسين ابن محسن الأنصاري اليماني ، والأدب على ابنه الشيخ محمد ، والطب على الطبيب الشهير عبد العلي ، ثم رحل وسافر ، فزار دهلي ، وباني بت ، وسهارنبور ، وسرهند ، وديوبند ، وكنكوه ، والمراكز العلمية الدينية الكبرى في الهند يومئذ ، واجتمع بالعلماء والمشايخ ، منهم الشيخ العلامة رشيد أحمد الكنكوهي ، والعلامة المحدث الشيخ نذير حسين الدهلوي ، والشيخ عبد الرحمن الباني بيتي وأجازوه ، وبايع الشيخ الكبير مولانا فضل الرحمن الكنج مراد آبادي ، وأخذ عن صهره الشيخ ضياء النبي ، وأبيه السيد فخر الدين وأجازاه ، وكتب إليه الشيخ الإمام إمداد الله المهاجر المكي وأجازه .

كان رحمه الله حريصاً على إصلاح المسلمين وإنهاضهم ، وإصلاح مناهج التعليم وتطويرها ، وقد نهضت يومئذ جماعة فوفقت لتأسيس جمعية لتحقيق هذه الأغراض اشتهرت في العالم الإسلامي بـ(ندوة العلماء) وذلك سنة ١٣١١هـ ، فأقام بلكهنو وتفرغ لخدمتها وخدمة الإسلام والمسلمين بواسطتها وذلك سنة ١٣١٣هـ ، واشتغل بالطب لكسب المعاش ، ولم يزل يخدم الندوة ودار العلوم التابعة لها تطوعاً واحتساباً مدة حياته ، واستمر على ذلك وحاز ثقة أصحابه فجعلوه ناظماً لندوة العلماء أي مديراً لشؤونها في سنة ١٣٣٣هـ ، واستمر على ذلك إلى أن توفي .

كان رحمه الله محمود السيرة ، ميمون النقيبة ، مرضياً محبباً ، حصل له القبول عند الناس ، صاحب عقل وسكينة وتواضع ، مع عزة نفس ووقار وقلة كلام ، وحياء وصبر وحلم وتوكل ، واستقامة وتورع وإقبال على الطاعة والإفادة ، معروفاً بصلة الرحم والإحسان إلى الأقارب والأصدقاء ، والتحري في أكل الحلال ، والإعانة على نوائب الحق ، حريصاً على اتباع السنة ، شديد التعظيم للحديث النبوي ، كثير الحب والإيثار له،

www.abulhasanalinadwi.org

يحب التوسط والاقتصاد في كل شيء ، نفوراً عن التفاخر والرياء ، والجدل والمراء ، عفيف اللسان واليد والبطن ، قد سلم المسلمون من لسانه ويده ، وأمن الناس بوائقه .

وكان متضلعاً من العلوم ، راسخ القدم في آداب اللغات العربية والفارسية والأردية، بارعاً في الفقه والتفسير والحديث ، والسير والتاريخ ، لم يكن له نظير في العلم بأحوال الهند ورجالها وحضارتها وحركة العلم والتأليف في عهد الدولة الإسلامية ، وكان متوفراً على مطالعة الكتب والتصنيف ، ولم يزل مشتغلاً به إلى آخر يوم من أيام حياته .

وكان قد نشأ على الاطلاع والجمع ، وعلى معرفة طبقات الرجال وخصائصهم ودقائق أخبارهم ، وعلى مذاهب السادة الصوفية ومشاربهم وأذواقهم وانشعاب طرقهم ومصطلحاتهم وتعبيراتهم مُدارسة وممارسة ، رزقه الله صفاء الحس وثقوب النظر وحسن الملاحظة ودقتها ، وسعة القلب وسلامة الصدر ، فأفرغ هذه المواهب كلها في المكتبة التاريخية العظيمة التي أنتجها وخلفها للأجيال القادمة .

ومن مؤلفاته العظيمة ((نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)) ، ذكر فيها تراجم أعيان الهند ومآثرهم ، وكل ما اتصل به من أخبارهم وانتهى إليه علمه ، من تعلمهم وأعمالهم وكناهم وألقابهم وأنسابهم وسني وفياتهم ، في ثمانية أجزاء ، لخص فيها واقتبس من ثلاثمائة كتاب في العربية والفارسية والأردوية ، ما بين خطي ومطبوع ، حتى أصبح الكتاب يحتوي على ترجمة أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة ونيف ، وقد طبع هذا الكتاب بكامله في ثمانية أجزاء في دائرة المعارف بحيدر آباد ، وصدرت له طبعتان .

وكتاب ((جنة المشرق ومطلع النور المشرق [١])) في التاريخ الهندي الإسلامي وجغرافية الهند ، وحاصلاتها وأشجارها ونوادر صناعاتها وحِرَف أهلها ، وحيواناتها ومعادنها وأجناسها وأديانها وصناعاتها ولغاتها ، وأقطاع الهند وأشهر مدنها وقراها في الدولة الإسلامية ، وأخبار ملوك الهند ، وتاريخ ظهور الإسلام ، والأسر التي حكمت الهند ، وأخبار السلطة الإنكليزية ، وخطة ملوك المسلمين ، وعوائدهم في السلطنة ، وآثارهم ، ومؤسساتهم كالشوارع العامة والبُردُ والحياض والأنهار والحدائق والبساتين والجوامع والمساجد والمدارس والمستشفيات والمقابر العظيمة ، ونوادر ما وضعوه في الهند .

---

(١) وقد طبعت هذا الكتاب دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند ، باسم : ((الهند في العهد الإسلامي)) لأنه أدل على موضوع الكتاب ومحتوياته .

www.abulhasanalinadwi.org

ومن مؤلفاته العظيمة المفيدة هذا الكتاب الذي أسماه المؤلف ((معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف)) وقد نشره المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م، باسم ((الثقافة الإسلامية في الهند)) ، لأنه أكثر دلالة على موضوع الكتاب ومضمونه ، وهذه هي الطبعة الثانية مع ذيل الكتاب والتنويه بالمؤلفات التي ظهرت بعد وفاة المؤلف (سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م) في شبه القارة الهندية .

ومن مؤلفاته ((تلخيص الأخبار)) ، كتاب مختصر نفيس في الحديث ، جمع فيه الأخبار بحذف الأسانيد ، وقد نشر الكتاب باسم ((تهذيب الأخلاق)) وصدرت له عدة طبعات ، و ((منتهى الأفكار)) في شرح ((تلخيص الأخبار)) ، ومؤلفاته كثيرة في اللغة الأردية .

وتوفي رحمه الله لخمس عشرة ليلة خَلَوْنَ من جمادى الآخرة سنة ١٣٤١هـ / الموافق (٢ شباط / فبراير سنة ١٩٢٣م) ودفن عند قبر السيد العارف علم الله في زاويته، وعقب ابنين : عبد العلي الحسني [1]، وعلياً أبا الحسن وهو كاتب هذه السطور، وابنتين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دائرة علم الله ـ رائي بريلي

٢٢/ ٤/ ١٩٨٢م

٢٧/ ٦/ ١٤٠٢هـ

(١) هو الدكتور السيد عبد العلي الحسني مدير ندوة العلماء سابقاً ، توفي رحمه الله في ٢١ من ذي القعدة ١٣٨٠هـ (٧ أيار / مايو ١٩٦١م) .

www.abulhasanalinadwi.org

ما هي النصرانية ؟

محمد تقي العثماني

عضو مجلس القضاء الشرعي الأعلى

لباكستان

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، محمد النبي الأمي الأمين، الذي خص بكتاب تكفل الله بحفظه وصيانته من تحريف المحرفين وعبث العابثين، وبدين ضمن الله ببقائه على أصالته ونقائه إلى يوم الدين، وعقيدة التوحيد الصافية البريئة عن ألواث الشرك والوثنية والثنوية، والحلول والاتحاد وتأثير المحرفين، وآله وصحبه الذين كانوا أشد غيرة على هذا الدين منهم على الآباء والأمهات والأزواج والبنات والبنين، ومن تبعهم وورثهم من العلماء الراسخين، الذين مازالوا ولا يزالون ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وبعد، فمن الألغاز التاريخية التي لم يكن من السهل والميسور حلها وفكها، ومن الظواهر التي لا يسهل تفسيرها والاهتداء إلى سرها، أن الديانة المسيحية رغم كونها هي المنافسة الكبرى، للدين الإسلامي من يومه الأول، في المجال الدعوي والميدان السياسي، والوصاية على المجتمع البشري، وفي قيادة الركب الإنساني، لم توضع ـ في مجال الدراسات المقارنة للأديان والعقائد وفي كتب التوحيد، وعلم الكلام وتاريخ

www.abulhasanalinadwi.org

الملل والنحل ـ على محك البحث العلمي، والنقد التحليلي، ولم تخضع لمبادئ النقد الأمين المحايد ـ إذا لم نقل التزاماً لأدب الأسلوب العلمي ـ للتشريح الطبي والجراحي.

وكان من مناهج المؤلفين في استعراض الديانة والعقائد المسيحية والبحث فيها والحكم عليها، التي درجت عليها الأجيال ومضت عليها القرون، وضع الديانة المسيحية على صعيد الديانات السماوية ـ وبالأصح على مستوى الديانة السماوية الوحيدة التي هو الإسلام، إذ ليست هنالك ديانة سماوية محفوظة على وجه الأرض غيره ـ ووضع الأناجيل الأربعة على مستوى الكتاب العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، ثم المحاكمة بينهما كما هو الشأن في كائنات وشخصيات ـ بالمعنى العام ـ من جنس واحد، مع اختلاف قد يكون صغيراً وقد يكون كبيراً، مع أن الأناجيل الأربعة لم تؤلف إلا بعد سيدنا المسيح ولم يدرك أحد مؤلفيها نبي الله عيسى ابن مريم، ويكتنف تدوينها ومؤلفيها الشيء الكثير من الغموض والالتباس والاضطراب، وكانت بكتب السيرة والأخبار والآثار أشبه منها بالكتب المنزلة من الله، المبنية على الوحي والإلهام[1]، والمواد المنيرة لحياة سيدنا المسيح وتعاليمه لا تتجاوز عن خمسين يوماً من حياة المسيح[2]، وكان أحسن حالها أن توضع على مستوى كتب السير من الدرجة الثانية أو الثالثة، إذا لم نقل قصص المولد الكثيرة المنتشرة بين المسلمين، فضلاً عن الصحاح وكتب الحديث الموثوق بها.

وبذلك الموقف الذي لم يصدر إلا عن سلامة قلوب المسلمين واحترام ممثليه وقادته للديانات السماوية، نالت هذه الديانة ـ التي كانت من أضعف الديانات العالمية علمياً وعقلياً، وأكثرها تعرضاً للتزييف في مخبر التاريخ ومحكمته ـ ونالت الأناجيل التي كانت مليئة بالاختلافات والتناقضات ما لم تكن تستحقه من الثقة والتقدير وعلو المكان ونباهة الشأن، وتخلصت بذلك عن كثير من التساؤلات والجرح والنقد.

وكان أشد من ذلك أن كثيراً من المؤلفين في الملل والنحل آثروا خطة الدفاع عن الإسلام على خطة الهجوم على هذه الديانة التي كان من أقوى براهينها التي كانت تعتمد

---

(١) راجع للتفصيل والأمثلة والشواهد فصل «الصحف السماوية السابقة والقرآن في ميزان العلم والتاريخ»، في كتاب صاحب التقديم «النبي الخاتم» و«النبوة والأنبياء في ضوء «القرآن» ص١٩٨ ـ ٢٠٠».

(٢) راجع دائرة المعارف البريطانية مقال شارلس اندرسن سكات (ـ ١٧١).

www.abulhasanalinadwi.org

عليها في إثبات صدقها وكونها دين الله المختار وتعاليم نبي مؤيد من الله، الحكومات الواسعة التي قد لا تغرب فيها الشمس والقوة المادية التي لا تضارعها قوة، وضخامة عدد أتباعها وكثرة الأعمال الخيرية والمستشفيات والمؤسسات العلمية، والتقدم التكنالوجي، وقدرة على تنظيم الحياة مع أن شيئاً من ذلك لا شأن له بثبوت ديانة أو عقيدة ولا صلة له بحقيّة وبطلان.

ولا شك أنه يكون من التجني ومن القسوة في الحكم، إطلاق هذا الحكم على جميع المؤلفين الإسلاميين المتكلمين الأولين والمتوسطين فما «من عام إلا وقد خص منه البعض» كما يقول التعبير الأصولي، ويمكن الاكتفاء باسم شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨هـ) صاحب كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»[١]، فقد آثر خطة الهجوم على الدفاع وتناول العقائد المسيحية والأناجيل الأربعة بالنقد الجريئي والحكم البريئي، وأصاب المحز، وفي لفظ صاحب هذا التقديم «عير ذلك وجه البحث والجو الذي تقوم فيه المناظرة، وأفقد الخصوم الموقف المشرف الذي تمتعوا به واستغلوه زمناً طويلاً»[٢].

والذي يستحق أن يذكر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية ويعترف بفضله وسبقه، هو الإمام العلامة الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوى (١٣٠٨هـ ـ ١٨٨١م) صاحب الكتب العظيمة المقبولة، في العالم الإسلامي، المجلجلة في العالم المسيحي، أهمها كتاب «إظهار الحق» و«إزالة الأوهام» و«إزالة الشكوك» فقد تجنب في نقده للمسيحية وكتب العهد القديم والجديد، البحوث الدقيقة التي يتسع فيها مجال الجدال ويكثر فيه القيل والقال، بل اتخذ بتأييد من الله وبعبقريته الكلامية ـ طريقة رياضية واقعية لا تقبل نقاشاً ولا تسمح بتشكيك أو تأويل، فاعتمد على التناقضات الواضحة والبديهيات الجليلة وأثبت أن التوراة والإنجيل مليئة بالاختلافات والتناقضات، وقد وقع فيها أخطاء لا يقبل تأويلاً، وتعرض فيه لمغالطات النصارى وتمويههم في أسلوب سائغ مقنع[٣].

---

(١) ليرجع للتفصيل إلى كتاب صاحب المقدمة ـ الجزء الثاني من كتاب «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» الحافظ ابن تيمية، فصل «الرد على المسيحية».

(٢) تقديم كتاب «إظهار الحق» ص١٤ ـ ١٥.

(٣) اقرأ للتفصيل ولموقفه البطولي الحاسم من القس فندر الذي تحدى الإسلام والمسلمين في عصره في تقديم الكتاب بقلم كاتب هذه السطور.

www.abulhasanalinadwi.org

ولما ظهرت ترجمة هذا الكتاب العظيم في الأردية باسم «بائبل سى قرآن تك» «من العهد القديم إلى القرآن» في كراتشي، قام الأستاذ الفاضل صديقنا الأستاذ محمد تقي العثماني، نائب مدير دار العلوم في كراتشي، والمستشار الديني والقاضي الشرعي في محكمة باكستان العليا، وقد تلقى العلوم الدينية في عمق وإتقان، وتخرج على والده العظيم، العلامة الكبير مفتي الديار الباكستانية الأكبر. سماحة الشيخ المفتي محمد شفيع العثماني، الديوبندي رحمه الله، مؤسس دار العلوم في كراتشي، ثم درس اللغة الإنكليزية وتخرج فيها وفي الحقوق، وكان بذلك قادراً على الاستفادة من المصادر الإسلامية والمصادر المسيحية، وتاريخها بطريق مباشر، فحلي جيد هذا الكتاب بمقدمة في نقد المسيحية وتاريخها، وتطور عقيدتها ومبادئها، وتحولها مع الزمن في وقت مبكر من ديانة سماوية سمحة مؤسسة على عقيدة التوحيد الخالص، إلى ديانة محرفة مطعمة بالوثنية اليونانية والجاهلية الرومانية وتعمقات فلسفية حلولية اتحادية. وقد ذكر في تفصيل العوامل التاريخية والعقائدية التي لعبت دوراً خطيراً في تاريخ هذه الديانة المظلومة التي قلما يوجد لها نظير في وقوعها فريسة سهلة ولقمة سائغة لأهل الأهواء والأغراض، وأزاح الستار ـ في قدرة فائقة وخبرة واسعة وأمانة علمية ـ عن المؤامرات المحبوكة الأطراف والمحن القاسية التي تعرضت لها هذه الديانة التي كان انتصارها في ميدان السياسية والسيطرة العالمية، مقابل إخفاقها وانهزامها في مجال الديانات والعقائد، فكان كل من ذلك قد بلغ القمة، وذكر الفرق التي رفضت أن تؤمن بألوهية المسيح، والرجال الذين رفضوا عقيدة الحلول والتجسد، وما آلوا إليه من خيبة وإخفاق واستعراض الفرق المختلفة واختلافاتها، وتناول عقيدة «الصليب المقدس» والعشاء الرباني، وولادة سيدنا المسيح وتطور العقيدة المسيحية وأسبابه، وذكر ما كان لقسطنطين الكبير من دور في تحويل المسيحية عن طبيعتها الأولى، وواصل السير إلى غريغوريوس، وذكر تاريخ المسيحية في مختلف العهود، والمناطق، ثم أشار إلى محاولات ضائعة في سبيل الإصلاح، وحركات التجديد والإحياء، وتناول إنجيل برنابا بالتحقيق وحدد مكانته في الأناجيل في ضوء التاريخ والبحث العلمي.

وقد توصل بعد هذا البحث الدقيق العميق في تاريخ المسيحية وتطورات عقائدها، إلى أن الدين الذي جاء به المسيح ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ قد اندرس بعده بمدة قليلة، وحلت محله ديانة كانت تعاليمها على عكس أقوال سيدنا عيسى عليه السلام وتعاليمه، وأن المسيحية المعاصرة ليس مؤسسها هو سيدنا عيسى عليه السلام، وإنما هو

www.abulhasanalinadwi.org

بولس الذي توجد له ١٤ رسالة في «الكتاب المقدس» ويستشهد بقول عالم مسيحي (W.Wrede) : «أن بولس قد غير المسيحية بدرجة أنه أمسى مؤسسها الثاني، أنه في الواقع مؤسس المسيحية الكنيسية التي تختلف عن المسيحية التي جاء بها يسوع المسيح تمام الاختلاف، ولا يمكن الجمع بينهما في العمل في وقت واحد».

ومن شواهد توارد الخواطر ووحدة النتائج العلمية والتقائها إذا كانت طرقها ووسائلها صحيحة، أن كاتب هذه السطور قد قال في إحدى كتاباته وهو يتكلم عن تسمية القرآن النصارى بـ «الضالين» ما معناه:

لا يفهم سر هذه الكلمة وحكمة هذه التسمية ـ المختلفة عن اليهود الذين سماهم القرآن بـ «المغضوب عليهم» ـ إلا من كان له اطلاع دقيق على تاريخ نشوء المسيحية وتطورها في أول عهدها، فقد انحرفت عن الجادة التي تركها عليها المسيح في أول رحلتها، وسارت على درب مختلف عن الدرب الأول كل الاختلاف وتكفى لذلك شهادة واحدة، وهي شهادة العالم المسيحي Ernest de Bunsen فيقول: «إن العقيدة والنظام الديني الذي جاء في الإنجيل ليس الذي دعا إليه السيد المسيح بقوله وعمله، إن مرد النزاع القائم بين المسيحيين اليوم وبين اليهود والمسلمين، ليس إلى المسيح ، بل إلى دهاء بولس Paul ذلك المارق اليهودي والمسيحي وشرحه لصحف المقدسة على طريقة التجسيم والتمثيل» Essene[١].

ولما اطلع كاتب هذه السطور على هذه المقدمة العلمية المستفيضة التي تقوم مقام كتاب كتب إلى صاحبها الأستاذ محمد تقي العثماني، يبدي إعجابه بها، ويقترح عليه الإسراع في نقله إلى اللغتين الإنجليزية والعربية. لقيمتها العلمية والدعوية، ولأنها منيرة للعقول والأذهان، كاشفة لحقيقة الديانة المسيحية قد تكون وسيلة ـ إذا حالف التوفيق الإلهي وزال غطاء العصبية ـ للتفكير الجاد العميق والاهتداء إلى الدين القويم والصراط المستقيم.

وقد شرح الله صدر كاتبها أخيراً لتحقيق هذا الغرض وهيأ له أسبابه، فطلب من أخينا العزيز الأستاذ نور عالم الأميني الندوي، أن ينقله إلى العربية، وهو مترجم قدير وعالم ضليع في اللغتين، فقام بهذه المهمة في دقة وأمانة، وقدرة ولباقة، ويسعد كاتب

---

(١) Islam or trtue Christianity P.128

www.abulhasanalinadwi.org

هذه السطور ـ ولعله صاحب الفكرة الأولى في نشرها ونقلها إلى اللغتين العربية والإنجليزية ـ أن يقدم لهذه المقدمة التي تنشر ككتاب مستقل، وتقدم إلى قراء العربية، كتحفة علمية؛ وثمرة يانعة شهية، لشجرة البحث العلمي الخاص والدراسات الدينية المقارنة ـ والحمد لله أولاً وآخراً.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دارة الشيخ علم الله الحسني

رائي بريلي ـ الهند

٢٣/ ١٠/ ١٤٠٢هـ

١٤/ ٨/ ١٩٨٢م

www.abulhasanalinadwi.org

الدين والعلوم العقلية

تاليف

عبد الباري الندوي

تعريب

واضح رشيد الندوي

أستاذ الفلسفة سابقاً

الجامعة العثمانية بحيدر أباد

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ عبد الباري ... الندوي (متوفى ١٩٧٦ م) كان من متخرجي ندوة العلماء وتلاميذ العلامة شبلي النعماني ، درس الفارسية والإنجليزية والفلسفة بعد تخرجه من ندوة العلماء ، وعين أستاذا في كلية دكن في بونا ، ونال الشهرة في الكلية بأسلوبه ودراسته العميقة لموضوعه ، ثم انتقل إلى كلية كجرات بأحمد آباد ، وكانت الفلسفة موضوعا محببا لديه وقد درس كتب الفلسفة القديمة على كبار أساتذة عصره (كالشيخ) شير علي الحيدرآبادي الذي كان من الأساتذة البارزين في ندوة العلماء وعكف على

www.abulhasanalinadwi.org

دراسة هذا الموضوع ، وتوسع فيها بعد تخرجه من دار العلوم ندوة العلماء ، ثم عني بدراسة الفلسفة الحديثة معتمدا في ذلك على المراجع الأصلية العميقة بالإنجليزية دراسة جدية عميقة . وزادت من شغفه بهذا الموضوع واشتغاله بعلم الكلام صلته بالعلامة شبلي النعماني ، واستطاع بذكائه ، وصلاحيته للتمييز أن يدرك الحدود الفاصلة للفلسفة والعقل ، والفارق بين الفلسفة والعلم الذي كان خافيا وحتى على كبار المثقفين والعلماء في ذلك العصر ، فكانوا يخلطون بينهما ، ويدل كتابه " الدين والعقل " على صفاء ذهنه، وقوة تميزه وقد صرح الشيخ أشرف علي التهانوي بعد قراءة هذا الكتاب " إن هذا الكتاب قلعة حديدية للدين " ، وقد نال هذا الكتاب قبولا عاما في الأوساط العلمية وعد دليلا لنبوغه العلمي . وقد أثار بعض الناس قضية في الجامعة العثمانية بحيدرآباد ضد الشيخ عبد الباري الندوي في عهد رياسته بقسم الفلسفة وقالوا إنه لا يحمل مؤهلات تعليمية ليشغل هذا القسم لأنه قدتخرج من جامعة أجنبية وليس لديه شهادة في الموضوع، فقدم معالي الأمير حبيب الرحمن الشيرواني وزير الأمور الدينية في الإمارة كتاب " الدين والعلوم العقلية " إلى نظام حيدرآباد وقال له : " إن شهادته هذا الكتاب وقد أسلمت الفلسفة على يديه " ، وطلب معالي الأمير حبيب الرحمن رئيس الجامعة في ذلك العهد من نظام حيدرآباد بأن يقرأ بعض سطور الكتاب ، ومنذ ذلك اليوم عين الأستاذ عبد الباري رئيسا دائما للقسم .

وأعيد هنا ما كتبته في مقالتي حول الكتب التي كان لها الفضل في تكوين ذهني وعقليتي : " صادفت أن وجدت كتاب الدين والعقل للأستاذ عبد الباري الندوي خلال دراستي ، فقبله فكري وذهني وذوقي واستساغه كليا ، فإن هذا الكتاب يعين حدود الفلسفة والعقل والنقل والتجربة ، وعلم الإنسان ، ويثبت أن جميع هذه العلوم طارئة ومؤقتة ومحدودة ، واستفدت من دراسة هذا الكتاب قطعية علوم الأنبياء ، وقرأت كل ما ألف قديما وحديثا في هذا الموضوع ولكن التصور الأساسي الذي اقتبسته من كتاب "الدين والعلوم العقلية " كان دائما يرشدني ولم يزعزع عقيدتي وفكري ما قرأت للكتاب والعلماء والفلاسفة ، فكان انطباعي الدائم خلال هذه المطالعة ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ، و﴿كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾.

نقل الأستاذ عبد الباري الندوي عدة كتب في الفلسفة إلى اللغة الأردية وقد نقل كتاب هيوم " مبادىء علم الإنسان " ومكالمات بركلي وألف كتاب " الدين والعلم " وقدم له

www.abulhasanalinadwi.org

العالم الرياضي الكبير الدكتور رضي الدين وأثنى على مجهوده العلمي ، وطبع هذا الكتاب من المجمع العلمي الإسلامي بندوة العلماء ونال شهرة في الأوساط العلمية .

كان الأستاذ عبد الباري بالإضافة إلى اهتمامه بموضوع الفلسفة ودفاعه عن الدين ، دفاعا علميا ، تحليليا ، شغوفا بمطالعة القرآن الكريم ، والدعوة الإسلامية وكان شديد الحرص على تربية النشء تربية إسلامية فكان يلقي دروسا في تفسير القرآن الكريم ، ويهتم بنشاط الدعوة والتربية ويتقصى أحوالها ، وكانت له صلات بمشايخ عصره ومربيه كالشيخ حسين أحمد المدني ، والشيخ أشرف علي التهانوي ، وتوثقت هذه الصلة في آخر حياته ، فعكف على تربية النفس ، وألف كتبا في التربية الإسلامية ومن أشهر مؤلفاته " الدين والحياة " وقد نقل الكتاب الأستاذ محمد الرابع الندوي وطبع في دمشق ثم نقل الكتاب إلى اللغة التركية ..

كان كتاب " الدين والعلوم العقلية " محاضرة باللغة الأردية للأستاذ عبد الباري ألقاها أمام علماء مثقفين وجامعيين ثم نقله العزيز واضح رشيد الندوي إلى اللغة العربية، ونشر في مجلة البعث الإسلامي الصادرة من ندوة العلماء ثم طبع الكتاب في مصر ونال القبول العام . وتظهر الآن الطبعة الجديدة بعد مراجعة وتحقيق ، أسأل الله أن ينفع به المسلمين ويهدي به الحيارى والتائهين ، والله يهدي السبيل .

ويسرني أن تصدر الطبعة الثانية من دار ابن حزم وينال الكتاب مكانته اللائقة ـ ليس في المكتبات ودور الكتاب فحسب ـ بل في الأوساط العلمية والثقافية وفي أذهان الناشئة الإسلامية والجيل المثقف والباحثين في موضوع الفلسفة والدين ، فإنه من البحوث المثيرة المغذية للعقول بالغذاء الصالح الدسم الصحيح ، ويقضي على كثير من المغالطات والارتجالات الفكرية والمزالق الذهنية ، وعلى الله قصد السبيل ، وما التوفيق إلا بالله .

أبو الحسن علي الحسني الندوي
جامعة دار العلوم ندوة العلماء
لكهنو ـ الهند

٢٩ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ

www.abulhasanalinadwi.org

ظفر الأماني في مختصر الجرجاني

للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي

١٢٦٤ هـ - ١٣٠٤ هـ

حققه وخرج نصوصه وعلق عليه

الدكتور تقي الدين الندوي

أستاذ الحديث وعلومه في جامعة

الإمارات العربية المتحدة

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله وصحبه أجمعين و من تبعهم بإحسان و دعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيسعدني أن أكتب سطورا على تشتت بال و تزاحم أشغال و عدم اعتدال في الأحوال، تحقيقا لرغبة الأخ الفاضل الدكتور تقي الدين الندوي و حشرا لنفسي في مؤخر هذا الركب الذي يتشرف و يتسم بالاتجاه إلى غاية تنسب و تفتخر بالبحث و التحقيق في ناحية من نواحي فن الحديث.

www.abulhasanalinadwi.org

يعلم الملم بتاريخ العلوم و البحوث فضلا عن صاحب الاختصاص و التضلع من استعراضها و دراسة مقارنة لها أن بقاء الحديث النبوي و صيانته و تداول العلماء والباحثين له علما و حفظا، و بحثا و تحقيقا من خصائص خاتم النبيين ﷺ ، لأنه من مصادر هذا الدين الأخير، و الشريعة الكاملة الوافية بحاجة كل جيل و عصر لا يوجد له نظير في تاريخ النبوءات و الشرائع، فضلا عن تاريخ التشريعات و القوانين، لذلك تكونت حوله أوسع مكتبة و أضخمها، و أدقها، حفظا للكلام النبوي و تسجيلا له، رواية و دراية، وشرحا و إيضاحا، و رجالا ورواة [١] و أصولا و قواعد، و استنباطاً للأحكام.

وكان من أهم هذه المواد و المجالات فنّ أصول الحديث، و قد كان موضع عناية كبار أئمة في الحديث و العلماء المتضلعين، كالعلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني، وغيره ممن لا يأتي عليهم الحصر في هذا المقال الوجيز.

ومن هذه الكتب التي تستحق أن توضع في مقدمة الكتب التي ألفت في فن أصول الحديث، و يُعتنى بها لخصائص تأليفية و فنية و تسهيلية "ظفر الأماني في مختصر الجرجاني" و قد قيّض الله لشرحه العلامة عبد الحي بن عبد الحليم الفرنجي محلي اللكنوي (م١٣٠٤هـ) و كفى بما قال عنه سميّه الفاضل السيّد عبد الحيّ بن فخر الدين الحسني في كتابه " نزهة الخواطر" و قد أدركه و حضر مجالسه "و لاينبئك مثل خبير".

"كان متبحرا في العلوم معقولا و منقولا، مطلعا على دقائق الشرع و غوامضه، تبحّر في العلوم و تحرى في نقل الأحكام، و حرّر المسائل، و له في الأصول و الفروع قوة كاملة وقدرة شاملة، و فضيلة تامّة، و إحاطة عامة،.. والحاصل أنه كان من عجائب الزمن ومن محاسن الهند، و كان الثناء عليه كلمة إجماع و الاعتراف بفضله ليس فيه نزاع."[٢]

و قد قال في مقدمة كتابه "ظفر الأماني في مختصر الجرجاني" :

" رأيت الناس في هذا الزمان قد استغلوا بدرسه و تدريسه، و لم أر له شرحاً يكفي لحل جليّه و خفيّه".

فتناول متن الكتاب شرحاً لفظياً و معنوياً.

---

(١) يقول الباحث الألماني (SPRENGER) إنه من المكن الاطلاع على أحوال نصف مليون من الرجال بفضل علم الرجال.

(٢) (٨/ ٢٣٥)

www.abulhasanalinadwi.org

و يمتاز هذا الشرح بسعة الاطلاع، و سلامة الفكر، وعدم التعصب، و الجمع بين الفقه و الحديث، و علم الرجال و التاريخ، و تطبيق أصول الحديث و محاكمتها و نقدها، و عرض أمثلتها في تفصيل و إحكام، و ذكر فوائد تنشرح بالاطلاع عليها الصدور، إلى غير ذلك من مزايا هذا الشرح و خصائصه.

و كان من توفيق الله تعالى و منته، أن اختار لإبراز هذا الكنز و تسهيل الإفادة منه أخانا في الله الأستاذ الفاضل الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي، و كان بذلك جديرا و عليه قديراً، لاشتغاله بهذا الموضوع و اعتنائه بمصادره، شرحاً و عرضاً و بحثاً، و قد قارن بين النسخة المخطوطة و المطبوعة، و إذا كان هناك اختلاف ذو بال نبّه عليه، و جعل المخطوطة أصلا، كذلك عزا نصوص الكتاب لمصادرها و مظانها، بقدر الإمكان، و ترجم لبعض الأعلام التي رأى الحاجة داعية إليها، إلى غير ذلك، مما يُعتبر خدمة لهذا الكتاب و تسهيلا للمطالع المستفيد، و باعثاً للاعتماد على هذه الطبعة الجديدة و الاستفادة منها، فله أجر الخادمين لهذا الفن الشريف، و شكر القراء و المستفيدين، و أمَلي أنه إذا اطّلع على هذا المجهود العلمي و العناية بالكتاب مؤلفُه و شارحُه، رفع الله درجاتهما و أجزل ثوابهما... شَكَرًا صاحب هذا العمل المفيد و المأثرة العلمية، فضلا عن شكر القُرّاء و المستفيدين من هذا الكتاب في حلة طباعية جميلة، صحيحة منقَّحة.

أبوالحسن علي الحسني الندوي

دارالعلوم ندوة العلماء، لكهنو

١٩/ جمادى الثانية/ ١٤١٤هـ

www.abulhasanalinadwi.org

نفحات الهند واليمن بأسانيد الشيخ أبي الحسن

وهو

ثبت العلامة الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

حفظه الله

تأليف

محمد أكرم الندوي

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإنه لما وقع نظري على كتاب ((نفحات الهند واليمن بأسانيد الشيخ أبي الحسن)) ، للأخ العزيز الفاضل محمد أكرم الندوي ساورني شعوران متناقضان : أولهما : الشعور بطول الفجوة بين جلالة الموضوع وضخامة المجهود وبين ما أعرفه

www.abulhasanalinadwi.org

وأدين به من صغر النفس وضآلة المواهب وقِصَر المجهود في الموضوع الذي يختص به هذا الكتاب ويتسم به ، فكأن الكتاب كساني ثوباً فضفاضاً سابغاً أتضاءل فيه أمام الناظرين .

ورافق هذا الشعور شعور آخر ، خفف من وطأة الشعور الأول ، وهو أن هذا الكتاب يتسم ويختص بالتعريف بشيوخ الحديث الكبار ، والنابغين فيه ، والذين أفردوا أعمارهم ومواهبهم لتدريسه ونشره وشرحه ، وإخراج النابغين فيه والمنفردين له ، من نوابغ التلاميذ ، وشيوخ الحديث الكبار ، والشارحين له في اليمن الميمون ، والأقطار العربية ، وشبه القارة الهندية طيلة قرون وأحقاب ، ورغم مسافات بعيدة ، وفترات زمنية طويلة ، واختلاف بيئات وأجواء مما يدل على توفيق الله تعالى وعنايته الخاصة بحفظ هذه الثروة الثمينة ، وأسوة نبيه الحبيبة ، وتعليماته وأحاديثه الكريمة ، والذي يدخل في قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ وقوله ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ ، وكان هذا المجهود نوعاً من الشكر ، وضرباً من الوفاء ، وقياماً بالواجب ، وإسهاماً في نشر هذا الطيب الأريج ، وعملاً بقول الشاعر :

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

ومما يجب الاعتراف به وتقديره أن الكتاب يدل على تتبع المؤلف الواسع لكتب التراجم والسير ، ومجهوده العلمي ، وجمعه للمواد والمعلومات التي تثير في المطالعين لهذا الكتاب ، والدارسين للحديث النبوي حتى المدرسين له الهمة والشوق للتوسع والدراسة العميقة ، والحرص الزائد على الاستيعاب والإتقان والتعمق مع سعة النظر ، وسعة النظر مع التعمق ، وإفراد العمر والمواهب لخدمة هذا الفن الشريف ونشره وتدريسه وشرحه ، وتلك مأثرة يستطيع أن يرجو عليها المؤلف الأجر من الله ، والشكر من طالبي هذا الفن ، والمشتغلين بتدريسه ونشره ، والمنعطفين إليه .

وقد أصبح هذا الكتاب ـ لما يحتوي عليه من معلومات مضيئة ، ومادة تاريخية ثرّة خصوصاً بما جاء فيه عن أساتذة الحديث وأئمته في بلاد إسلامية عربية ((خاصة اليمن)) وشبه القارة الهندية ـ موسوعة صغيرة توجد فيها مادة تاريخية غزيرة ، ومعلومات ثمينة كثيرة منتشرة في كتب التاريخ والتراجم ، ومقدمات كتب الحديث والتعريف فيها لشراح ونوابغ في علم الحديث .

www.abulhasanalinadwi.org

وأخيراً لا آخراً إن هذا البحث القيم ، وهذه الموسوعة الصغيرة ـ كما قلنا ـ كانت جديرة بأن يقدم لها أحد كبار علماء الحديث في الشرق العربي والمشتغلين بتدريسه في إحدى الجامعات والمدارس الكبيرة في البلاد العربية أو شبه القارة الهندية ـ وهم بحمد الله كثير ، بارك الله في حياتهم ونفع بهم ـ ولكن قدر الله أن تكون الكلمة المتواضعة ـ ولكن المأجورة ـ لكاتب هذه السطور الذي تبتدئ هذه السلسلة المباركة ، والقائمة الثمينة المشرفة منه، وتنتهي إلى أصحاب الصحاح المباركة المقبولة ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

٨ من ربيع الثاني ١٤١٨هـ

www.abulhasanalinadwi.org

قيمة الأمة الإسلامية
منجزاتها وواقعها المعاصر
تأليف
محمد الرابع الحسني الندوي
تقديم
سماحة الأستاذ الشيخ
أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، و الصلاة و السلام على رسول الله محمد ﷺ ،

أما بعد:

إن الأمة المسلمة ـ التي كانت حاملة لرسالات الأنبياء و خاصة رسالة سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد رسول الله ـ ﷺ ـ لم تكن رائدة و محتسبة للعالم الإنساني في كل عصر والعالم المعاصر فحسب، بل هي عنصر إنساني هام نيط به فلاح الإنسانية و استقامتها و سلامتها، بل حملت مسئولية هداية الكتلة البشرية، و ضمان بقائها على المعرفة الإلهية وحقيقة الدين الناصعة، و الحفاظ على السلام العالمي العام، و توجد لها نماذج عملية و تعاليم حكيمة مبعثرة في الكتاب و السنة و السيرة النبوية، و في حياة القادة و المصلحين و تاريخهم و تعاليمهم، وهي كثيرة لاتعد و لاتحصى، و قد كانت الحاجة ماسة إلى جمع المواد الثمينة التي يوثق بها في

www.abulhasanalinadwi.org

موضوع هذه الأمة كأمة مثالية نموذجية رائدة، و هي مبعثرة في المصادر القديمة و في مواضيع كثيرة من الكتاب و السنة و الكتب التي ألفت في حياة عظماء هذه الأمة و عباقرتها، و إبراز تلك الجوانب للحياة التي ألقيت مسئوليتها على هذه الأمة و هي مسئولة عنها عند الله و جديرة للنقد و الاحتساب في ضوء الوقائع و النتائج، و هي جوانب خلقية و اجتماعية متنوعة تحتوي على نواحي الحياة و شعبها المختلفة، كما لابد من استعراض تاريخي لما قام به المسلمون من مسئوليات و أعباء، و كم تأثرت بهم الحياة الإنسانية و المجتمع الإنساني.

و كان هذا الموضوع دقيقاً و حساساً يحتاج إلى دراسة عميقة و مطالعة واسعة و اطلاع مباشر على المصادر الأصيلة و المراجع القديمة، و إنه من دواعي السرور أن الفاضل العزيز الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي مدير دارالعلوم التابعة لندوة العلماء كتب مقالات حول هذه المواضيع التي قدمت في مؤتمرات عالمية محترمة، ثم جمعت في كتاب، و هي تحمل في طيها معلومات موقرة مفيدة، و هي عصارة تفكير عميق و نظر وسيع، تصلح أن تنفخ روح العمل و إرشاد الأمة المسلمة إلى طريق الرشد و الهداية.

تقبل الله منه هذا السعي و جزاه على هذا العمل ، ووفق القارئين أن ينتفعوا به ويستفيدوا منه، و ما ذلك على الله بعزيز.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دارة الشيخ علم الله الحسني

رائي بريلي ٧/ من شوال المكرم / ١٤١٩هـ

٢٥/ من يناير/ ١٩٩٩م

www.abulhasanalinadwi.org

أسباب سعادة المسلمين وشقائهم

في ضوء الكتاب والسنة

تأليف

العلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي

قراه وخرج أحاديثه وعلق عليه

عبد القادر الأرناؤوط

نقله إلى العربية

سعيد الأعظمي الندوي

قدم له

سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد وآله وصحبه ، الطاهرين ، الطيبين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد كثر التساؤل عن واقع المسلمين الحاضر وأسبابه ، وحارت العقول في فهمه وتعليله ، وكثر الضجيج والعويل ، مما يدهم المسلمين من مصائب وحوادث ونكبات بين حين وآخر ، والشقاء الذي قد لزمهم ولج بهم ، حتى أصبح بعض الناس يعتقدون أن بين المسلمين وبين هذه الكوارث والملمات ، وبينهم وبين الشقاء والبلاء ، نسباً قريباً ورحماً ماسةً ، وتمثل بعضهم ببيت للشاعر الإيراني المشهور بأنوري، كأنه

www.abulhasanalinadwi.org

ينشد بلسان حال المسلمين : (إن البلاء إذا نزل من السماء بدأ بالسؤال عن بيت الأنوري ومقره لينزل عليه) ، واعتقد بعض الناس أن الكوارث والنكبات إنما هي خبط عشواء ، ورمية في ظلام وعماء ، وتمثلوا ببيت زهير بن أبي سُلمى :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

ورأى بعض الناس في ذلك تناقضاً مع ما استفاض وتواتر ونطق به القرآن ، ووردت به السنة من إيثار الله لهذه الأمة على الأمم ، واختيارها لحمل كتابه ، وإعزاز دينه ، والانتساب إلى نبيه ، ـ فهي الأمة الأخيرة ، وهي الأمة المرحومة ، وهي الأمة المختارة ـ وما وعد الله لها بالنصر ، والعزة ، والغلبة على الأعداء ، وظهور الدين على الأديان كلها ، هذا وقد أصبح المسلمون ـ خصوصاً في هذا العصر ـ دريئة المصائب ، وغرض السهام ، وهدف الآلام ، وأضيع من الأيتام في مأدبة اللئام [1] .

وما نشأ هذا التساؤل المستمر ، وهذه الحيرة المدهشة إلا عن جهل لقانون المجازاة الدقيق الحكيم ، الذي اشتمل عليه القرآن وزخرت به دواوين السنة وكتب الحديث ، والغفلة عن الصلة الخفية المتينة الدائمة بين الأسباب والمسببات ، والنتائج والمقدمات ، وبين الأعمال والأخلاق والآثار ، والنتائج في حياة الأفراد وفي حياة الأمم ، وذلك علم نطقت به الكتب السماوية ، ، واختص به الكتاب الأخير ، الذي أكرم الله به محمداً ﷺ وأمته ، حتى أصبح علماً مدوناً واضح المعالم بين الملامح ، ليس فيه التباس ولا غموض ، حتى استحق بذلك أن يسمى الطب القرآني ، أوالطب النبوي ، يوازي طب الأجسام الذي توارثته الأجيال ، وتناقلته الأمم ، وتعاملت به الأطباء والحكماء ، فلكل عقيدة تأثير ، ولكل عمل نتيجة ، ولكل خلق رد فعل ، علمه من علم ، وجهله من جهل ، سعدت بعلمه أقوام ، وشقيت بجهله أقوام ، ونجت بالأخذ به أمم في سالف الدهر ، وهلكت بتركه والثورة عليه أمم حكى القرآن قصتها في وضوح وتفصيل .

وهذه الخواص والتأثيرات التي أودعها الله العقائد والأعمال والأخلاق دائمة بدوامها ، خالدة بخلودها ، كدوام الخواص والتأثيرات في الأدوية والأغذية ، والحشائش والعقاقير ، والنباتات والمعادن ، بل أشد وأقوى ، إذ هي شريعة الله وسنته في وقت واحد ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر: من الآية٤٣] .

فمن عرف هذا القانون الإلهي الخالد ، ومن اطلع على ما ورد في الأحاديث الصحيحة

---

(١) كلمة مقتبسة من خطبة طارق بن زياد في الأندلس .

www.abulhasanalinadwi.org

من خواص الأعمال والأخلاق ، وما يكافىء الله به على صالحاتها وطيباتها من جزاء وجائزة ، ورحمة وبركة ، وسلامة وعافية ، وما يعاقب الله به على الأعمال والأخلاق الفاسدة ، من عقوبات متجانسة وغير متجانسة ، وما خص بعض أنواع المعاصي والذنوب والآثام ، ببعض العقوبات والبلايا والأمراض ، وما بين هذه الأعمال والأخلاق وبين هذه العقوبات والآفات من مناسبات دقيقة ، خضع لهذه الإرادة الإلهية القاهرة ، والحكمة الربانية الباهرة ، ووقف أمامها خاشعاً ، ولم يأخذه العجب فيما يشاهده في أمته وفي عصره ، وآمن بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس : ٤٤] وبقوله تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت : من الآية٤٦] .

وأيقن أن ما يشاهده قليل من كثير ، وأن الرحمة الإلهية واللطف الرباني لا يزال مع هذه الأمة ، وأن ذلك ثمرة دعوات النبى ﷺ ، التي دعا بها لهذه الأمة أن لا يعمها الله بعذاب ، ولا يستأصل شأفتها ، ولأنها تحمل الأمانة الأخيرة والرسالة الأخيرة ، ولأنها أمل الإنسانية الأخير .

إن هذا السؤال الذي كان ؛ ولا يزال يساور النفوس الكثيرة من المسلمين ، ويجول في خواطرهم ، وقد تفيض به ألسنة الخطباء وأقلام الكتاب ، يستحق أن يستمع إليه ، ويتلقى في رفق وحكمة ، وفي وعي وفقه ، ولكن في شجاعة وصرامة ، وكان في حاجة إلى تحليل علمي، واستعراض أمين لنصوص الكتاب والسنة ، حتى يكون الجواب مقنعاً شافياً لكل من يؤمن بالكتاب والسنة ، ويخضع لأحكامها ؛ ولا يقدر على ذلك إلا من اتسع نظره في دواوين السنة ، وطال اشتغاله بها دراسة وتدريساً وشرحاً وإيضاحاً ، وتأملاً وتعمقاً ، وتضلع من علوم الكتاب والسنة ، وتذوقها تذوقاً ، فأصبحت له علماً ونظراً ، وعملاً وعقيدة .

وقد قيض الله لشيخنا المحدث الكبير العلامة محمد زكريا الكاندهلوي، صاحب (أوجز المسالك) و(لامع الدرارى) من يوجه هذا السؤال ، ويطلب منه الجواب العلمى الشافي، في ضمن أسئلة وجهها إليه ، تدور حول واقع المسلمين ، واختلافهم في سياسة البلاد ، وتنازعهم في بعض الشخصيات ، فبدأ يكتب في هذا الموضوع ، ويجيب عن هذه الأسئلة واحداً بعد واحد ، حتى أصبح ما كتبه كتاباً مفرداً سماه (الاعتدال في مراتب الرجال) نشره لما اشتمل من فوائد كثيرة ، ولما جاء فيه من مادة غزيرة تهم المسلمين جميعاً ، وقد نال هذا الكتاب قبولاً عظيماً كسائر كتبه ، وأعيد طبعه

www.abulhasanalinadwi.org

مراراً في عدد ضخم ، ونال حظوة كبيرة عند رائدي الحق والصواب ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: من الآية ١٨] .

وإن من أهم فصول هذا الكتاب ما يدور حول هذا السؤال والجواب عنه ، وهو التفكير الذي قد أصبح الشغل الشاغل فى الأوساط الدينية والشعبية ، ولعل ما جاء في هذا الكتاب في هذا الموضوع هو أوسع بحث ، وقد جاء فيه من الاستشهاد بالآيات والأحاديث ما لم نجده في مقال آخر ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف: من الآية٨١].

وجزى الله زميلنا العزيز الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي، أستاذ دار العلوم لندوة العلماء ، ومنشىء مجلة (البعث الإسلامى) إذ نقله هو إلى العربية بقلمه البليغ السيال ، فأحسن إلى المسلمين جميعاً ، وأضاف إلى المكتبة الإسلامية كتاباً له قيمته الدينية التربوية ، ينتفع به المسلمون عامة ، وتنتفع به حلقات التعليم ، وجماعات التبليغ بصفة خاصة .

تقبل الله تعالى سعي المؤلف ، وجزاه أحسن الجزاء .

أبوالحسن علي الحسني الندوي
ندوة العلماء لكهنو ـ الهند ـ

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام الممتحن

تأليف

محمد الحسني

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي بالهند

تقديم المفكر الإسلامي الكبير

السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على رسول الله ﷺ .

أما بعد ، فقد بقيت فترة من الزمن ، أتهيب تقديم هذه المجموعة من مقالات ابن أخي محمد الحسني ، التي أسماها " الإسلام الممتحن" ، وما كان تقديم الكتب والمؤلفات لمشاهير الكتاب والمغمورين منهم ، بدعا من الأمر ، بالنسبة إلي، حتى خفت أن يطغى التقديم على التأليف ، وأتهم بالتوسع والسخاء في تقديم الكتب وتصديرها . وما ذلك إلا لأن الصلة بيني وبين صاحب هذا الكتاب صلة الأب بالابن والأستاذ بالتلميذ ، وكنت أشعر ـ وأنا أحدث نفسي بكتابة هذا التقديم ـ بأني أقدم لكتاب من كتبي ، وأتورط بذلك أحيانا في الاعتراف لنفسي بالاجادة والتوفيق والتهنئة والتقريظ ، وذلك مما لم تستحسنه الشرائع ، وعلم الأخلاق ، والآداب السليمة، وتحاشيت عنه بقدر الإمكان .

ثم حاسبت نفسي على هذا الشعور ، محاسبة أمينة محايدة ، وحللته تحليلا نفسيا ، فوجدت أن نصيب العاطفة فيه أكبر من نصيب العقل ، والخوف من قالة الناس وحديثهم قد غذى هذا الشعور ، وأفاض عليه لونا خلقيا ، ورأيت أنني إذا استسلمت لهذا

الشعور، فقد فرطت في تأدية أمانة والقيام بشهادة ، والشهادة للأقربين ليست أقل وجوبا من الشهادة على الأقربين ، فإن الله تعالى حين يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: من الآية١٣٥] فإنه يقول كذلك : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨] .

ثم إن قصة البيئة التي نشأ فيها الكاتب ، والعوامل التي كونت هذه العقلية التي صدرت عنها هذه الفكرة ، والدوافع التي دفعته إلى كتابة هذه المقالات ، والتركيب النفسي والمزيج الثقافي الحضاري الذي ورثه عن آبائه ، وتلقاه من مجتمعه ، والأحداث الجسيمة الأليمة التي وقعت في الوطن الإسلامي الكبير ، فعاصرها وعاشها، واكتوى بنارها ، وساهم في عارها ، لا يحسن حكايتها إلا من شهد فصولها، وخاض معركتها وساير ركبها، وقد كان في بعض الأحيان شاهد عيان ، والسابق إلى الميدان .

إن صاحب هذه المجموعة نشأ في بيئة آمنت بأن الإسلام هو رسالة الله الأخيرة الخالدة، وأنها هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال ، والسعادة التي ليس وراءها إلا الشقاوة ، وأنه للإنسانية كسفينة نوح ، لا ينجو إلا من ركبها وآوى إليها ، وأن نهاية كل من استغنى عنها واعتصم بجبل ، نهاية ولده الشارد المارد الذي قال ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ وكان جواب نوح ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وكان عاقبته أن حال بينهما الموج فكان من المغرقين .

وآمنت بأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي العربي - ﷺ - خاتم الرسل ، وإمام الكل ومنير السبل ، لكل عصر ولكل جيل ، وأن الله قد ربط مصير العرب بمصير الإسلام ، وعقد ناصيتهم به ، فلا عز لهم ولا سعادة ، ولا نهوض لهم ولا قيادة ، إلا بالانضواء إلى رايته والانصهار في بوتقة تعاليمه ، والتفاني في سبيله ، وأن أعدى عدو لهم من ينادي بالجاهلية ، ويهتف بالقومية والعنصرية ، أو الوطنية والاشتراكية ، أو فلسفة من الفلسفات الملحدة ، فيحاول أن يحول بينهم وبين الإسلام .

وآمنت بأن الإسلام وحدة لا تتجزأ ، ومنهج للحياة كامل شامل ، وأنه عقيدة وأخلاق ، وسياسة وعلم ، وعقل وعاطفة ، وحضارة وثقافة ، وله موازينه الخاصة ، وقيمه المعينة ، ومقاديره المحدودة ، ومقاييسه المعروفة ، ولا يحتاج إلى تلفيق أو تطعيم ، أو مساومة أو تنازل .

www.abulhasanalinadwi.org

إنه قد عاش في ظلال تاريخ الدعوة الإسلامية ، وقصة بطولاتها ومعجزاتها وصنائعها وعجائبها . تتلى في بيته وأسرته الملاحم الإسلامية التي نظمها بعض أفراد أسرته المتقدمين في الشعر الأردي القوي المثير مقتبسة من فتوح الشام للواقدي والأغاني الشعرية الخاصة بالسيرة النبوية وأخبار الصحابة وفضل الحضارة الإسلامية ودور العرب في بناء العالم الجديد . وإنقاذ الإنسانية من أعدائها . فامتزج كله بلحمه ودمه ، وتكونت به عقليته ونفسيته . وأحب الرسول وأصحابه والعرب حبا لا يمكن تجريده منه في مرحلة من مراحل الثقافة ، وفي فترة من فترات الحياة ، وفي بيئة من البيئات . وأصبح هذا الحب ، وهذه العاطفة ، تلهب شعوره ، وتدفق قريحته ، وتجري قلمه ، وأصبحت له مصدر الإلهام ومنبع الإيمان والحنان .

إنه ولد في أسرة كان شعارها منذ زمن طويل ، الجمع بين العقيدة السلفية النقية وبين الربانية الصحيحة الصافية ، وبين الزهادة والعبادة ، وبين بذل الجهد لإعلاء كلمة الله ورفع راية الجهاد حينا بعد حين والسعي الحثيث في الجمع بين إشراق القلب وصفاء الروح وقوة العاطفة ، وبين التفنن في العلوم والذوق الأصيل للأدب والشعر . وأورث كل ذلك من تراث وتاريخ ودم وعرق تقديره لإكسير الحب وقوة العاطفة ، وسلم بذلك من الجفاف الروحي والاستخفاف بالعاطفة والحاجة إلى تزكية النفس والشحنة الإيمانية الروحية ، الاستخفاف الذي أصبح شعار الكتاب والدعاة في عصره ، الذين نشأوا بعيدين عن هذه البيئة الجامعة والتربية المزدوجة .

إنه نشأ و ترعرع في عصر غني بشعر إقبال، و كانت له فيه دولة وصولة ، و هو شعر الحب و الطموح، و شعر الإيمان و الحنان، و شعر الثقة بصلاحية الإسلام، و الإيمان بخلوده، فأساغه عقله المتفتح و ذوقه الناشئ، و جعله جزءا من أجزاء ثقافته و أساسا من أسس تفكيره .

إنه نشأ في حجر والد مؤمن جمع بين سلامة العقيدة و قوة الإيمان و القلب المتفتح و العقل النير الواسع، و العلم الحديث الأحدث و حب الواقعية و الجد ، لايرى تناقضا بين العلم والدين و القديم والحديث ، وقد اقتبس من الثقافتين : القديمة و الحديثة والغربية و الشرقية، أفضل عناصرهما و أجملها، فمزج بينها مزجا جميلا ، فأصبح برزخا بين بحرين لا يبغيان، شديد الحب لله و رسوله ولعشيرته و قومه و للغته و بلاده، شديد البغض شديد البراءة عن كل ما يخالف الدين الحنيف من عقائد و أعمال و فلسفات واتجاهات، عميق الفهم للإسلام، ووثيق الصلة بمنابعه الأصيلة الصافية ،

شديد الغيرة على الإسلام ، عظيم الحب لمركزه و مقدساته، متقشفا في الحياة الفردية، متوسعا في فهم القضايا العلمية و الإسلامية، شديدا في الحدود و النصوص، مرنا في المباحات والاستفادة بالحكمة و التجارب.

ذلكم أخي و أستاذي و مربي و عقلي و ثقافتي، ذلكم والد هذا الكاتب العزيز الدكتور عبد العلي بن العلامة عبد الحي الحسني.

نشأ هذا الشاب تحت ظلال هذه التربية و في حجر هذه البيئة ، ثم لما عقل و ثقف و عاصر الأحداث، فتح عينيه على مجتمع إسلامي حائر بين الإسلام و الجاهلية و الدين و العلمانية، قادة الفكر فيه مذبذبون و أولياء الأمور فيه مضطربون ، و أكثرهم منافقون، يتخذون الدين حيلة و وسيلة للوصول إلى أغراضهم ، و الهتاف بالإسلام سلما للوصول إلى كراسي الحكم، و قنطرة للعبور إلى شاطئ السيادة و القيادة و الركوب على أعناق الشعوب المسلمة الساذجة التي لاتفهم إلا لغة القرآن و الحب و الحنان، و لاتتحرك ولاتتحمس إلا بحكايات الصحابة و أبطال الإسلام و فضائل الجهاد و الشهادة.

إنه أحب اللغة العربية من صباه ، و حب الصبا شديد ، و أحب أبناءها و كل ما يمت إليها بصلة ، و كان يتمثل العرب في قصص الرعيل الأول للإسلام و طليعة الدعاة و المجاهدين ، الذين سمع حكايات بطولاتهم و فدائهم في قصائد الملحمة الإسلامية ، فآمن بأنهم لا يزالون سائرين على دربهم، لا يعدلون بمحمد - ﷺ - إنسانا و قائدا وإماما و لا يعدلون بالإسلام دينا و منهجا و بالقومية الإسلامية قومية . فلما صار يعي و يشدو، ويقرأ و يكتب ، فتح عينيه على كتابات للعرب، لو كتبت تحتها أسماء الكتاب الأوربيين و المؤلفين المستشرقين و الدعاة المنحرفين لم يكن بعيدا، و لما كان بين هذه الكتابات و بين شهرة هؤلاء الكتاب و دعوتهم فجوة و منافاة، رأى أن كثيرا من هؤلاء الكتاب العرب ينظرون إلى الإسلام كدين أدى دوره و بطارية قد نفدت شحنتها، فليس من العقل و الكياسة التشبث به و الدعوة إليه، و مواجهة الواقع و العصر الراقي بحلوله و أحكامه، و خيرهم من ينظر إلى الإسلام كدين من الأديان الكثيرة و منهج للحياة من مناهجها المتنوعة، و خير أحواله أن يسمح له بالبقاء في دائرة ضيقة محدودة و في حياة فردية سليمة.

وكان كل ذلك مفاجأة أليمة لم يكن يتوقعها بل لم يكن يتصورها في بيئته التي صورت له الإسلام كدين حي خالد، خليق به ليقود و يسود، و العرب كرائد أول و قائد أفضل لهذه الدعوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها و كانت صدمة عنيفة لعقله و قلبه.

www.abulhasanalinadwi.org

ثم جاءت الفترة الحالكة التي هبت فيها عاصفة القومية العربية الهوجاء في الخمسينات الأولى ،و قع أكثر أبناء العرب و شبابهم و كثير من كهولهم و علمائهم تحت تأثير قيادة ترى التخلص من أثر الإسلام في النفوس و العقول و الحياة الاجتماعية و السياسية أهم و أقدم من محاربة الصهيونية و استعادة المقدسات الإسلامية، و ترى إزالة هذه الأنقاض أو الركام ـ على حد تعبيرها ـ شرطا لبناء المجتمع الجديد، و إزالة آثار العدوان الأجنبي، و تحل القومية العربية و الاشتراكية العلمية محل العقيدة الإسلامية و الدعوة الإسلامية، لها كل ما للدين من إيمان و حماس، و عصبية و حمية، و تعتمد على الهتافات والدعايات، والدعاوي الفارغة، ما لا تعتمد على السلاح و القوة الحربية و الروح المعنوية و الإيمان الراسخ ، وكانت فتنة عمياء ، أعمت و أصمت و سحرت العقول و النفوس، و قلبت الحقائق،و أنكرت البديهيات. و كانت موجة عارمة في الشرق العربي، اكتسحت الصحافة و الأدب و دور العلم و مراكز النشر، و ما صمد في وجهها إلا أفراد قلائل يعدون على رؤوس الأصابع. و كانت مجابهتها و نقدها العلمي مثل "كلمة حق عند سلطان جائر" فقد تجاوب معها الشباب المتحمس الطموح، و الصحافة القوية التي سميت في الغرب بـ" صاحبة الجلالة".

في كل هذه الظروف و الملابسات الدقيقة المثيرة و في هذه البيئة الحساسة المكهربة، أمسك الكاتب الناشئ صاحب هذه المجموعة الذي كان لايزال في شرخ الشباب قلمه ليخط مقالات افتتاحية لمجلة "البعث الإسلامي" التي كان يرأس تحريرها على حداثة سنه، ليعبر عن شعوره الجريح الفياض، و قلبه المكلوم المتألم، و يدافع عن الفكرة الإسلامية التي آمن بها و احتضنها ، و أحبها و يذكر العرب بصفة خاصة برسالتهم و بتاريخهم و بمركزهم في العالم، و ميزاتهم بين الأمم ، و بالدور الذي يستطيع الإسلام أن يمثله في هذه المعركة الحامية، و الساعة الدقيقة الحاسمة ، والدور الذي يجب أن يمثله العرب، على المسرح العالمي الذي أصبح مركزا للمسرحيات الهازلة و التمثيلات السخيفة، و كانت الأمم و البلاد كرة دائرة و دمى متحركة فيها ، لا تملك إرادة، و يذكر المسلمين برسالة الإسلام الأصيلة الخالدة و فضلها و قيمتها و العناصر التي تركبت منها ، و حاجة الإنسانية إليها و ينقل إليهم همساتها و دقات قلبها ، حين تراهم قد تخلوا عن مركزهم في القيادة و جروا وراء القيادات الزائفة، و تطفلوا على مائدتها ، ويدعو إلى الإسلام الكامل الذي يعطي كل ذي حق حقه، و ينير العقول ، ويشعل مجامر القلوب، ويهذب الأخلاق، و ينظم الحياة ، و يضبط الأمم، و يقود

المدنية ، و يشعل المواهب، و ينشئ الرجال، و يربي القادة و العباقرة، لا هو جاف خشيب، و لا هو رقيق مائع، و لا هو رهبانية و هجر للدنيا ، و لاهو مادية و نهامة للحياة، إنما هو الدين الذي جاء به محمد ـ ﷺ ـ و نطق به القرآن ، و تمثل في حياة الصحابة، و القرون المشهود لها بالخير، و التابعين لهم بإحسان، من الجامعين بين العقل والقلب، والعقيدة و العمل، و الجهاد و الربانية.

و كان متأثرا في كل ذلك بطبيعة الحال بالبيئة التي نشأ فيها ، و دعوة المجدد الكبير و المجاهد العظيم السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الذي كان من سلفه و عظماء أسرته في الماضي القريب،[١] و بفكرة " الإخوان المسلمون" و رائدهم الإمام الشهيد حسن البنا الذي تعرف به و أحبه عن طريق عمه كاتب هذه السطور ، الذي كانت له صلات و ثيقة بأصحاب هذه الدعوة و زملاء الفقيد الشهيد و تلاميذه النجباء، فتجلى تأثير كل هذه العوامل القوية و الدراسات العصرية و مطالعة الكتابات الإسلامية التي أنتجتها هاتان الحركتان القويتان، في المقالات التي كتبها بين آونة و أخرى، و تتكون بها هذه المجموعة.

و أحدثت هذه الجوانب المتناقضة ـ جانب تربيته و دراسته الإسلامية و جانب الواقع المرير و المشاهد القاسي ـ صراعا في نفسه حول قلمه إلى شلال يتدفق بقوة ، وينحدر بقوة، فصدرت هذه المقالات ، في أسلوب قوي ملتهب، هو نتيجة كل صراع نفسي، رافقته قدرة بيانية، و قلم سيال رشيق، و ثروة لغوية ، و هذا الأسلوب له قيمة في إيقاظ الشعور و في تحريك النفوس و العقول، و محاربة "مركب النقص" و إعادة الثقة بصلاحية الرسالة و الأمة و الاعتزاز بالقيم و المفاهيم ، خصوصا إذا كان مدعما بالدلائل و الوثائق، و مسلحا بالشواهد و التجارب، وهي طليعة كل إصلاح و انقلاب، و رائد كل نهضة و تقدم، وهو الأسلوب الذي استعان به الخطباء و الكتاب في العصر الإسلامي الأول و استعان به السيد جمال الدين الأفغاني و صاحبه الشيخ محمد عبده في مقالات "العروة الوثقى" التي أشعلت العالم الإسلامي حماسة و حمية و حملت الحكومات الغربية الاستعمارية على منع دخولها ، في الأقطار التي كانت تحكمها، و لعبت دورا لا يستهان بقيمته في إيقاظ الشعور الإسلامي و إيجاد الوعي السياسي.

مع هذه السمة البارزة لهذه المقالات فإنها تدعو إلى التأمل العميق ، و تغذي

(١) ليراجع للتفصيل كتاب " إذا هبت ريح الإيمان" لكاتب هذه السطور ، طبع دار الرسالة، بيروت.

www.abulhasanalinadwi.org

الفكرة، وتفتح آفاقا جديدة للفكر الإسلامي ، و تزود العاملين في مجال الدعوة و الفكرة الإسلامية ببعض معلومات جديدة ، ووثائق و حقائق عن الحضارة الغربية، و الفلسفات المادية، و مدى إفلاس الغرب و احتياره و سآمته و خوائه الروحي ، و ما يعانيه من أزمات و عقد و مشكلات ، فإن الكاتب يعيش في بلد قد اكتوى بنار الغرب، و خاض المعركة السياسية التي قامت و حميت في شبه القارة الهندية، ثم خرج منها الشعب المسلم محتفظا بجزء كثير من شخصيته ، معتزا بحضارته و قيمه، خبيرا بمواضع الضعف في الغرب و مساويه، و قصة فشله و إخفاقه، في حل القضايا المعاصرة، فأكسبه كل ذلك ثقة بدعوته، و قوة في كتاباته ، و قيمة لما يقول و يدعو إليه.

في ضوء هذه البيئة و التربية و الأحداث و التجارب، و الميول و العواطف، و الأهداف و المثل، و صدق النية و حسن القصد، ينبغي أن تقرأ هذه المقالات التي كتبت في أوقات شتى تحت عناوين مختلفة تجمع بينها وحدة هي وحدة "منهج الفكر الإسلامي السليم" و الدعوة إلى الحق و إلى الصراط المستقيم.

أبو الحسن الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

المنهج الإسلامي السليم

تاليف

السيد محمد الحسني

تقديم

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فقد كان مما قدّر الله وقضى ـ ولا راد لقضائه وليس لنا إلا أن نرضى بما حكم وقدر ـ أن أقدم كتابات العزيز محمد الحسني عليه رحمة الله ، وهو بمثابة ابني، وفلذة كبدي، وقد نشأ تحت سمعي وبصري، وذلك بعد وفاته، وكانت القرائن والآثار تدل على أنه سيقدم كتاباتي ويعلق عليها ويعنى بنشر آثاري، ويسجل حوادث حياتي ويؤرخها، كما جرت العادة وشهدت المقاييس الظاهرة بدور الأبناء في تخليد آثار آبائهم وعمومتهم وأساتذتهم ومربيهم، وقد كان من أقرب أبناء البيت وأحبهم إليّ، وألصقهم بي، وأعرفهم بشئوني وأخباري.

ولكن كانت القضية بالعكس ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فقد مات في ريعان شبابه، وقوسه موترة، وفرسه مسرجة في حلبة الكتابة ومضمار العمل الإسلامي، فاضطررت إلى أن أقدم كتابه «تناقض تحار فيه العيون وتطابق يسر به المؤمنون» وذلك على إثر وفاته في ١٧/ من رجب سنة ١٣٩٩هـ، والكتاب من أقوى ما دبّجه يراعه، وأكثره صراحة ووضوحاً، ثم قدر لي أن أقدم له كتابا

www.abulhasanalinadwi.org

ثانياً، وهو مجموع مقالات وأبحاث، أسماه «العالم الإسلامي بين التبعية والذاتية» وأن أكتب حياته في سطور، وهأنذا أكتب تقديماً لمجموعة مقالات أخرى ظهرت في أعداد مختلفة لمجلة «البعث الإسلامي» التي كان يرأس تحريرها، تجمع فيها وحدة فكرة مبدئية، وشعور نفسي عميق، ودراسة شاملة أمينة لواقع الأمة الإسلامية، وجماعاتها ومدارسها الفكرية، ومناهجها العملية، وما أوحى هذا الواقع وأملاه على صاحب هذه المقالات، من إبداء مشاعر نحو هذا الواقع، وملاحظات وآراء لتوجيهها توجيها سليما هادفا، تتفق مع طبيعة الإسلام، البعيدة عن شوائب الانحراف والتحريف، والخضوع لعوامل طارئة، وفلسفات دخيلة وتأثيرات أجنبية، يمكن أن نسمي هذه المجموعة بـ«المنهج الإسلامي السليم».

لقد قلت في تقديم كتابه الأول «الإسلام الممتحن» الذي كان له دوي وصدى في الأوساط الإسلامية الدعوية والفكرية، بعد ما ذكرت الظروف والملابسات الدقيقة والأحداث المتناقضة، المثيرة التي عاشها وعاصرها.

«أحدثت هذه الجوانب المتناقضة ـ جانب تربيته ودارسته الإسلامية، وجانب الواقع المرير المشاهد القاسي ـ صراعا في نفسه، حوّل قلمه إلى شلال يتدفق بقوة، وينحدر بقوة، فصدرت هذه المقالات، في أسلوب قوي ملتهب، هو نتيجة كل صراع نفسي، رافقته قدرة بيانية، وقلم سيال رشيق، وثروة لغوية، وهذا الأسلوب له قيمة في إيقاظ الشعور، وفي تحريك النفوس والعقول، ومحاربة مركب النقص وإعادة الثقة بصلاحية الرسالة والأمة، والاعتزاز بالقيم والمفاهيم، خصوصا إذا كان مدعما بالدلائل والوثائق، ومسلحا بالشواهد والتجارب، وهي طليعة كل إصلاح وانقلاب، ورائد كل نهضة وتقدم»[١].

وقد عاش صاحب هذه المقالات بعد ذلك فترة قصيرة، فترة أربع سنوات لم يفتر فيها عن مطالعة وتأمل، وكتابة وتحرير، وقد كان يطوي هذه الفترة القصيرة ـ فترة مليئة بالأحداث، مثيرة للتفكير، محركة للقريحة ـ مسافة أعوام في شهور، ومسافة شهر في أسابيع وأيام، تزداد دراسته عمقا، وعقله نضجا، وآراؤه حصافة، تجلى هذا التقدم في النضج، والاختمار في الآراء والدراسات، في ما فاض به قلمه في مقالات تجمعها هذه المجموعة الصغيرة، وأنا نعرض هنا بعض نماذج تدل على سداد رأيه ومتانة استنتاجه، وإصابته المحز، وضربه على الوتر الحساس، وتصويره البارع للحقيقة والواقع، يقول في

(١) تقديم كتاب الإسلام الممتحن ص ١٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

مقالة عنوانها «جيلنا الجديد في حاجة إلى إيمان جديد» .

أما إذا اعتقدنا أننا نستطيع محاربة الغرب بتعليمه وثقافته أو نستطيع أن نحاربه ـ في تعبير أصح وأفصح ـ بمخالفات فلسفته وفتات أفكاره فذلك وهم وخيال، وضرب من المحال، إننا لا نستطيع أن نهجم على حضارة الغرب ونقاوم غزوه الفكري وننتصر عليه بإذن الله، إلا بالإيمان الذي أفلس فيه الغرب إفلاسا شائنا، ذلك هو السلاح الوحيد، السلاح الأكيد، السلاح المضمون الذي نستطيع به تصحيح التاريخ، وتغيير اتجاه الإنسانية، وتحويل قيادة من أيد خائنة أثيمة، إلى أيد مؤمنة بريئة، أحسنت قيادتها في أحط الأدوار وأقسى الظروف، وأرست سفينتها المتلاطمة بين الأمواج الثائرة والرياح العاتية على بر الأمان .

إننا لم نفرق بين الفلسفات والآلات، ولم نميز بين الوسائط والغايات، ولم نميز بين العلوم الطبيعية التي ظهر فيها العلم مجردا عن النزعات والعقيدة، وبين العلوم العمرانية والفلسفات الاجتماعية التي سيطرت عليها نزعة الغرب المادية، بل كان نصيبنا من ثقافته وأفكاره أكثر من نصيبنا من علمه وصناعاته.

فإذا شئنا أن نتحرر من عبودية الغرب الفكرية وتبعيته الثقافية فعلينا أن نستعرض مناهجنا التعليمية والتربوية استعراضا جديدا، ونصوغها صوغا جديدا يعيد إلى جيلنا الجديد، إيمانه المفقود بالله وثقته الضائعة بوعده ونصره، وبرسالته وشخصيته، ويجعله عونا على الحق، حربا على الباطل، مؤمنا بالله، كافرا بكل ما عداه، مستخفا بمظاهر المال والثراء، والرعب والجاه، وحينئذ يدرك نظامنا التعليمي والتربوي غايته ويحقق هدفه، وينشأ الجيل الإسلامي الجديد الذي ليس حاجة البلاد الإسلامية فحسب بل حاجة الإنسانية كلها .

ويقول في مقال عنوانه «فقه وإيمان» .

«إنه لابد للدعوة من إيمان راسخ قوى بالله والصلة به صلة دائمة، صلة الحب والخوف، صلة الدعاء والتضرع، صلة الشكر والرجاء، صلة التوكل واليقين، صلة تجعل الإنسان يلتذ بأدنى نعمة يجدها، ويخشى من أدنى سخط يشعر به، ويستحضر مهانته وضآلته أمام عظمته وكبريائه، ويرى نفسه عبدا بائسا مسكينا لله سبحانه، ويدعوه دعاء من خضعت له رقبته، وفاضت عبرته، وذل جسمه ورغم له أنفه» .

الدعوة الإسلامية ليست أفكارا ونظريات فحسب بل إنها تكيف الحياة على المنهاج

www.abulhasanalinadwi.org

النبوي، تكييفها بحرارة الحب الإلهي والصلة به، التفاني في سبيله، والجهاد لإعلاء كلمته بالمهج والأرواح.

إن هذا الإيمان يكيف أخلاق الإنسان وسلوكه وتفكيره، ويؤثر فيه تأثراً مدهشا حتى إن كل نظرة من نظراته وكل كلمة من كلماته لا تصدر إلا عن إخلاص عميق، يشهد به كل من يجالسه، حتى إن إشراق وجهه ينم عن قلب كبير تجرد عن ما سوى الله، مجالسه تذكر الآخرة، وأحاديثه تقوى الوازع الديني، وكلماته العادية تنشئ في قلب الإنسان رغبةً عن الدنيا وإقبالا إلى الآخرة.

إن هذا الإيمان هو حاجة كل إنسان لأنه المستوى المطلوب عند الله بل هو الشيء الوحيد المقصود عنده، إن نقصان هذا الإيمان لا يعوض، وفراغه لا يملأ بأصالة الذوق الأدبي، والبراعة الفنية، والأساليب الأدبية ولا بالاطلاع الواسع، والخبرة الواسعة، ولا بالنظم الدقيق، والذكاء الخارق، إنه شيء فوق هذا كله، ولا يجبر نقصانه ولا يملأ فراغه إلا بالإيمان نفسه والبحث عنه بجد واجتهاد، والحصول عليه مهما كلف ذلك من مشقة وعناء ومخالفة النفس والهوى.

ويقول في مقال عنوانه «دور العاطفة والحب» :

من أجل الوصول إلى هذه الأهداف لا بد أن يكون في كل بلد إسلامي عصبة موفقة «كشافه» تنشر الوعي، وتبعث الإيمان، وتجند القوى، وتكون مركز اتصال ونقطة انطلاق، وتستكشف الأفراد الذين يحملون هذه الفكرة ويقدرون أهميتها وقيمتها، وتجمعهم في سلك واحد ثم تربيهم على هذه المعاني، ويرسخ فيهم هذا الإيمان، وتغذي القلب والعاطفة بجانب الشعور والوعي، العاطفة التي تزيد من قوة الشعور وتخفف من عبء «العقل» وآلام الطريق، وترفع عن الأفكار الهدامة والفلسفات السامة، العاطفة التي تقوم على أساس السنة النبوية، والشريعة الإسلامية، وتعيش في سياج منيع حدودها وخطوطها المحددة المعلومة، هذا الاجتماع بين العاطفة والمبدأ، والقلب والعقل، والشعور والوجدان، حاجة جيلنا الجديد، وفراغ أساسي هائل لا يملأ إلا بهذا الاجتماع المتزن العادل.

ويقول في مقال عنوانه «الغرب المتكبر والشرق المتنكر» :

«من لم يجعل الله له نورا فما له من نور» .

إنه نتيجة الاستغناء عن نور النبوة وهداية السماء، إنه نتيجة الحقد الذي يغلي به

www.abulhasanalinadwi.org

صدور الصليبيين الجدد في الغرب على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونبوته الأخيرة الخالدة، وعلى كتاب الله المقدس الأخير، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ .

إن المسيحية والصليبية لا تزالان تشكلان خطرا على الإسلام والمسلمين، وتضمران الحقد لهما، وتدبران المكر عليهما، وهما صورتان لحقيقة واحدة، حقيقة الكبر والحقد، والتمويه والتضليل، والفساد في الأرض، وجناحان لمعسكر واحد، معسكر الكفر والضلال أو بتعبير أدق وأفصح، معسكر المسيح الدجال.

فما لنا نحن المسلمين في الشرق نرقص على نغمات هذه الصليبية الحاقدة، ونتجاوب مع أصدائها ونسبح بحمدها، ونتفانى في حبها، ولا تمنعنا الذلة والإهانة التي لقيناها من معسكر أو كتلة أن نجرب حظنا في معسكر آخر، أو كتلة أخرى، ونستبدل بعد عشر سنوات أو عشرين سنة سيدا قديما بسيد جديد، واستعمارا قديما باستعمار جديد، العبيد هم العبيد، لا تغيير ولا تبديل.

وجيلنا الناشيء الجديد في حاجة إلى مثل هذه الكتابات القوية الأصلية في الفكر لإعادة الثقة إلى نفسه بالعودة إلى دينه، وكتابه الخالد، وتعاليمه القائدة للأجيال البشرية على اختلاف الأزمنة والأمكنة، وإعداد قيادة الركب البشري والحسبة على العالم وتحمل مسئولية الوصاية على البشرية، والاعتزاز بالدين، والقيم والمثل التي دعا إليها، وباعتبار نبي الإنسانية الأخير الخالد «خاتم الرسل ومنير السبل وإمام الكل».

وهذا الكتاب الجديد يضيف إلى هذه المكتبة الإسلامية التي هي حاجة هذا الجيل المؤمن الواعي، كتابا جديدا له قيمته ومكانته، ويضيف إلى مكتبة الدعوة الإسلامية في الهند التي كان صاحب هذه المقالات محمد الحسني ركنا من أركانها الذي كان له دور كبير فعال في تكوينها وإثرائها كتابا رابعا[١]، أرجو أن ينال مكانته في المكتبة الإسلامية الدعوية العربية العالمية.

رحم الله صاحب هذه المجموعة جزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين والدعاة المخلصين، والكتاب الإسلاميين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

(١) بقي له كتابان: «مصر تتنفس»، «إلى القيادة العالمية» للطبع .

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الثامن

مقدمات

الشيخ لأحب كتبه

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الدكتور محمد إجتباء الندوي حفظه الله في كتابه «أبو الحسن علي الحسني الندوي» الداعية الحكيم والمربي الجليل:

ذهبتُ إليه قبيل شهر رمضان، فرحب بي، وبدأ يتحدث كعادته كلما أجلس عنده، عن دمشق وعن الشهور الثلاثة التي قضاها فيها أستاذاً زائراً في جامعة دمشق لإلقاء محاضراته عن (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) وقال: إنها من أحلى الأيام في حياتي، ودعا لها ولأهلها بالخير والأمن والسلام والوئام.

وسألته عن أحبّ مؤلفاته فقال: النبوة والأنبياء، والسيرة النبوية، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ؟ والأركان الأربعة، والطريق إلى المدينة[1].

وها أنا اخترت للقراء مقدمات هذه الكتب، وقد استأثرتها من بين سائر كتبه، باعتبارها أحب كتبه إليه كما نقل عنه، ولا شك أن هذه الميزة قد أضفت على تلك الكتب ما قد لا نجده في كتبه الأخرى، فقد أفرغ فيها الشيخ ثمرة حبه هذا الذي أضمره لها في قلبه.

وحرصاً مني على الاستفادة من تلك الثمرة، عمدت إلى مقدمات هذه الكتب فأفردتها في قسم خاص من هذا العمل، وإليك فيما يلي بيانها .

(١) أبو الحسن علي الحسني الندوي. الداعية الحكيم والمربي الجليل. ص: ٧٢ ـ ٧٣ تأليف الدكتور محمد اجتباء الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

تاليف

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

قصة كتاب

يحكيها مؤلفه

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على رسوله الأمين ، و على آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فلعل كثيرا من القراء الفضلاء لا يعلمون أن هذا الكتاب كان باكورة مؤلفاتي، وكان بداية تاريخ التأليف، و قد ألفت هذا الكتاب و أنا قد جاوزت الثلاثين من عمري تقريبا[(١)]، و كان أضخم من أن يتناوله مثلي في هذه السن المبكرة ، و في بلد بعيد عن مركز اللغة العربية و آدابها و ثقافتها، و قد ولدت في الهند و نشأت و تعلمت فيها، و لم يقدر لي أي سفر خارج الهند، و كانت الرحلة الأولى المباركة التي و فقني الله لها هي الرحلة التي قمت بها لأداء فريضة الحج سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م)، يعني بعد تأليف هذا الكتاب بثلاث سنوات، فكانت في الحقيقة مغامرة علمية لم أكن متهيأ و لا مرشحا لها، و كان من الجسارة أن أتناول هذا الموضوع الذي كان جديرا بقلم أكبر من قلمي، و بعقل أو سع من عقلي ، و بتجربة أطول و أوسع من تجربتي كمؤلف، و لكن الله يفعل ما يشاء.

لقد كنت أشعر برغبة غامضة ملحة لم أستطع أن أغالبها، كأن سائقا يسوقني إلى

(١) كان تأليفه بين سنة ١٣٦٣هـ ١٣٦٤هـ و ١٩٤٤م ـ ١٩٤٥م .

www.abulhasanalinadwi.org

الكتابة في هذا الموضوع، و لو استشرت العقل واعتمدت على تجارب المؤلفين، و على مقاديرهم و مكانتهم العلمية لأحجمت و لعدلت عن هذه الفكرة، و لو ذكرت ذلك لأحد من العقلاء العلماء و الكتاب الفضلاء لأشاروا علي بالعدول عن خوض هذه المعركة العلمية العقلية، و لكنه كان من الخير أنني لم أستشر أحدا، كما يقول الدكتور محمد إقبال: " ليس من الخير أن تستشير عقلك دائما، فنحِّ عقلك جانبا في بعض الأمور، فإن العقل يصور لك الخوف في معارك خطيرة، ويشير عليك الابتعاد عن مثل هذه التجارب المريرة".

و كانت المراجع العربية التي كان لابد من أن أستشيرها في هذا الموضوع قليلة، لأن ذلك العهد كان قريبا بالحرب العالمية الثانية، و كانت الصلات تكاد تكون منقطعة بين الهند و البلاد العربية، فكانت الهند تستورد قليلا من البضاعة العلمية و المراجع التاريخية و الثقافة باللغة العربية، التي كانت تزخر بها البلاد العربية بصفة عامة، و مصر بصفة خاصة. أما المراجع العلمية باللغة الإنجليزية و الأردية فكانت متوفرة، و كانت بمتناول يدي، و كانت في لكهنؤ ـ في مدينة العلم و الثقافة ـ مكتبات غنية فيها أحدث المطبوعات الإنجليزية و الموسوعات العلمية، و كنت على اتصال بها، أستعير منها الكتب و أطالعها، و أستفيد من بعض المكتبات الشخصية، و كان من تيسير الله تعالى و الإرهاص لتأليف هذا الكتاب، أني كنت طالعت قريبا تاريخ أوروبا سياسةو اجتماعا، و ديانة و خلقا، و حضارة و ثقافة، بنهامة و في توسع و عمق، و عنيت بموضوع الصراع بين الديانة و العلم، و البلاط والكنيسة دراسة اختصاصية، و تاريخ الأخلاق في أوروبا و تطورها، و العوامل التي صاغتها صياغة خاصة، انتهت بها إلى هذا المصير المادي، الذي أثر في مسيرة الشعوب الغربية و الشرقية و اتجاهاتها تأثيرا عاما و حاسما.

هذا عدا تاريخ الأقطار الشرقية الإسلامية و دياناتها و حركاتها و فلسفاتها، و تاريخ الإسلام و المسلمين، و تاريخ العرب في الجاهلية و الإسلام، من خلال الكتب المختصة بهذا الموضوع، و من خلال الشعر و الأدب فكان أيسر لي نسبيا بفضل ثقافتي الدينية و الأدبية و التاريخية، و لأن موادها كانت متوفرة في مكتبة ندوة العلماء الكبيرة، و مكتبات شخصية، و بفضل الاتصال الدائم بحركة الترجمة و النشر في شبه القارة الهندية، و مطالعة المجلات و الصحف العلمية الراقية، و ما تنشره من بحوث و دراسات علمية.

زد إلى ذلك التكوين العقلي و النفسي الممتاز، المؤمن بخلود رسالة الإسلام، و قيادة محمد عليه الصلاة و السلام، و إمامته للأجيال البشرية عبر العصور، و بالنقص

www.abulhasanalinadwi.org

الواقع في طبيعة الحضارة الغربية ، و مزاج الأمم الغربية، الذي لا يفارقها في حال من الأحوال ، و ظهوره ـ في شكل مجسم في قيادتها ، و ذلك نتيجة تربية أخي الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني أمين ندوة العلماء العام، الذي كان مثالا فريدا في الجمع بين الثقافتين الإسلامية و الغربية العصرية، و عمق فهمه للإسلام و اتزانه الفكري البعيد عن كل غلو و تطرف، و قد جعلني كل ذلك أنتفع من دراساتي المتنوعة ـ المتناقضة أحيانا المشوشة لكثير من القراء الذين لا يزالون في سن المراهقة الفكرية ـ وأستخرج منها نتائج إيجابية معينة، و " مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ " وتزداد بها ثقتي بصلاح الإسلام للقيادة و السيادة في كلّ عصر، و إيماني بأن محمدا ﷺ، هو "خاتم الرسل و إمام الكل و منير السبل" و كنت أشعر بخطر الموضوع وأهميته، و بقلة بضاعتي و حداثة سني، و قلة أعواني، و جدة موضوع الكتاب و طرافته، و لكن لم أكن في الحقيقة مخيرا بل كنت مسيرا ، كأن هاجساً يهجس في ضميري، و يقول لي: لابد من وضع كتاب في هذا الموضوع.

كان من أسباب استرعاء هذا الكتاب انتباه كثير من الناس و إثارته لدهشة الكثير منهم أن الموضوع كان طريفا مبتكراً " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ " هل للمسلمين صلة و ثيقة بالمصير الإنساني و بالأوضاع العالمية، حتى يجوز أن يقال: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أو ماذا سيربح العالم و يجنيه من الفوائد ، بتقدم المسلمين و تسلمهم لقيادة البشرية؟

كان الناس قد اعتادوا في ذلك العصر، و قبل العصر الذي ألف فيه هذا الكتاب، أن ينظروا إلى المسلمين من خلال التاريخ العالمي، أو ينظروا إلى المسلمين كشعب عادي و كأمة من أمم كثيرة ، و لكن تشجع مؤلف هذا الكتاب و تخطى هذه الحدود المرسومة، و خرج من الإطار التقليدي الذي فرض على المؤلفين و الكتّاب في العرب و العجم ، فأراد أن ينظر إلى العالم من خلال المسلمين، و شتان بين النظرتين، نظرة ينظر بها إلى المسلمين من خلال العالم و من خلال الحوادث التي جرت في العالم، ومن خلال التطورات التي حدثت في التاريخ ، المسلمون شعب من الشعوب، يخضعون لما يجري في العالم في إطار علم واسع، فكان المنهج الفكري العام و أسلوب البحث الدائم، ماذا خسر المسلمون بسبب الحادث الفلاني؟ و بسبب انقراض الحكومة الفلانية، ماذا خسر المسلمون بسبب نهضة الغرب الحديثة؟ ماذا خسر المسلمون بسبب الثورة الصناعية الكبرى التي حدثت في الغرب؟ ماذا خسر المسلمون بانقراض الخلافة

العثمانية؟ و ماذا خسر المسلمون بفتح الغرب لكثير من قلاع الإسلام و المسلمين؟ ماذا خسر المسلمون بفقرهم في الاقتصاد، و في السياسة، و في القوة الحربية؟

كان ذلك الطريق المرسوم التقليدي الذي اعتاده الناس، و لكن الله سبحانه و تعالى ألهمني و شرح صدري لأن أكتب في موضوع ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ كأن المسلمين هم العامل العالمي المؤثر في مجاري الأمور في العالم كله، ليس في بقعة جغرافية محدودة ، أو منطقة سياسية خاصة، هل المسلمون حقا في وضع يمكن أن يقال أن العالم يخسر شيئا بانحطاطهم، هل المسلمون على مستوى يجوز أن يقال أن العالم قد خسر شيئا بتقهقرهم، و بتخلفهم عن مجال القيادة العالمية. إنني أخاف و أخشى أن كثيرا من الكتاب الإسلاميين الذين كانت لهم مواقف جميلة و كانت لهم سوابق عديدة، لم يفكروا هذا التفكير. إن تشويه التاريخ الإسلامي و النظر إليه من زاوية ضيقة و مركب النقص الذي أصيب به الجيل الجديد المثقف، كان يعوق كثيرا من الباحثين عن أن يربطوا قضية المسلمين بقضية العالم و بقضية الإنسانية، أين المسلمون من القيادة العالمية ؟ المسلمون فقراء، المسلمون ضعفاء، المسلمون محكومون من الغرب ، المسلمون خاضعون للثورات الحديثة، فهل يصح أن يربط مصير العالم أو مصير الإنسانية بمصير المسلمين وواقعهم؟ لا ! إن كثيرا من الناس لم يكونوا يصدقون في ذلك الحين أن المسلمين لهم من الأهمية و الخطر و التأثير و من المكانة ما يؤهلهم لهذا البحث، و يسوغ لمؤلف أن يؤلف كتابا فيبحث عن مدى خسارة العالم الإنساني و العالم المعاصر بانحطاط المسلمين. إن الموضوع كان خطيرا ، و كان البحث فيه شبه مجازفة و مغامرة علمية، و لكن الله سبحانه و تعالى أعان على ذلك.

ألفت هذا الكتاب على تردد و تخوف ؛ لأنني كنت جديدا في مجال التأليف خصوصا في اللغة العربية[1] فقد كانت صلتي بها صلة دارس يولد بعيدا و يعيش بعيدا عن مركز الثقافة العربية و عن مركز العلوم الإسلامية الأصيل، و كان يساورني شك، هل ينال هذا الكتاب تقديرا في البيئات العربية و الإسلامية البعيدة، فأرسلت قائمة محتوياته إلى الدكتور أحمد أمين بك ـ رئيس لجنة التأليف و النشر في مصر، و رئيس الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ـ و قد نالت كتبه خصوصا سلسلة "فجر الإسلام "

(١) سبق للمؤلف تأليف سلسلة" قصص النبيين للأطفال" (١ ـ ٢) و "القراءة الراشدة" (١ ـ ٢ ـ ٣) و"مختارات من أدب العرب" و كلها كتب دراسية ألفت لأبناء المسلمين الذين يدرسون اللغة العربية في المعاهد الدينية في الهند.

www.abulhasanalinadwi.org

وضحى الإسلام" إعجاب القراء و الباحثين، و كان لها دوي في الأوساط العلمية، وكنت معجبا بها، و قد درستها دراسة عميقة، و علقت على آرائه بالموافقة في الغالب، و بالنقد و الاختلاف في بعض الأمكنة، و أعجبت بأسلوبه المركز الذي يجري مع الطبع، و آثرت أن يصدر هذا الكتاب من هذه المؤسسة العلمية التي كان لها و لما يصدر منها قيمة علمية كبيرة في الشرق العربي ، فيقبل على قراءتها الشباب المثقف و المعنيون بالأبحاث العلمية و الدراسات الموضوعية ، و أنا لا أعلم مصير هذه الأوراق التي تعطي فكرة إجمالية عن الكتاب، و مؤلفه المجهول، ليس له أثر علمي و لا شافع و لامزكّ.

و فوجئت بكتاب تلقيته منه يطلب مني فيه نموذجا من هذا الكتاب، فأرسلت إليه قطعة من الكتاب.

وقعت موضوعات الكتاب، والعناوين الجانبية التي كانت تدل على محتويات الكتاب، و ما حوته من مادة و بحوث ، من الدكتور موقعا حسنا، و لكنه تخوف أن يكون هذا الكتاب الذي صدر من قلم عالم ديني نشأ و تثقف بعيدا عن العالم الغربي يغلب عيه الطابع الديني و اللغوي ـ شأن علماء الأزهر و المعاهد الدينية القديمة ـ فسأل هل استفاد المؤلف من المراجع الأجنبية؟ فلما كان الجواب بالإيجاب و أرسل المؤلف ثبت المراجع الإنجليزية، اطمأن الدكتور و أخبر بأن اللجنة قررت طبع هذا الكتاب، و أبدى إعجابه بالكتاب سواء من الناحية الأدبية أو الناحية المعنوية ، و كان اليوم الذي تلقى فيه المؤلف هذه الرسالة من الدكتور، من أعظم أيام العمر فرحاً و سرورا، لاينساه المؤلف حتى هذا اليوم.

و مضت على ذلك شهور و أنا لا أعلم مصير هذا الكتاب، و قد سافرت في أثناء هذه المدة إلى الحجاز للمرة الثانية، و ذلك في سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) ، و فوجئت بنسخة مطبوعة عند سفير سوريا الأستاذ جواد المرابط عضو المجمع العلمي بدمشق، كان قد استصحبها من القاهرة، و كان يبدي إعجابه بعمق فكر علماء الهند و أصالته، مستشهدا بهذا الكتاب، الذي وقع إلى يده في زيارته القريبة لمصر، و هو لايعرف أنه يتحدث إلى مؤلفه، و من السهل الميسور تقدير فرح المؤلف الشاب المغمور، الذي يفاجأ بأثره العلمي التأليفي الأول الصادر من أكبر دور النشر، فاستعاره من سعادة السفير ليرده إليه بعد مطالعته، و لكنه فوجئ كذلك بأن المقدمة الصغيرة التي قدم بها الدكتور أحمد أمين هذا الكتاب، لم تكن فيها تلك القوة التي كان يتوقعها المؤلف من كاتب إسلامي كبير كالدكتور أحمد أمين، و كان متحفظا شديد التحفظ في إبداء انطباعاته عن الكتاب و مؤلفه.

و لم يكن الأمر غريبا ـ و إن كان ثقيلا على المؤلف ـ فليس كل من يقدم كتابا يتحمس للموضوع الذي كتب فيه ، فلا يكون ذلك إلا إذا كان المقدم يتجاوب مع فكرته و يؤمن بها إيمانا عميقا ، و ليس كل باحث علمي و كاتب كبير ـ وإن كان في درجة الدكتور أحمد أمين بك ـ يرى أن العالم قد خسر حقا ، و الإنسانية قد نكبت نكبة كبيرة بانحطاط المسلمين ، و انسحابهم عن ميدان القيادة و التوجيه العالمي ، فذلك نمط خاص للتفكير و التفسير للتاريخ ، ليس من اللازم أن يقتنع به كل مؤلف و دارس ، وليست التبعةعلى الدكتور أحمد أمين ـ و فضله لاينكر في نشر هذا الكتاب من لجنة التأليف و النشر الموقرة ـ و لكن التبعة على مؤلف الكتاب الذي أمل فيه الآمال البعيدة و حمّله ما لم يتهيأ له فكريا و علميا ، و لم تساعد ظروفه التربوية و الدراسية الخاصة على انتهاج هذا المنهج ، ثم لعل الدكتور أحمد أمين الذي كان يعتبر من أساتذة الجيل الجديد و من كبار المؤلفين و الأدباء ، خاف ـ و له الحق ـ أن يعي المؤلف الذي لايعرفه معرفة شخصية و لم يتحقق مستواه العلمي و النظرة التي ينظر بها إليه مواطنوه و علماء بلاده ، أكثر مما يستحق ، فيقال إنه كساه ثوبا سابغا فضفاضا أكبر من قامته و قيمته ، و سامحه الله و جزاه عن المؤلف و القراء أحسن الجزاء ، فقد كان السبب في وصول هذا الكتاب إلى الأوساط العلمية المتنورة التي لا تعير كتابا يصدر عن مؤسسة دينية ، شيئا من العناية و الاهتمام.

و اتفقت رحلة المؤلف إلى مصر في يناير سنة ١٩٥١م بعد ما مضى على صدور الكتاب شهران أو أكثر ، فوجد أن الكتاب قد شق طريقه إلى الأوساط العلمية و الدينية و حل منها محلا لم يكن يتوقعه المؤلف بل يحلم به ، و قد قرئ في نطاق واسع من المثقفين و المعنيين بقضية الإسلام و انتفاضته ، و صحوة المسلمين ، و كان نشاط "الإخوان المسلمون" قد بدأ يدب ، و خفف الخناق عليهم بعض التخفيف ، و كأن هذا الكتاب قد جاء في أوانه و مكانه ، و تناغم مع شعورهم و ما يدعون إليه ، و كان الجرح عميقا و داميا شهادة الإمام الشهيد و حل حركة الإخوان ، فجاء هذا الكتاب مسليا معزيا ، بل كسلاح علمي يدافعون به عن فكرتهم ، و شحنة جديدة و زادا و مددا "لبطاريتهم" فقرأوه في المعتقلات ، و قرروه في منهج الدراسة و المطالعة ، و استشهدوا ببعض عباراته في المحاكم ، و استقبلوا ـ بطبيعة الحال ـ مؤلفه بحماس و حب ، و كان الكتاب خير معرف للمؤلف الزائر الجديد ، وممهدا للثقة به و الحديث معه.

وكان الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ سيد قطب في مقدمة من رحب بهذا الكتاب ، وعني به ، وشجع تلاميذه وإخوانه على مطالعته ، وفي يوم من الأيام [1] تلقى

(١) كان ذلك في ١٩/٨/١٣٧٠ هـ (٢٥ من نيسان ١٩٥١ م) ، (مذاكرات سائح في الشرق العربي) .

www.abulhasanalinadwi.org

المؤلف دعوة من الأستاذ سيد قطب لحضوره ندوة تجتمع في منزله بحلوان كل جمعة ، وتبحث في موضوع إسلامي ، أو تستمع إلى تلخيص كتاب بقلم أحد الحاضرين وتتناول البحث فيه ، وكان الموضوع ذلك اليوم كتاب " ماذا خسر العالم " ، وقد لخصه أحد تلاميذه من خريجي جامعة فؤاد الأول ، فلبى المؤلف هذه الدعوة الكريمة الحبيبة ، التي هي رمز لتقدير مجهوده العلمي الكتابي المتواضع وتشريف له ، فحضر هذه الندوة وساهم في البحث ، وأجاب عن بعض الأسئلة الموجهة إليه كمؤلف .

وهناك بدت له فكرة الطلب من الأستاذ سيد قطب ليقدم هذا الكتاب بقلمه المؤمن القوي ، وأسلوبه العلمي الهادف ، وقبل الأستاذ سيد قطب هذه الدعوة بسرور وحماس، وكتب تلك المقدمة القوية التي زادت في قيمة الكتاب ، وقوته .

وصادف ذلك طلب الأستاذ الفاضل والعالم المؤمن الدكتور محمد يوسف موسى ، أستاذ كلية أصول الدين في الأزهر ، ورئيس جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر ـ الذي كان من كبار المعجبين بهذا الكتاب المنوهين به ، والحافزين على قراءته ـ إصدار الطبعة الثانية المنقحة من جماعة الأزهر [1] ، فسمح له المؤلف شاكراً ومسرورا ، وأخذ الدكتور التصريح والموافقة من الدكتور أحمد أمين ، وكتب مقدمة يتجلى فيها إخلاصه وحبه ، واستجابته للفكرة ، حلى بها جيد الكتاب ، وفاجأ المؤلف صديقه الدكتور أحمد الشرباصي أحد علماء الأزهر وأساتذته ، في إحدى زياراته ، فاختلس منه معلومات عن أسرته وبيئته ونشأته ، ودراسته وحياته ، لا يعلم المؤلف ماذا سيصنع بها فكون بها مقالا عن المؤلف عنونه بـ« " أخي أبو الحسن " (صورة وصفية)»، وضمه إلى الكتاب ، ولم يعلم به المؤلف إلا حين صدرت الطبعة الثانية سنة ١٩٥٣ م ، وتلت هذه الطبعة طبعات وترجمات في لغات الشرق والغرب ، وهاهي ذي الطبعة الثالثة عشرة القانونية .

وهذه قصة الكتاب في إيجاز وصدق وصراحة ، ولله المن والفضل أولا وآخرا .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

٢٠/ رجب ١٤٠١ هـ

٢٥/ مايو ١٩٨١ م

ندوة العلماء ـ لكهنو

(١) وذلك في ٣ من حزيران ١٩٥١ م .

www.abulhasanalinadwi.org

الأركان الأربعة

الصلاة - الزكاة - الصوم - الحج

في ضوء الكتاب والسنة

مقارنة مع الديانات الأخرى

تأليف

العلامة الأستاذ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد: فهذا كتاب تحدثت فيه عن أركان الإسلام الأربعة : الصلاة والزكاة ، والصوم ، والحج ، عن وضعها السماوي ، وحقيقتها الشرعية ، وتشريعها في الإسلام، ومكانتها في الدين ، وفي الحياة الفردية والاجتماعية وعن مقاصدها وأسرارها كما قررها الكتاب والسنة ، وفهمها المسلمون في القرون المشهود لها بالخير ، والمتمسكون بلباب الدين ، والراسخون في العلم في مختلف العصور والأجيال ، في غير تكلف عجمي ، وتنطع فلسفي ، وتطرف شخصي وفي غير خضوع لأفكار أجنبية واتجاهات عصرية ، وفي غير إخضاع - لمعانيها وحكمها ونظمها ومناهجها - للفلسفات السياسية والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية السائدة في عصورهم وأمصارهم .

وقد درست - زمن تأليفه - القرآن الكريم من جديد ، ومصادر السنة ودواوينها الصحيحة، وما كتب في موضوع هذه الأركان ، وشرحها وتفسيرها ، وبيان مقاصدها وأسرارها ، وعنيت بصفة خاصة بكتابات الأئمة الذين شرح الله صدرهم لفهم مقاصد

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام وروحه ، والوصول إلى أعماقه ، في غير تفريط وإفراط ، وتكلف وإغراق ، ووفقوا لبيان مقاصد الشريعة الإسلامية وأسرار التنزيل وحكم التشريع ، كما أرادها الشرع ، وكما فهمها المسلمون الذين توجه إليهم الخطاب ، ونزل في لغتهم الكتاب ، وكانوا يجمعون بين الفهم العميق ، والعلم الغزير ، والعمل القوي ، والاتباع الدقيق (للرسول ﷺ) والمجاهدة الدائبة في مجال العلم والعمل ، فتمهدت لهم السبل ، ولانت لهم الصعاب ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وقد تشبعوا بروح هذه العبادات ، كما تضلعوا في علومها ، ومارسوها بصدق وإيمان ، كما دارسوها بدقة وإمعان ، فنطقت هذه الأركان على لسانهم ، وعبرت عن مكنوناتها ومضمراتها في شرحهم وبيانهم ، وكان أكثر استفادتي من كتاب (حجة الله البالغة) ، لشيخ مشايخنا شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي [١] وهو كتاب فريد في موضوعه ، وقد جاءت خلاصة ما كتبه في الأركان الأربعة وروحه في هذا الكتاب.

فبدأت بالكتاب والسنة وما ورد عن هذه الأركان ، وعن روحها وحقيقتها ، ومقاصدها وآدابها ، في القرآن والحديث ، وأردفت ذلك بما جاء في كتب هؤلاء الأئمة في تفسيرها وتفصيلها ، وتوجيهها وتعليمها ، فجاء تفصيلا للمجمل ، وتبسيطا للموجز ، ولم يمنعني الحياء والشعور بالنقص عن عرض ما فتح الله به علي ـ وهو الفتاح العليم ـ من فهم بعض مقاصد هذه الأركان الجليلة ، والكشف عن بعض جوانبها ومطاويها وصلتها بالحياة وفضها لكثير من المعضلات والمشكلات ، ولم أتوقف عن نقل بعض أقوال العلماء المعاصرين ، وذلك كله في أسلوب علمي أدبي عصري ، فجاء الكتاب بحول الله يجمع بين القديم والجديد ويمثل المكتبة الإسلامية الزاخرة في هذا الموضوع ، ويعرضها عرضا جديدا للجيل الإسلامي الجديد ، فقد كادت صلته تنقطع عن كتب المتقدمين وأساليبهم ، وخير ما دبجته أقلامهم وفاضت به خواطرهم ، فكان ذلك خطرا على الجيل الجديد ، وتفريطا في حق السلف ، وإساءة إلى المكتبة الإسلامية التي لا تدانيها مكتبة دينية في أمة من الأمم ، وقد توارثت هذه الأمة فهم معاني العبادات وحقيقتها ومقاصدها كما توارثت أوضاعها وأشكالها ، وأحكامها وآدابها ، وتوارثت العمل بها من غير انقطاع أو فترة ، أو جهالة أو غفلة ، حتى وصل إلينا هذا الدين ، متواترا متصلا ، في المعاني والأشكال ، والمقاصد والهيئات ، فليس لأحد في هذا

(١) (١١١٤ ـ ١١٧٤ هـ) راجع لترجمته نزهة الخواطر للسيد عبد الحي الحسني (المجلد السادس).

www.abulhasanalinadwi.org

العصر أن يبتكر ـ لركن من هذه الأركان ـ مفهوما لم تعرفه هذه الأمة في عمرها الطويل، أو يلبسه لباسا " مستوردا " من الخارج أو مستعارا من أجنبي .

وبدا لي ، بعد ذلك أن أدرس هذه العبادات ـ وهي العبادات التي تلتقي عليها جميع الديانات التي كانت لها أي صلة بالسماء في عهد من العهود ـ في الديانات الأخرى ، وهي التي لا يزال يدين بها خلق كثير وشعوب كبيرة في العالم المعاصر، وأن أقارن بين أوضاع هذه العبادات ومناهجها وفلسفتها وأحكامها في الدين الإسلامي، والشريعة الإسلامية ، وأن أعتمد في ذلك على مصادر هذه الديانات الأصيلة الموثوق بها عند أهلها ، كما اعتمدت في الحديث عن أركان الإسلام الأربعة وعرضها وتفسيرها على القرآن والحديث غالبا ، وعلى كتب أئمة الإسلام نادرا ، وأن يكون استعراضي لما كتب في هذا الموضوع في الديانات الأخرى ، ودراستي له دراسة أمينة عميقة ، أحاول فيها بقدر الإمكان أن أهتدي في هذا البحث والدراسة إلى اللباب ، والقول الفصل في هذا الباب ، عند فقهاء هذه الديانات وزعمائها .

وقد كانت هذه المهمة عسيرة دقيقة ، إذ الوضع الديني والفقهي في هذه الديانات يختلف عن الوضع الديني والفقهي عند المسلمين ، اختلافا كبيرا ، والباحث يواجه غموضا واضطرابا عظيما ، وفراغا علميا هائلا ، لا عهد له به في كتب الشريعة والفقه ، وتاريخ التشريع الإسلامي . وقد استطعت بحول الله أن أخرج في هذا الكتاب بدراسة مقارنة تسد ـ إلى حد ما ـ فراغا في هذا الموضوع .

وقد كانت الحاجة إلى الدراسة المقارنة شديدة ، لأن المسلم لا يستطيع أن يقدر نعمة الإسلام ، وما أكرمه الله به عن طريق هذا الدين الكامل الخالد الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ ، ولا أن يستوفي حق الشكر والحمد إلا إذا قارن بين هذه العبادات في الإسلام والعبادات في الأديان الأخرى ، فضلا عن العقائد والمبادىء والأسس التي يقوم عليها صرح الإسلام العقائدي والكلامي، وقد أثر عن أمير المؤمنين عمر أنه قال : " يوشك أن ينقض الإسلام عروة عروة ، من نشأ في الإسلام لا يعرف الجاهلية " . والموضوع خاضع للتوسع والترقي ، وزيادة الإتقان ودقة البحث ، لما يتجدد من معلومات ويصدر بين حين وآخر من موسوعات علمية ومؤلفات دينية ، بقلم علماء هذه الديانات ، والمؤلف مستعد للإفادة منها في الطبعات الجديدة .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان مما حفز المؤلف على هذا التأليف ـ رغم أمراضه التي يعانيها ، والأشغال والمسؤوليات التي ترهقه ـ ما كان يشعر به من مدة طويلة من اضطراب الآراء والكتابات في تفسير هذه الأركان ، ومقاصدها وغاياتها ، وفوائدها ومصالحها في هذا العصر ، وإخضاعها في جراءة كبيرة ، وتوسع وسخاء للفلسفات العصرية والمذاهب الاقتصادية والسياسية ، ومصطلحاتها وتعبيراتها المحدودة ، حتى كادت هذه الأركان في عقول من آمن بهذا التفسير وخضع لهذا العرض تفقد حقيقتها وقوتها ، وتضيع مقاصدها التي شرعت لأجلها ، وكاد معنى الإيمان والاحتساب يضيع من بين هذه التعبيرات المادية والتفسيرات العصرية ، وكاد التفكير المادي يطغى على روح العبادة والإخلاص ، فكان ذلك ـ بحيث يشعر أصحاب هذه الفكرة أولا يشعرون ـ خطرا كبيرا على الأمة ، وطليعة تحريف كبير في فهم المعاني الدينية والمقاصد الشرعية .

وحدث أن مجلة " المسلمون " الغراء دعت المؤلف إلى كتابة مقال عن الحج بمناسبة موسمه ، واتفق ذلك ثلاث مرات ، فكان المؤلف يكتب مقالا كل عام ، عن حقيقة الحج وروحه ومقاصده ، تنشره المجلة العزيزة وتذيعه الإذاعة السعودية في أكثر الأحيان ، ويقرؤه الشباب المسلم بعناية زائدة ، وتقدير كبير ، ونظر المؤلف في هذه المقالات الثلاث ، فشعر بأنه أسلوب جديد للكشف عن مقاصد الحج الشرعية الحقيقية، ومحاولة متواضعة للانتصار لهذا الركن المظلوم ، الذي كان إخضاعه للاتجاهات الجديدة والمعاني السياسية أكثر من كل ركن ، حتى أصبح في نظر كثير من المثقفين مؤتمرا سياسيا عالميا ، يعقد كل عام ، وليست له إلا هذه القيمة السياسية الاجتماعية ، فرأى أن يوسع هذا المقال وينشره كرسالة مفردة ، تعرض الحج في إطاره الإسلامي الأصيل الواسع ، وتثير معانيه العميقة ومقاصده البعيدة وروحه القوية ، الإبراهيمية الحنيفية .

وكذلك وفق المؤلف لكتابة مقالين عن رسالة الصيام ، ومقاصده بمناسبة حلول رمضان ، واقتراح مجلة " المسلمون " فبدا للمؤلف أن يكمل هذين المقالين ويضم إليهما ركن الصلاة والزكاة ، وهكذا تكونت فكرة الكتاب ، واستولت على مشاعر المؤلف وأعصابه ، فشغلته عن كل عمل تأليفي أو تحقيق علمي ، وبقي يعيش في هذه الفكرة أكثر من عام ، يدرس النصوص ويراجع المصادر ، ويملي المقالات ـ لعجزه عن الكتابة والمطالعة بنفسه ـ ويساعده بعض إخوانه وزملائه في كتابة هذه الأمالي ، وفي تخريج

www.abulhasanalinadwi.org

الأحاديث وفي النظر في المواد الأجنبية ، والبحث عن المواد ، أخص بالذكر والشكر منهم العزيز نثار الحق الندوي ، والأستاذ شاهد علي ، مدرس اللغة الإنكليزية في دار العلوم ، والعزيز علي آدم الإفريقي [١] والأخوين نذر الحفيظ وغياث الدين الندويين جزاهم الله جميعا عن المؤلف والقراء ، فجاء هذا الكتاب حصيلة مطالعة ، ونتيجة تأملات ، ورائد بحث أوسع وأعمق ، والحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات .

أبو الحسن علي الحسني الندوي
دائرة الشيخ علم الله الحسني

رائي بريلي (الهند)
٢ ـ ٢ ـ ١٣٨٧هـ .

(١) ومحمد سعيد

www.abulhasanalinadwi.org

السيرة النبوية

كتبها

العلامة الداعية الحكيم

أبو الحسن علي الحسني الندوي

تقديم

فضيلة العلامة الداعية

الدكتور يوسف القرضاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فقد كانت السيرة النبوية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ المدرسة الأولى التي تعلم فيها مؤلف هذا الكتاب ، وقد دخلها في سن مبكرة ، لا يدخل فيها الأطفال في عامة الأحوال ، والفضل في ذلك يرجع إلى الجو الذي كان يسود بيته وأسرته ، فقد كانت السيرة تكون عنصرا أساسيا في الثقافة التي يتلقاها أبناء الأسرة وأطفال البيت ، وإلى المكتبة الصغيرة البسيطة المؤلفة من منظوم ومنثور ، التي كانت تنتقل من يد إلى يد ، ثم إلى تربية أخيه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني ، وتوجيهه الحكيم ، فقرأ في صباه أفضل ما كتب في السيرة النبوية في " أردو " لغة مسلمي الهند ، وهي أغنى لغات العالم الإسلامي بعد اللغة العربية في موضوع السيرة ، وهي تحتوي على أقوى وأجمل ما كتب فيها في العصر الأخير[1] .

---

(١) اقرأ قصة صلة المؤلف بكتب السيرة ، وتأثيرها في ثقافته وعقليته وسيرته في كتاب " الطريق إلى المدينة " المقال الأول بعنوان " الكتاب الذي لا أنسى فضله " .

www.abulhasanalinadwi.org

ثم لما صار يشدو باللغة العربية عكف على كتب السيرة ، التي ألفت فيها ، وكانت في مقدمتها السيرة النبوية لابن هشام ، و " زاد المعاد في هدي خير العباد " لابن قيم الجوزية ، ولم يدرسهما دراسة علمية فحسب ، بل عاش فيهما زمنا طويلا ، يذوق بهما حلاوة الإيمان ، ويغذي بما جاء فيهما من القصص والأخبار عاطفة الحب والحنان ، ومن المقرر أن السيرة أقوى العناصر التربوية وأكثرها تأثيرا في النفس والعقل بعد القرآن، ثم قرأ ما وصلت إليه يداه من كتب السيرة هي المادة الأولى التي يعتمد عليها في كتاباته ومحاضراته ، يستمد منها القوة في البيان ، والتأثير في العقول والقلوب ، والدلائل القوية ، والأمثلة البليغة ، لإثبات ما يريد إثباته ، وهي التي كانت ولا تزال تفتق قريحته ، وتشعل مواهبه ، وما من كتابة ذات قيمة من كتاباته إلا وعليها مسحة من جمال السيرة ، وفضل لدراستها والتأمل فيها ، وقد جمع ما كتب في جوانب السيرة المختلفة ، وعظمة البعثة المحمدية وما ألقاه من محاضرات وأحاديث ، في كتاب أسماه "الطريق إلى المدينة "(١).

وقد عاش المؤلف هذه المدة الطويلة وقد ألف عشرات من الكتب لا يفكر في إفراد كتاب في السيرة النبوية ، رغم أنه كان يشعر بمسيس الحاجة إلى كتاب كُتِبَ في أسلوب عصري علمي ، استفيد فيه من خير ما كتب في القديم والحديث ، مؤسسا على مصادر السيرة الأولى الأصيلة مطابقا لما جاء في القرآن والسنة الصحيحة ، لم يكتب في الأسلوب الموسوعي Encyclopaedic الحاشد للمعلومات في غير نقد وتمحيص ، الأسلوب الذي اعتاده أكثر المؤلفين المتوسطين والمتأخرين وقليل من المؤلفين المتقدمين ، والذي كان مثار كثير من التساؤلات التي برّأ الله السيرة الكريمة منها ، وأغنى المسلمين عنها ، قد نالته يد التنقيح والتحقيق من غير تقليد للاتجاهات العصرية ، وخضوع لكتابات المستشرقين وأقوال المشككين ، متمشيا مع المقررات الدينية التي تفهم في ضوئها الكتب السماوية وسير الأنبياء، والمعجزات ، والأخبار الغيبية ، قائما على مبدأ أنه سيرة نبي من الأنبياء ، مبعوث من الله، مؤيد منه، لا سيرة عظيم من العظماء ، أو زعيم من الزعماء ، يسوغ أن يقدم إلى كل مثقف منصف من المسلمين وغير المسلمين من غير تحفظ أو استثناء ، أو حاجة إلى تأويل ، يعتمد فيه المؤلف على الحوادث والوقائع ، ومادة السيرة ، ويدعها تنطق بلسانها ، وتشق الطريق بنفسها إلى القلوب والعقول، أكثر مما يعتمد على فلسفته للحوادث وتعليله للأخبار، ومقدماته الطويلة العريضة ، فالسيرة النبوية غنية بجمالها وروعتها وسحرها على

(١) ظهرت لهذا الكتاب ثلاث طبعات من المدينة المنورة ولكهنو ودمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

النفوس والعقول ، ووقعها منها موقع القبول، من شفاعة شافع وتدليل حكيم ، وبراعة أديب، وجل ما يحتاج إليه المؤلف، هو جمال العرض، وحسن الترتيب، وجودة التلخيص .

ثم يتجلى فيه العقل و العاطفة جوارا بجوار، فلا يكون فيه البحث العلمي و النقد التحليلي على حساب العاطفة و الحب و الإيمان، الذي لابد منهما في تذوق السيرة و الاستفادة منها و فهم قضاياها و أحكامها و حوادثها، فإنه إذا تجرد الكتاب من العاطفة و الحب و الإيمان، كان خشبيا مصنوعا لا حياة فيه، و كذلك يجب ألا يكون العنصر العاطفي العقيدي على حساب المتطلبات العقلية السليمة التي نماها هذا العصر بصورة خاصة، وعلى حساب المنطق السليم الذي لم يتجرد منه عصر من العصور، فيكون كتاب عقيدة و تقليد فحسب، لا يطيق قراءته و لايسيغ ما جاء فيه إلا الأقوياء في الإيمان، والراسخون في الإسلام، من الذين نشؤوا في بيئة دينية خالصة لا شأن لها بالعالم الخارجي ، و بالثقافة العصرية، و ذلك و إن كان موهبة من الله، فإن سيرة نبي أرسل إلى الناس كافة، و أرسل رحمة للعالمين، لايجوز أن تُجعل مقصورة على هذه الطبقة السعيدة المؤمنة، محجورة على من لم تسمح ظروفهم بالنشوء في هذه البيئة المسلمة المؤمنة، و أرادت حكمة الله أن يولدوا في بيئات غير إسلامية ثم يدركهم اللطف الإلهي، و تهب عليهم نفحة من نفحات هذه السيرة العطرة، فينتقلون بقوتها و جاذبيتها إلى حظيرة الإيمان و معسكر الإسلام، و ليس حق غير المسلمين على هذه السيرة و حظهم فيها أقل من حق المسلمين الذين نشؤوا في ظلال الإيمان و الإسلام، و الدواء حاجة المريض أكثر من حاجة السليم، و القنطرة يحتاج إليها من يعيش وراء النهر أكثر مما يحتاج إليها من يعيش دونه.

ثم لا يسع المؤلف في السيرة صرف النظر عن البيئة التي كان فيها وجودها و قيامها، و عن العصر الذي كان فيه طلوعها و بزوغها، فلا بد من وصف الجاهلية العالمية الضاربة أطنابها على الأرض كلها في القرن السادس المسيحي، و مدى ما وصل إليه هذا العصر من الفساد و الانحطاط، و القلق و الاضطراب، ووصف حالته الخلقية و الاجتماعية، و الاقتصادية و السياسة و ما تضافر عليه من عوامل الإفساد و الإضلال و التدمير و الإبادة، من حكومات جائرة، و أديان محرَّفة، و فلسفات متطرفة، و حركات هدّامة ، و حين أراد المؤلف أن يكتب فصلا في تفصيل و توسع على العصر الجاهلي يقدم به كتابه" ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" وجد في ذلك صعوبة لا ينساها حتى اليوم، و اضطر إلى أن يجمع المعلومات من المراجع الأجنبية و الكتب التي

www.abulhasanalinadwi.org

ألفت في تاريخ البلاد و الأمم، و الدول المعاصرة لنشوء الإسلام، في اللغات الأوربية، فالتقطها من ثنايا هذه الكتب كما تُلتقط حبات السكر الدقيقة من أفواه النمل (حسب المثل الأرديّ) فجاء هذا الفصل الموسع [١]، الذي ينير الطريق لمن يقرأ كتب السيرة، و يحاول أن يدرك عظمة البعثة المحمدية و ضخامة المهمة التي اضطلعت بها و النتائج العظيمة الجسيمة التي أسفرت عنها، و كان كل كتاب يؤلف في السيرة النبوية في العصر الحديث جديرا بهذا النوع من البحث و النمط في التحقيق، و إلقاء الأضواء القوية العلمية على العصر الجاهلي و التصوير الدقيق الأمين لما كان يجيش به من فساد و اضطراب، و انهيار و انتحار.

و ذلك شأن البيئة التي كانت فيها البعثة و ظهور الإسلام، و البلد الذي ظهرت فيه هذه الدعوة، وولد فيه صاحب الرسالة ـ عليه الصلاة و السلام ـ و قضى فيه ثلاثا و خمسين سنة من عمره ، و عاشت فيه الدعوة ثلاث عشرة سنة، فلا بد أن يعرف الدارس للسيرة مدى ما وصل إليه العقل فيه و الوعي و المدنية، و مكانة هذا البلد الاجتماعية و السياسية و حالته الدينية و العقائدية ووضعه الاقتصادي و السياسي، و قوته الحربية و العسكرية حتى يعرف طبيعة هذا البلد و عقلية سكانه و العقبات التي كانت تعترض في سبيل انتشار الإسلام و شقه الطريق إلى الأمام.

وقل مثل ذلك و أكثر عن مدينة يثرب التي انتقل إليها الإسلام و هاجر إليها الرسول وأصحابه،و أراد الله أن تكون مركز الإسلام الأول، فلا يقدر مدى قيمة النجاح الذي حققه الإسلام و قدرته على التربية و البعث الجديد،و حل المعضلات، والجمع بين العناصر المتناقضة و عظمة المأثرة النبوية، و إعجازها في تأليف القلوب و تربية النفوس، إلا إذا عرف الإنسان هذه البيئة الغريبة التي واجهها الرسول و المسلمون،و لا تُفهم كثير من الحوادث و الأحكام التي يمر بها القارئ في كتب السيرة و الحديث إلا إذا عرف حالة المدينة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، و طبيعة أرضها و جغرافية هذا البلد و ما حوله ، و ما كان يتركب به من عناصر إنسانية و إقليمية و صلات أجزاء عمرانه بعضها ببعض و الأعراف و المعاملات الشائعة قبل الهجرة و انتشار الإسلام فيه ، فإذا جهل القارئ كل هذا ، و بدأ رحلته في كتب السيرة شعر بأنه يمشي في نفق لا يبصر فيه ما حوله، و كان على غير بينة من الأمر.

(١) جاء هذا الفصل في ٦٦ صفحة ، في كتاب " " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" بعنوان " الإنسانية في احتضار".

www.abulhasanalinadwi.org

و كذلك القول عن الحكومات المعاصرة و البلاد المجاورة، فلا يتبين القارئ خطورة الإقدام الذي قامت به الدعوة الإسلامية، و قوة مغامرتها، إلا إذا عرف حجم هذه الحكومات التي كانت تقوم حوله، و التي خاطبها الإسلام و دعاها الرسول - عليه الصلاة و السلام - إلى الإيمان برسالته و قبول حكم الإسلام، و ما وصلت إليه من المدنية و الثقافة، و القوة الحربية و الرفاهية و العمران، و ما كان يتمتع به ملوكها من حَول و طَول، و صولة و شوكة، و قد ألقى العلم الحديث ضوء على تاريخ هذه الحكومات و البلاد و المجتمعات التي كانت تعيش فيها و رفع الستار عن كثير مما كان مجهولا أو غامضا أو ملتويا في العصر القديم، فكان من الواجب أن يستعين بكل ذلك المؤلف العصري في السيرة النبوية، و يستعين بالحديث الأحدث مما كتب و نشر من كتب التاريخ و الجغرافية و الدراسة المقارنة.

كان المؤلف يشعر بكل هذا مع اعتراف بجهود المؤلفين في هذا الموضوع، و بقيمة ما صدر عن أقلامهم في فترات مختلفة و لغات مختلفة، و فضله في الدعوة الإسلامية، و تحبيب السيرة إلى نفوس القراء و تقريبها إلى أذهان الناشئة، وكان يرى السعادة في تأليف كتاب جديد في السيرة النبوية لينخرط في سلك المؤلفين النورانيين في هذا الموضوع الحبيب الجليل .

ولكنه كان يتهيب الكتابة في هذا الموضوع في توسع وتفصيل ، لضيق وقته ، وضعف بصره ، ولأنه جرب أن كتاب سيرة لعظيم من العظماء فضلا عن نبي من الأنبياء، فضلا عن سيد الأولين والآخرين ، وأشرف المرسلين ، من أصعب الموضوعات التي يعالجها المؤلفون وأدقها ، وقد مارس موضوع تأليف السير والتراجم للشخصيات المشهورة وأعلام المسلمين من القدماء والمحدثين والمعاصرين عمليا ، فقد اشتغل بكتابة السير وحياة العظماء من أئمة المسلمين وقادتهم ، والمصلحين والعلماء الربانيين ، بعد ما شب عن الطوق ، وأمسك القلم ، وعرف الكتابة وقد كتب بقلمه آلافا من الصفحات في سيرة هؤلاء العظماء وعاش بين التراجم والسير منذ الصغر، فقرأ منها الكثير وكتب منها الكثير .

ومن هنا عرف دقة هذا الموضوع ، وضخامة هذه المسؤولية ، فمن المؤلفين من تتغلب عليه نزعة أو اتجاه خاص ، فيخضع له من يترجمه من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر ، فتأتي كتابته صورة لعقليته وعاطفته ، ممثلة لاتجاه خاص كان يسيطر على مؤلف الكتاب ، ومنهم من يريد أن يصور أحد العظماء فيصور نفسه ، ويريد أن ينظر إليه نظرة

www.abulhasanalinadwi.org

مجردة ، فيبدأ ينظر إليه من خلال ميوله وتجاربه ووجهة نظره ويسلط عليه مقاييسه الخاصة .

إن من درس علم النفس والأخلاق ، وعني بدراسة الشخصيات المعاصرة ، وعاش معها طويلا عرف أن النزول في أعماق نفس إنسان والإحاطة بآفاقها ، وتصويرها تصويرا دقيقا شاملا من أصعب أنواع المعرفة وأساليب البيان وأدقها وأنه لا يحسن ذلك بعض الإحسان ، ولا يقدر عليه بعض القدرة إلا من عرف شيئا كثيرا من خوالج النفس وخواطرها ، وآمالها وآلامها ، وأحزانها وأشواقها والتهاب الروح ولوعة القلب ، وقد رأى كيف يبيت هذا الإنسان ليله ويقضي نهاره ، وكيف يعاشر أهله ويعامل أصحابه ، قد رآه في السلم والحرب ، والرضا والغضب ، وفي العسر واليسر ، والضعف والقوة ، ومن أحوال النفس الإنسانية ومشاعرها وأحاسيسها ، ومن مظاهر الجمال والكمال ما لم توضع له ألفاظ بعد ، ولا تفي به ثروة لغوية مهما اتسعت ودقت .

والسيرة النبوية المحمدية تتميز من بين سير أفراد البشر ـ وفيهم الأنبياء وغير الأنبياء ـ بدقتها وشمولها ، واستيعابها لدقائق الحياة وتفاصيلها وملامحها وقسماتها ، وذلك بفضل علم الحديث الذي لا يوجد له نظير ، لا في تاريخ الأنبياء ولا في تاريخ العظماء، وكتب السير والشمائل ، وما جمع وحفظ من الأدعية [١] والأذكار النبوية ، ومناجاته ـ ﷺ ـ لربه آناء الليل والنهار وما حفظ ونقل من جوامع الكلم ، وما أثر عن الوصافين الحاذقين من أصحابه وأهل بيته في صفته التي لم تحفظ كتب الآداب والتاريخ والأنساب، صفة أكثر منها دقة ، وأعظم منها استيعابا للملامح البشرية والدقائق الخلقية[٢] ولذلك لم يكن الأمر في تأليف السيرة النبوية من الصعوبة والغموض، والافتراض والقياس ، كما هو في سير العظماء الأبطال ، وأن سيرته ـ ﷺ ـ أكمل السير كما كانت أجملها ، وهي مؤسسة على نصوص قرآنية ووثائق تاريخية ودقائق في الخلق

(١) ليراجع مقال المؤلف في صلة الأدعية النبوية بالسيرة ؛ وقيمتها وأهميتها في دراستها وأنها مرآة تجلت فيها خصائص النبوة وأسرارها وصلتها بالله وبالخلق ، والمعرفة الدقيقة لحقائق الحياة الإنسانية ، وعلم النفس والأخلاق ودقائقها ؛ وقد نشر هذا المقال في رسالة مفردة في الأردية ، ونقلها إلى العربية الأستاذ نور عالم الأميني الندوي ، ونشرتها " المختار الإسلامي " في القاهرة بعنوان " دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية " .

(٢) اقرأ للتفصيل مقال المؤلف " القدوة الدائمة للأجيال البشرية كلها ، وكيف أمكن ذلك " في كتابه " النبي الخاتم " صدر عن دار ابن كثير الطبعة الأخيرة ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م.

www.abulhasanalinadwi.org

والخُلق ، وتفاصيل في العادات والعبادات ، والأخلاق والمعاملات ، لا يتصور فوق ذلك ، وهي أقرب إلى الحقيقة والواقع قربا لا يتصور فوقه ولا يطمع في أكثر منه ، بعد أن مضى على هذه الحياة الطيبة الكريمة مدة طويلة .

ولكن رغم وجود هذا الفارق الكبير بين سيرته ﷺ وبين سير العظماء بل وبين سير الأنبياء ، ورغم دقتها التي لا دقة فوقها ، وشمولها الذي لا شمول فوقه ، لا بد من الاعتراف بأن تصوير حياته وأخلاقه ، واستيعاب المعجزات التي اشتملت عليها سيرته ودعوته وحياته الانفرادية والاجتماعية ، ومعاملته مع الله ومع الخلق ، وآيات الحسن والإحسان في تكوين خلقه وخلقه ، وفي حبه ورأفته ، وفي دعائه وابتهاله وفي تألمه للإنسانية ومصيرها ، وفي منطقه وحكمته ، وفي جامعيته وكماله ، يكاد يكون مستحيلا ، وأن ما جاء في كتب السير والشمائل ـ على جماله وروعته ـ هو بعض ما خصه الله به من جمال السيرة وكمال الخلق والخلق لا كله ، وأن جل ما هنالك أنها محاولات وجهود يشكر عليها هؤلاء المؤلفون ويؤجرون عليها وهي ثروة عامة خالدة ، يجد فيها كل إنسان وكل جيل من البشر ، وكل طبقة من طبقات الناس حظها من الهداية والنور والتقليد والاقتداء ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] .

لكل ذلك كنت أتهيب الكتابة في السيرة النبوية والتأليف فيها وأستعظمها وأستصغر نفسي ، وقد حثني عدد من الفضلاء وكرام الأصدقاء [١] على أن أؤلف كتابا في السيرة النبوية في اللغة العربية أراعي فيه عقلية الجيل الجديد وذوقه ومستوى فهمه ونفسيته وما جد من طلبات وحاجات وأسلوب كتابي ومنهج علمي ، فلكل عصر أسلوبه ولغته ، ومقادير وترتيبات في الأدوية والأغذية ، وذلك كما قدمنا ، من غير إخضاع السيرة النبوية للأهواء والأغراض وللنظريات العلمية التي تتغير صباح مساء ، والشبه والاعتراضات التي يدفع إليها التعصب الديني أو الجهل العلمي أو الغرض السياسي.

و شرح الله صدري أخيرا لهذا التأليف، فعكفت على هذا الموضوع و عشت فيه، أقرأ كتب السيرة و الحديث، و كل ما أستعين به في هذا الموضوع من القديم و الحديث، و بدأت أكتب معتمداً على أصح ما كتب و ألف في هذا الموضوع، و استعنت

---

(١) في مقدمتهم صديق المؤلف فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة .

www.abulhasanalinadwi.org

بما كتب في العصر القديم و العصر الحديث، و بالمراجع الأجنبية التي توضح الكثير من السيرة و التاريخ المعاصر و تلقي ضوءا على الحكومات و المجتمعات المعاصرة،[١] و حاولت أن يجمع الكتاب بين الجانب العلمي و بين الجانب التربوي البلاغي، لا يطغى أحدهما على الآخر، و أن يشتمل على أكبر مقدار من القطع النابضة الدافقة بالحيوية و التأثير، الآسرة للقلوب و النفوس التي لايوجد نظيرها في سيرة إنسان و لا في تاريخ فرد أو جيل، أو دعوة أو دين، و ذلك كله من غير تنميق أو تلوين، أو تحبير أو تحسين، فجمال الطبيعة و الحقيقة لا يحتاج إلى تجميلات خارجية، أو تزيينات صناعية.

و كان هذا الكتاب شغلي الشاغل ما بين شوال ١٣٩٥هـ و شوال ١٣٩٦هـ (أكتوبر ١٩٧٥م ـ أكتوبر ١٩٧٦م) لم أشتغل بغير هذا الموضوع إلا اضطرارا، تتخلل ذلك فترات قليلة من المرض و رحلات طويلة في الشرق والغرب، حتى يسَّر الله إتمامه في غرة شوال سنة ١٣٩٦هـ، و ها هو الآن بين يدي القراء.

و أرى لزاما علي أن أشكر صديقين فاضلين لقيت منهما مساعدة كبيرة في تأليف هذا الكتاب و هما فضيلة الشيخ برهان الدين السنبهلي أستاذ الحديث و التفسير في دارالعلوم ندوة العلماء ،و قد أعانني في تخريج الأحاديث و البحث عنها، و التحقيق في بعض ما جاء في كتب السيرة، جزاه الله خير الجزاء، و الأستاذ محيي الدين أحمد[٢] فقد ساعدني مساعدة غالية في دراسة المراجع الأجنبية، و التقاط المعلومات المفيدة من كتب تاريخ الأمم و البلاد و الموسوعات الأجنبية. و المؤلف شاكر لفضله معترف لجهوده و إخلاصه. و لما كان هذا الكتاب إملاء لعجز المؤلف عن الكتابة مباشرة استعان ببعض الإخوان في كتابته، و كان في مقدمتهم العزيزان محمد معاذ الأندوري الندوي و علي أحمد الكجراتي الندوي، و ساهم في ذلك الأستاذ نور عالم الأميني الندوي.

و قد كان للأستاذ محمد حسن الأنصاري فضل في وضع الخرائط التاريخية الجغرافية التي زين بها الكتاب، و زاد في قيمته العلمية، كما كان للأستاذ الكبير الدكتور محمد شفيع رئيس قسم الجغرافيا في جامعة " علي كره" الإسلامية و مساعد نائب رئيس الجامعة، و للقسم الجغرافي في الجامعة فضل في تحسينه و إكماله، و المؤلف شاكر للإخوان جميعاً.

---

(١) و في آخر الكتاب قائمة للمراجع العربية و الأجنبية .

(٢) و هو الذي وفق أخيرا لنقل هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية و قد صدرت له طبعتان .

www.abulhasanalinadwi.org

و الله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب و أن يتقبله تقبلا حسناً، و أن يجعله ذخرا للآخرة و وسيلة لدراسة هذه السيرة الطاهرة و الاستزادة منها و الانتفاع بها، و كفى للمؤلف شكرا و للكتاب قيمة إذا أثار كامن الحب و الإيمان في نفس مؤمن، و انجذابا في قلب أحد من غير المسلمين إلى هذه السيرة الطاهرة العطرة و حملته على دراسة الإسلام و تفهمه. إنه ولي التوفيق.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

الجمعة ٥/ ١١/ ١٣٩٦هـ

٢٩/ ١٠/ ١٩٧٦م

رائي بريلي ـ الهند

www.abulhasanalinadwi.org

الطريق إلى المدينة

تاليف

سماحة الأستاذ الشيخ

أبي الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على رسول الله .

أما بعد : فرحم الله الشاعر [١] الذي يقول : " لقد عزمت على أن أجهز جيشا جديدا من بلاد الحب والعاطفة ، فقد بدت في مركز الإسلام طلائع ثورة يقودها العقل الفلسفي " .

لقد رأى المؤلف طلائع هذه الثورة بعينه في بلاد كانت مصدر الإيمان والحنان ، والعاطفة والوجدان ، وفي ربوعها تمثلت أروع رواية من روايات الوفاء والفداء وقوة العاطفة ، ولم تزل شعوب العالم الإسلامي تستمد منها هذا الحب الطاهر وهذه العاطفة الجياشة ، وتشعل بها مجامر قلوبها التي تتعرض حينا بعد حين للانطفاء وتواجه العواصف الهوجاء .

وهال المؤلف وأفزعه ضعف العاطفة في هذه البلاد ، وضعف الصلة الروحية والعاطفة بالنبي ﷺ ، وهو خطر كبير ، يمهد لكل ثورة ، ولكل اضطراب ، ولكل ضعف ، ولكل نوع من أنواع الفوضى . وقد تمالأت عوامل كثيرة ودعوات عديدة على تجفيف منابع هذا الحب وإضعافه على الأقل ، وأصيبت النفوس بجفاف في الشعور وفي التفكير ، سرى ذلك في الأدب والشعر ، وتعدى إلى الدين ومظاهره .

---

(١) الدكتور محمد إقبال الشاعر الفيلسوف .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد أراد المؤلف أن يكون جنديا صغيرا في مهاجمة هذا التيار ، وفي إثارة هذا الحب الدفين والعاطفة ـ التي أعتقد أنها كامنة كشرارة في الرماد في قلب كل مسلم ـ وتغذيتها وتنميتها فجمع لهذا الغرض ما كتب من مقالات وما ألقى من محاضرات وأحاديث في خلال هذه السنوات وهي انطباعات عن هذه الشخصية الحبيبة وسيرتها وحياتها ، وعرض سريع لما قد تغنى به الشعراء والمحبون في ديار العجم ، وقد أسميت هذه المجموعة الصغيرة بـ " الطريق إلى المدينة " فإنها تمهد الطريق إلى هذه المدينة ، وتبعث الأشواق إليها وإلى منورها عليه ألف ألف سلام ، وأعتذر إلى صديقي الأستاذ محمد أسد الذي أخذت منه فكرة هذه التسمية ، والذي سمى كتابه الجليل بـ " الطريق إلى مكة " .

وقد طلبت من صديقي أديب العربية الأستاذ علي الطنطاوي أن يكتب كلمة كمقدمة للكتاب فتفضل بها مشكورا ، وهي كلمة بليغة رقيقة كما هو العهد بصاحبها .

وأسأل الله مخلصا أن ينفع بهذا الكتاب الصغير ، ويحقق به الغرض الكبير الذي كتب لأجله .

جدة ١٣/ ١/ ١٣٨٥هـ

أبو الحسن علي الحسني الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

النبوة والأنبياء
في ضوء القرآن

تاليف

أبو الحسن علي الحسني الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : فقد تلقيت في شعبان عام ١٣٨٢ هـ برقية من نائب رئيس الجامعة(١) الإسلامية في المدينة المنورة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، يدعونني كأستاذ زائر لهذه الجامعة، ويقترح علي إلقاء محاضرات على طلبتها الذين قصدوا هذه الجامعة من أنحاء العالم الإسلامي ، وقد قبلت شاكرا هذه الدعوة الكريمة، ورأيت أنها فرصة سانحة يجب أن تنتهز للتحدث إلى هذه المجموعة الطيبة من الشباب الإسلامي ؛ التي يتعسر وجودها في مكان واحد ، ولغرس معان كريمة في قلوب الناشئة الصافية في بلد طيب يخرج نباته بإذن ربه .

وكان الموضوع الذي آثرته لهذه المحاضرات (النبوة والأنبياء في ضوء القرآن) ، ولم يكن موضوعا مرتجلا ولا من سوانح الآراء ، إنما هو موضوع كان يجول في خاطري من زمن طويل ، وأرى معالجته والحديث عنه من أهم البحوث والدراسات التي تشتد حاجة الطبقة المثقفة إليها ، وأعتقد أن أقوى سبب هو انحراف هذه الطبقة الموجهة للشعوب الإسلامية عن الجادة ، وتخليها عن روح الإسلام الصحيحة ، وخضوعها الزائد للمفاهيم والقيم المادية المنافية لروح الديانات السماوية ، وتمسكها بالأساليب

(١) هو رئيس الجامعة حاليا ، والمرجع الديني والعلمي الكبير في المملكة العربية السعودية .

www.abulhasanalinadwi.org

الصناعية والمناهج الفكرية الغربية حتى في تفسير الإسلام وفي مجال الدعوة والإصلاح العام، هو بعدها عن منهج النبوة، وجهلها لقيمتها وفضلها على الحياة والمدنية والعقل الإنساني ، وشدة حاجة الإنسانية في جميع أدوارها إلى قيادتها . وكذلك غفلتها عن سير الأنبياء والرسل وطبائعهم وأخلاقهم .

جاءت هذه الدعوة الكريمة من جهة كريمة ، فأثارت هذا الشعور الكامن ، وهيأت الفرصة المناسبة والدوافع النفسية القوية للتفرغ لهذا الموضوع ؛ الذي لولا هذه الدعوة ولولا هذا الدافع القريب لتأجل إلى وقت آخر ، كما تتأجل مواضيع أخرى تتغلب عليها وتشغل عنها حاجات مؤقتة أو أعمال رتيبة ؛ تملأ فراغ الوقت وتشغل الخاطر ، ورأيت أن خير مكان للحديث عن هذا الموضوع الجليل هو المدينة المنورة ؛ التي حصل فيها آخر اتصال السماء بالأرض ؛ لهداية البشرية عن طريق الوحي والنبوة .

وكتبت أكثر هذه المحاضرات في رمضان (١٣٨٢ هـ) في قريتي الصغيرة [١] المنعزلة البعيدة عن كل مكتبة ، واعتمدت فيها على القرآن الكريم ، وأسستها على دراسته والتدبر فيه ، وكنت أطلب أحيانا بعض المصادر التي أنقل منها بعض العبارات ـ شرحا لفكرة أو تأييداً لقول ـ من مكتبة ندوة العلماء العظيمة في لكهنؤ ، وجاءت ست محاضرات ، لكل محاضرة عنوان خاص ، وزدت إليها شيئا يسيرا .

وصلت إلى المدينة المنورة في آخر شوال (عام١٣٨٢هـ) ، وبدأت المحاضرات في ذي القعدة ، وكانت تلقى مرتين في الأسبوع في قاعة المحاضرات في الجامعة الإسلامية بعد صلاة العشاء ، يمهد لها الأستاذ عطية محمد سالم ؛ مدير الشؤون التعليمية في الجامعة [٢] ويعلق عليها فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ؛ نائب رئيس الجامعة ، ويحضرها ـ غير الطلبة ـ عدد من أعيان المدينة ورجال الثقافة وأساتذة الجامعة .

وها نحن أولاء ننشر هذه المحاضرات مجموعة في كتاب ، لا نزعم أنها بحوث مبتكرة أو فتح جديد في العلم والتحقيق ، ولكنها إنارة فكر ، وإثارة شعور ، وخطوط عريضة لبحث أكثر تركيزا ، وكتاب أوسع مادة .

وقد تعمدت الأسلوب الأدبي والاجتماعي الخفيف ، وتجنبت أسلوب علم الكلام

(١) زاوية جدنا الكبير الشيخ علم الله الحسني النقشبندي في راي بريلي.

(٢) نائب رئيس القضاة بالمدينة المنورة الآن .

www.abulhasanalinadwi.org

والعقائد العميق الثقيل ، ولكن رغم ذلك قد احتوت على حقائق وإشارات تطلب التفكير العميق ، وتستدعي البحث الدقيق في المجتمع الإسلامي المعاصر؛ الذي هو في طور انتقال وتصميم ، ويواجه صراعا عنيفا بين القيم والمفاهيم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

المجمع الإسلامي العلمي
ندوة العلماء ، لكهنو (الهند)
أبو الحسن علي الحسني الندوي
لخمس خلون من محرم الحرام
١٣٨٣هـ

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس مؤلفات الإمام الندوي باللغة العربية

إعداد الأستاذ محمد طارق زبير الندوي

أ

١- الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية (ص ٣٤)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - ندوة العلماء ص ب : ١١٩- لكناو الهند

٢- أحاديث صريحة في أمريكا ص (٨٥)

الناشر : مؤسسة الرسالة ص ب : ٤٧٦٠ - بيروت

٣- أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين (ص ١١١)

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر والتوزيع دارة الشيخ علم الله - راي بريلي الهند

٤- إذا هبت ريح الإيمان (ص ٢٤٠)

الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ودار القلم - الكويت

٥- ارتباط مسير الإنسانية ومصيرها بقيام المسلمين بواجبهم ودورهم في تكوين وحدة وتوجيه دعوة (ص: ١٢)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - ندوة العلماء - لكناو الهند

٦- الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة (٣٠٣)

الناشر: دار القلم ص ب : ٢٠١٤٦ الكويت

٧- أريد أن أتحدث إلى الإخوان (ص ٥٢)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - ندوة العلماء - لكناو الهند

٨- إزالة أسباب الخذلان أهم من إزالة آثار العدوان (ص ٢٨)

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر - راي بريلي الهند

٩- أزمة إيمان وأخلاق (ص ١٥)

www.abulhasanalinadwi.org

محاضرة ألقيت في مركز جمعية فلسطين ببغداد وقد ضمت إلى الكتاب : إلى الإسلام من جديد

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - ندوة العلماء - لكناو الهند

١٠- أسبوعان في المغرب الأقصى (ص١٥٥)

الناشر : مطبعة الرسالة - ١١ - شارع علال بن عبد الله - الرباط المغرب

ومؤسسة الرسالة - بيروت

١١- الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية (ص ٢١٤)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - ندوة العلماء - لكناو الهند

ودار الصحوة بالقاهرة ودار المنارة بجدة

١٢- الإسلام فوق القوميات والعصبيات (ص ١٩)

مقال قدم في الجلسة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الناشر : مكتبة الري بجدة

١٣- الإسلام في عالم متغير (ص: ١٦)

الناشر : مؤسسة الكتاب ص ب ٨٨٤٢- بيروت

١٤- الإسلام في عالم متغير بحوث إسلامية قيمة (ص : ٩٣)

الناشر : دار مكتبة الحياة بيروت

الإسلام والحضارة الإنسانية وواقع العالم الإسلامي

أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين

١٥- الإسلام والحكم (ص ٢٩)

الناشر : دار المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ص: ب: ١٧٠٧ القاهرة

١٦- الإسلام والغرب (ص: ٣٢)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - ندوة العلماء - لكناو الهند

١٧- الإسلام والمستشرقون (ص: ١٤٠)

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - ندوة العلماء - لكناو الهند

وطبعته مؤسسة الرسالة بيروت بعنوان : الإسلاميات

١٨- اسمعوا مني صريحة أيها العرب (ص: ٢٧)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - ندوة العلماء - لكناو الهند

١٩- اسمعي يا إيران (ص: ٤٠)

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر راي بريلي الهند

٢٠- اسمعي يا زهرة الصحراء (ص: ١١)

الناشر : مكتبة المنار الكويت

٢١- اسمعي يا سورية (ص: ١٩)

الناشر : مطبعة الجامعة الإسلامية بحلب

٢٢- اسمعي يا مصر (ص: ١٦)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - ندوة العلماء - لكناو الهند

٢٣- أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند ودورها ونجاحها في إصلاح العقيدة ومحاربة الجاهلية والخرافية والدعوة إلى الدين الحنيف الخالص والانتفاضة الإسلامية (ص: ٥٨)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - ندوة العلماء - لكناو الهند

٢٤- أكبر خطر على العالم العربي المؤامرات والمخططات الدقيقة العميقة لقطع العرب عن الإسلام (استعراض تاريخي تنبيه وإنذار) (ص: ٣٩)

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر راي بريلي الهند ودار السلام القاهرة

٢٥- إلى الإسلام من جديد (ص: ٢٢٤)

الناشر دار القلم- والمجمع الإسلامي العلمي الهند

٢٦- إلى الراية المحمدية أيها العرب (ص ١٢)

الناشر: أبو الحسن علي الندوي- لكناو- الهند

٢٧- إلى شاطئ النجاة (ص٣٢)

www.abulhasanalinadwi.org

طبع بمطبعة بيداري مالكاو - ناسك- الهند

٢٨- إلى قمة القيادة العالمية (ص: ١٣)

مقتبس من كتاب : ماذا خسر العالم الإسلامي بانحطاط المسلمين

٢٩- إلى ممثلي البلاد الإسلامية (ص: ٢٠)

الناشر: مكتبة الإسلام -كوئن رود - لكناؤ

٣٠- الإمام حسن البصري (ص: ٣٢)

مستخرج من كتاب : رجال الفكر والدعوة في الإسلام

الناشر : دار المختار الإسلامي القاهرة

٣١- الإمام عبد القادر الجيلاني

مستخرج من كتاب : رجال الفكر والدعوة في الإسلام

٣٢- الإمام الذي لم يوف حقه من الإنصاف والاعتراف به أحمد بن عرفان الشهيد (ص: ٧٥)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي- الهند

٣٣- الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وكتابه صحيح البخاري (ص: ٢٨)

الناشر: دار عرفات للترجمة والنشر راي بريلي الهند

٣٤- الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل (ص: ٢٨)

الناشر : دار الصحوة شارع السراي المنيل - القاهرة المجمع الإسلامي العلمي- الهند

٣٥- أمريكا وأوربا وإسرائيل

كشف حقيقة صارخة وتنبيه على خطر داهم (٤٨)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

٣٦- إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب (ص: ١٦)

الناشر : حسين بن محمد بومباي - الهند

٣٧- أهمية الحضارة في تاريخ الديانات وحياة أصحابها (ص: ٣٠)

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر ومكتبة الدار بالمدينة المنورة

٣٨- أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية وأثره البعيد في اتجاهاتها وقياداتها (ص: ٢١)

الناشر: مكتب الأمانة العامة لندوة العلماء لكناؤ - الهند

ب

٣٩- بين الإنسانية وأصدقائها (ص: ٢٤)

طبع بمطبعة بيداري ماليكاو ناسك - الهند

٤٠- بين الجباية والهداية (ص: ٢٠)

الناشر : مكتبة الإسلام- لكناؤ- الهند

٤١- بين الدين والمدنية (ص: ١٢٥)

الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت

٤٢- بين الصورة و الحقيقة (ص: ٢٠)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - الهند

٤٣- بين العالم وجزيرة العرب

حديثان أذيعا من الإذاعة السعودية بجدة عام ١٩٥٠م ونشرا في رسالة مستقلة بمصر عام ١٩٥١م

٤٤- بين نظرتين (ص٢٤)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

ت

٤٥- تأملات في القرآن الكريم (ص: ١١٢)

الناشر : دار القلم - دمشق

تأملات في سورة الكهف الصراع بين الإسلام والمادية

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : دار القلم - دمشق

٤٦- التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية (ص: ١٨٦)

الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت - ودار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ودار المختار الإسلامي بالقاهرة

٤٧- ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (ص: ٣٩)

الناشر : مطبعة المنار بمصر عام ١٣٥٠هـ

٤٨- ترشيد الصحوة الإسلامية (ص: ٤٢)

الناشر: دار عرفات للترجمة والنشر - وطبعته دار السلام بالقاهرة بالعنوان نفسه مع ثلاث محاضرات أخرى هي :

أ-منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء

ب- الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر

ج- النبي الكامل والدين الكامل

٤٩- تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية (ص: ١٢)

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر

٥٠- تعالوا نحاسب نفوسنا وقادتنا (ص:٢٨)

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر

٥١- التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي وسيد قطب ص:١٧٣

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي - الهند ودار عرفات للترجمة والنشر- راي بريلي ودار القلم - الكويت ومؤسسة الرسالة - بيروت ودار آفاق الغد - القاهرة

ث

٥٢- ثورة في التفكير (ص: ١٨)

وقد ضم إلى كتاب : إلى الإسلام من جديد

www.abulhasanalinadwi.org

ج

٥٣- جوانب السيرة المضيئة في المدائح النبوية الفارسية والأردية (ص: ٣٢)

الناشر: دار الصحوة القاهرة

ح

٥٤- حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي (ص: ٨٥)

يتضمن أربع محاضرات:

أ- النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة

ب- مطالبة القرآن الانقياد التام والاستسلام الكامل

ج- المجتمع الإسلامي المعاصر

د- حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل

الناشر: دار الصحوة القاهرة

٥٥- حاجة العالم إلى الدعوة الإسلامية (ص: ٣٦)

نشر أيضا ضمن مجموعة بعنوان " الإسلام والحياة " من مكتبة الحياة بالكويت

٥٦- حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل (ص: ٢٧)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي - الهند

٥٧- الحاجة إلى التركيز على جانب حاسم (ص: ٣٢)

الناشر: المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي - ندوة العلماء - الهند

٥٨- حديث مع الغرب (ص: ١٢٤)

الناشر: دار الإرشاد للنشر والتوزيع - بيروت ودار المختار الإسلامي - القاهرة

٥٩- الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل المثقف كما يراه شاعر الهند الكبير لسان العصر السيد أكبر حسين الإله آبادي

الناشر: رابطة الأدب الإسلامي العالمية مكتب شبه القارة الهندية - الهند ودار الصحوة

www.abulhasanalinadwi.org

القاهرة

٦٠- حكمة الدعوة وصفة الدعاة (ص: ٣٥)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

ونشرته دار البشائر الإسلامية بيروت مع كلمة :

لابد من أولى بقية ينهون عن الفساد في الأرض ألقاها سماحته بالشارقة

خ

٦١- خليج بين الإسلام والمسلمين (ص: ٢٤)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

٦٢- خواطر وفصول

الناشر : مكتبة الإسلام لكناو- الهند

د

٦٣- الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته (ص: ١١٤)

الناشر : المركز العربي للكتاب

٦٤- دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية والمأثورة المروية (ص: ٤٠)

الناشر: دار المختار الإسلامي - القاهرة والمجمع الإسلامي العلمي - الهند

٦٥- درس من الحوادث (ص: ٢٤)

وقد ضم إلى كتاب : أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

٦٦- دعوة وتاريخ (ص: ١٤)

الناشر: الحاج محمد عمران خان الندوي

عميد دار العلوم ندوة العلماء لكناو- الهند

www.abulhasanalinadwi.org

٦٧- الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر: جبهاتها الحاسمة ومجالاتها الرئيسية (ص: ٢٤)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

٦٨- الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها (ص: ٤٤)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي- الهند

٦٩- الدعوة إلى الله حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف (ص: ٣٦)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي - الهند

٧٠- الدعوة والدعاة مسئولية وتاريخ (ص: ٧٩)

يضمن ثلاث محاضرات

أ- الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر

ب- كيف انتشر الإسلام في الهند المنشورة مفردة بعنوان: الدعوة الإسلامية في الهند

ت- دور الجامعات الإسلامية المطلوب في إعداد الدعاة

الناشر: رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

٧١- دور الإسلام الإصلاحي في مجال العلوم الإنسانية (ص: ٧٤)

الناشر: دار الصحوة القاهرة

٧٢- دور الإسلام في تقدم البلاد التي دخلها(ص: ٢٢)

مقدمة المؤلف على كتاب: الثقافة الإسلامية في الهند: لوالده العلامة المؤرخ عبد الحي الحسني رحمه الله المنشور من مجمع اللغة العربية بدمشق

٧٣- دور الإسلام في نهضة الشعوب (ص: ٦٢)

محاضرة ألقيت في ثانوية طيبة بالمدينة المنورة

٧٤- دور الأمة الإسلامية في إنقاذ البشرية وإسعادها (ص: ٣٥)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

٧٥- دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء وتكوين الدعاة وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة (ص: ٤١)

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

٧٦- دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته (ص: ٤٦)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

٧٧- دور المسلمين القيادي والاجتهادي في الهند (ص: ٢٨)

الناشر: الأمانة العامة لندوة العلماء لكناو الهند

ر

٧٨- ربانية لا رهبانية (ص: ٩٠)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند ودار الشروق بيروت

ومؤسسة الرسالة بيروت ودار الفتح للطباعة والنشر بيروت

٧٩_ رجال الفكر والدعوة في الإسلام ١-٤ (ص: ١٣٠٧)

الطبعة الأولى من: مطبعة جامعة دمشق

الناشر: دار القلم الكويت

٨٠- ردة ولا أبا بكر لها (ص: ٣٢)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

ودار المختار الإسلامي القاهرة ودار المطبوعات الحديثة جدة

٨١- رسائل الأعلام (ص: ١٩١)

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

٨٢- رسالة التوحيد (١٥٦)

الناشر: مؤسسة الصحافة والنشر في ندوة العلماء الهند

٨٣- رسالة سيرة النبي الأمين إلى الإنسان القرن العشرين (ص: ٣٤)

الناشر: دار الحراء للكتاب المحلة الكبرى ص ب ٢٠٦

٨٤- روائع إقبال (ص: ٢٤٨)

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : دار القلم الكويت والمجمع الإسلامي العلمي الهند
ومجلس نشريات إسلام في كراتشي باكستان

٨٥- روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة (١٣٦)

الناشر : كلية اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء لكناو الهند ودارالقلم الكويت

س

٨٦- سياسة التربية والتعليم السليمة ص: ٣٤

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

٨٧- سيرة خاتم النبيين للأطفال (٣٥٥)

وهو الجزء الخامس من سلسلة : قصص النبيين للأطفال

الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت

ومؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء الهند ومجلس نشريات إسلام كراتشي

٨٨ - السيرة النبوية (٥٥٤)

الناشر: دار الشروق جدة

وظهرت الطبعة الأخيرة للكتاب تحت إشراف المؤلف من مطبعة ندوة العلماء الهند

ش

٨٩- شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال (٨٨)

يتضمن محاضرين حول إقبال وقد ضمنا إلى كتاب : روائع إقبال

الناشر : مطبعة دار الكتاب العربي عام ١٩٥١م

٩٠- شخصيات وكتب(٢٤٧)

الناشر : دار القلم دمشق

وكلية اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء الهند ودار الصحوة القاهرة

www.abulhasanalinadwi.org

ص

٩١- الصراع بين الإيمان والمادية (١٢٣)

الناشر : دار القلم الكويت ودار القلم دمشق

وطبعته دار المختار الإسلامي بعنوان : تأملات في سورة الكهف

٩٢- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية ص: ٢٢٧

الناشر : دار القلم الكويت

٩٣- صلاح الدين الأيوبي(٧٧)

الناشر : دار عرفات للترجمة والنشر رأي بريلي الهند

٩٤- صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول صلى الله عليه وسلم الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية ص: ١٢٥

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

ودار الصحوة القاهرة ومطبعة الكلمة بالجيزة ودار البشير بجدة

وإدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر

ط

٩٥- الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة ص: ٢٢٤

الناشر : مؤسسة الرسالة

٩٦- الطريق إلى المدينة المنورة (١٣١)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

والمكتبة العلمية بالمدينة المنورة ودار القلم دمشق والمختار الإسلامي القاهرة

ع

٩٦- عاصفة يواجهها العالم الإسلامي والعربي(٦٤)

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

العاقبة للمتقين الفتح للعرب المسلمين

٩٧- العرب والإسلام(١٥٢)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

والمكتب الإسلامي بيروت ودا المنارة بمكة المكرمة

٩٨- العرب يكتشفون أنفسهم(٩٣)

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

٩٩- العقيدة والعبادة والسلوك ص: ٢٣٢

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

وطبعه دار البشير بالقاهرة بعنوان : منهاج الصالحين

١٠٠- على الخشبة للاطفال ٣٤

الناشر: إدارة تعليمات الإسلام لكناو الهند

١٠١- العوامل الأساسية في كارثة فلسطين

ضم إلى كتاب : المسلمون وقضية فلسطين

غ

١٠٢- غارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام ٤٦

الناشر : دار المختار الإسلامي القاهرة

ف

١٠٣- فاستخف قومه فأطاعوه :٨

الناشر: مطبعة ندوة العلماء الهند

١٠٤- الفتح للعرب المسلمين ٣٥

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

وطبعته دار المختار الإسلامي بالقاهرة بعنوان : العاقبة للمتقين

١٠٥- فضل البعثة المحمدية على الإنسان ٤٥

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٠٦- في ظلال البعثة المحمدية ١٦

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٠٧- في مسيرة الحياة ١-٣ (١٠٩٤)

الناشر : دار القلم بدمشق

ق

١٠٨- القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام ٢٩

الناشر: رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة (ضمن مجموعة من المقالات حول القاديانية

١٠٩- القاديانية مؤامرة خطيرة وثورة على النبوة المحمدية ٢٨

الناشر: مكتب المؤتمرات الإسلامية بدار العلوم لندوة العلماء الهند

١١٠- القادياني والقاديانية ١٨١

الناشر: الدار السعودية للنشر

١١١- قارنوا بين الربح والخسارة ٣٢

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

١١٢- القراءة الراشدة للأطفال ١-٣(٣٨٢)

الناشر: مؤسسة الصحافة والنشر بدار العلوم لندوة العلماء الهند

ومجلس نشريات إسلام كراتشي باكستان

١١٣- القرن الخامس عشر الهجري الجديد في ضوء التاريخ والواقع ٨٤

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند ومطابع الرشيد المدينة المنورة

www.abulhasanalinadwi.org

١١٤- قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال ١٤٤

من منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

الطبعة الأولى : في ندوة العلماء بالهند

والطبعة الثانية : من مكتبة البلدان العربية للرابطة بالتعاون مع مؤسسة الرسالة بيروت
والطبعة الثالثة بالتعاون مع دار البشير عمان

١١٥- قصص النبيين للأطفال ١-٥(٨٦١)

الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت ومؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء

ومجلس نشريات إسلام كراتشي

١١٦- قصة كتاب يحكيها مؤلفه ٣٦

قصة تأليف كتابه الرائع : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين وقد ضم إلى كتاب في الطبعة الأخيرة الصادرة من دار القلم الكويت

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

١١٧- قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ٥٠

الناشر : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر

ك

١١٨- كارثة التعصب اللغوي والثقافي ٣٠

الناشر: مؤسسة الكتاب

١١٩- كارثة العالم العربي الحقيقية وأسبابها ٣٨

وقد ضم إلى كتاب : المسلمون وقضية فلسطين

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

كلمة تحية وترحيب : دور المسلمين القيادي والاجتهادي في الهند

١٢٠- كلمة عن أدب التراجم والحديث عن الكتب ١٢

ضمت إلى كتاب : نظرات في الأدب

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر: كلية اللغة العربية دار العلوم لندوة العلماء

١٢١- كيف توجه المعارف في الأقطار الإسلامية ٢٠

الناشر: دار العلوم لندوة العلماء الهند

ورئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض

١٢٢- كيف دخل العرب التاريخ

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٢٣- كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة بهم وكيف يحافظون عليها

الناشر: دار عرفات للترجمة والنشر رأي بريلي الهند

١٢٤- كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز والجزيرة العربية

الناشر: دار الإعتصام القاهرة و الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

م

١٢٥- المأساة الأخيرة في العالم العربي ودراستها من الناحية الدينية والخلقية والمبدئية والدعوية وتحليل أسبابه وانعكاساتها

كلمة سماحته إثر عدوان العراق على الكويت عام ١٩٩٠

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٢٦- المأساة الفلسطينية في بيروت

بيان سماحته حول المجزرة ضد الفلسطينين عام ١٩٨٢

الناشر: ندوة العلماء الهند

١٢٧- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

الطبعة الأولى من لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٥١

والطبعة الثانية من جماعة الزهر للنشر والتأليف مطبعة دار الكتاب العربي عام ١٩٥١ ثم ظهرت الكتاب طبعات متكررة من دور نشر مختلفة منها :

دار العروبة القاهرة ودار الكتاب العربي بيروت ودار عمر بن الخطاب إسكندرية ومكتبة

www.abulhasanalinadwi.org

المعارف القاهرة ومكتبة السنة القاهرة ومكتبة الإيمان المنصورة ودار الأنصار القاهرة ودار الجيل بيروت ومكتبة نزار مصطفى الباز الرياض والاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية الكويت وإحياء تراث الإسلامي بدولة قطر وطبعة أخرى في قطر على نفقة أمير دولة قطر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ومجلس نشريات إسلام كراتشي

وطبعات متعددة من دار القلم الكويت

١٢٨- المجتمع الإسلامي المعاصر فضله وقيمته حجته ومتطلباته وطريق الانتفاع به

نداء لولاة الأمور وقادة البلاد ورجال الإصلاح والتربية في الأقطار الإسلامية

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٢٩- محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسول الأعظم وصاحب المنة الكبرى على العالم ومسئولية العالم المتمدن المنصف الأدبية والخلقية نحوه

الناشر: دار عرفات للترجمة والنشر رأي بيريلي الهند ودار الصحوة القاهرة

١٣٠- مختارات من أدب العرب

الناشر: دار الشروق جدة ومؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء الهند

ومجلس نشريات إسلام كراتشي

١٣١- المدخل إلى دراسات الحديث

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٣٢- المدخل إلى الدراسات القرآنية

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند ودرا الصحوة القاهرة

١٣٣- المد والجزر في تاريخ الإسلام

ضم إلى كتاب : إلى الإسلام من جديد

ونشره الشيخ عبد الله بن صالح بن محمود أحد علماء نجد ضمن مجموعة سماها : " المجموعة المحمودية "

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٣٤- مذكرات سائح في الشرق العربي

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت

١٣٥- المرتضى سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي رضي الله عنه

الناشر: دار القلم دمشق و المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٣٦- مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند

وطبعته أيضا دار السلام القاهرة بالعنوان نفسه مع رسالة أخرى " أكبر خطر على العالم العربي المؤامرات والمخططات الدقيقة

١٣٧- المسلمون تجاه الحضارة الغربية

الناشر: دار المجتمع للنشر والتوزيع

١٣٨- المسلمون في الهند

الناشر : المجمع الإسلامي العلمي الهند ودار الفتح دمشق

١٣٩- المسلمون ودورهم

الناشر: مكتبة الأمل

١٤٠- المسلمون وقضية فلسطين

الناشر: الدار الكويتية للطباعة والنشر

١٤١- مصادر العلوم الإسلامية

نشر أيضا ضمن مجموعة بعنوان " الإسلام في عالم متغير " من دار مكتبة الحياة بيروت

الناشر: مؤسسة الرسالة

١٤٢- مطالبة القرآن الانقياد التام والاستسلام الكامل

الناشر: المجمع الإسلامي الهند

١٤٣- مع الإسلام

يتضمن مقالين

أ- معقل الإنسانية ب_ المد والجزر في تاريخ الإسلام

www.abulhasanalinadwi.org

وقد ضمه إلى كتاب : إلى الإسلام من جديد

١٤٤- معقل الإنسانية

١٤٥- المعهد العالي للدعوة والمفكر الإسلامي

دليل المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي في دار العلوم لندوة العلماء

الناشر: المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي بدار العلوم لندوة العلماء الهند

١٤٦- ملة إبراهيم وحضارة الإسلام يجب أن تدعو إليها على بصيرة وثقة

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٤٧- من الجاهلية إلى الإسلام

مستخرج من كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

الناشر : مكتبة الإسلام بلكناو الهند وجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة والمركز الإسلامي بجنيف

١٤٨- من دون أحد

الناشر: إدارة تعليمات الإسلام بلكناؤ الهند

١٤٩- من غار حراء

الناشر: مكتبة المنار

١٥٠- من مؤلفات الشيخ

تتضمن

أ - صلاح الدين الأيوبي ب- نفحات الإيمان بين صنعاء واليمن

ج- رسائل الأعلام د- دور الإسلام الجزري في مجال العلوم الإنسانية

١٥١- من نفحات القرن الأول

الناشر: مكتبة الإسلام لكناؤ الهند

١٥٢- من نهر كابل إلى نهر يرموك

الناشر: مؤسسة الرسالة

www.abulhasanalinadwi.org

منهاج السالكين العقيدة والعبادة السلوك

١٥٣- منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٥٤- مواساة أم مساواة

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٥٥- موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي

١٥٦- موقف المسلم إزاء أسلافه الجاهليين

ن

١٥٧- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن

الناشر: دار القلم دمشق

١٥٨- النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة

نشر أيضا ضمن مجموعة بعنوان حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٥٩- النبي الخاتم

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند ودار المختار الإسلامي بالقاهرة

١٦٠- النبي الخاتم والدين الكامل ومالهما من أهمية في تاريخ الأديان والملل

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٦١- نحن الآن في المغرب

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

نحو التربية الإسلامية الحرة التربية الإسلامية الحرة

١٦٢- نحو تكوين مجتمع إسلامي جديد

www.abulhasanalinadwi.org

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٦٣- ندوة العلماء تاريخها ورسالتها

الناشر: المكتب التنفيذي للمهرجان التعليمي لندوة العلماء لكناؤ الهند

١٦٤- ندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة

طبع معه مقال للأستاذ/ واضح رشيد الندوي بعنوان

"ندوة العلماء حركة ثقافية توجيهية " مجموع الصفحات للمقالين

الناشر: الأمانة العامة لندوة العلماء الهند

١٦٥- نظامان إلهيان للغلبة والانتصار

ضم إلى كتاب: المسلمون وقضية فلسطين

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٦٦- نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية وأثره البعيد في اتجاهاتها وقياداتها يتضمن محاضرين حول التربية

أ- أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية

ب- حياة الشباب المسلم ومسئولية نظام التعليم والتربية كلمة ألقيت في عمان الأردن في ١٨/ ٨/ ٧٣م وقد ضمنا إلى كتاب " التربية الإسلامية الحرة

الناشر: شعبة التعمير والترقي

١٦٧- نظرات في الأدب

من منشورات : رابطة الأدب الإسلامي العالمية

الناشر: رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالتعاون مع دار القلم دمشق

والطبعة الثانية بالتعاون مع دار البشير عمان الأردن

١٦٨- نظرات على الجامع الصحيح للإمام البخاري وميزات أبوابه وتراجمه

الناشر: مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء التراث الإسلامية

دارة الشيخ علم الله الحسني تكية كلان رأي بريلي

١٦٩- نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي

www.abulhasanalinadwi.org

ضم إلى كتاب : نظرات في الأدب

الناشر: الندوة العالمية للأدب الإسلامي دار العلوم لندوة العلماء الهند

١٧٠- نظرة مؤمن واع إلى المدنيات المعاصرة الزائفة

الناشر: دار عرفات للترجمة والنشر رأي بريلي الهند والمجمع الإسلامي العلمي الهند

١٧١- نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند ودار الصحوة القاهرة ومؤسسة الرسالة بيروت

هـ

١٧٢- هلال رمضان يتكلم

الناشر: مكتبة الإسلام لكناؤ الهند

و

١٧٣- وأذن في الناس بالحج

مستخرج من كتاب : الأركان الأربعة

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند

١٧٤- واقع العالم الإسلامي وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه

الناشر: دار عرفات للترجمة والنشر رأي بريلي الهند

١٧٥- وامعتصماه

الناشر: المجمع الإسلامي العلمي الهند ودار السلام القاهرة

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس المحتوى

تقديم الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ٥
بين يدي المقدمات ٨
لمحة عن حياة الشيخ الندوي ١٣
القسم الأول: في علوم القرآن والسنة ٢٣
كتاب التبصرة في القراءات السبع ٢٥
أوجز المسالك إلى موطأ مالك ٢٨
لامع الدراري على جامع البخاري ٤٠
الأبواب والتراجم لصحيح البخاري ٤٩
بذل المجهود في حل أبي داود ٥٨
تهذيب الأخلاق ٧٤
الإمام البخاري ٨٣
موطأ الإمام مالك التعليق الممجد ٨٥
روائع الأعلاق شرح تهذيب الأخلاق ٨٩
الروائع والبدائع في البيان النبوي ٩٣
القسم الثاني: في السيرة النبوية ٩٧
شرح حياة الصحابة رضي الله عنهم ٩٩
حجة الوداع و جزء عمرات النبيّ ﷺ ١٠٤
مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول ١١٢
نبوءات الرسول ١١٧
القسم الثالث: في التصوف والأخلاق ١١٩
بين التصوف والحياة ١٢١
الزهد الكبير ، للإمام المحدث أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ١٢٨
القسم الرابع: في الأدب العربي ١٣٥
منثورات من أدب العرب ١٣٧
الأدب العربي بين عرض ونقد ١٤٠
الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام ١٤٣
تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ١٤٨
شعراء الرسول ﷺ في ضوء الواقع والقريض ١٥٣

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الخامس:في التاريخ وتراجم الرجال ١٥٧
الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ج١ .... ١٥٩
الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ج٨ .... ١٦٨
الأمير سيد صديق حسن خان ١٧٢
موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية ١٨٠
الهند في العهد الإسلامي ١٨٤
المنهج الصوفي في فكر و دعوة سماحة الشيخ أحمد كفتارو ١٩٩
القسم السادس: في التربية الإسلامية ٢٠١
التربية والمجتمع ٢٠٣
منهج التربية النبوية للطفل ٢٠٧
القسم السابع:موضوعات من ابواب وعلوم متفرقة ٢٠٩
إظهار الحق ٢١١
باقة الأزهار ٢٢١
الفقه الميسر ٢٢٥
الثقافة الإسلامية في الهند ، ((معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف)) ٢٢٩
ماهي النصرانية ٢٣٣
الدين والعلوم العقلية ٢٣٩
ظفر الأماني في مختصر الجرجاني ٢٤٢
نفحات الهند واليمن بأسانيد أبي الحسن ٢٤٥
قيمة الأمة الإسلامية ، منجزاتها وواقعها المعاصر ٢٤٨
أسباب سعادة المسلمين وشقائهم ٢٥٠
الإسلام الممتحن ٢٥٤
المنهج الإسلامي السليم ٢٦١
القسم الثامن:مقدمات الشيخ لأحب كتب عنده ٢٦٧
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٢٧٠
الأركان الأربعة ٢٧٧
السيرة النبوية ٢٨٢
الطريق إلى المدينة ٢٩١
النبوة والأنبياء ٢٩٣
مؤلفات الإمام الندوي باللغة العربية ٢٩٧
المحتوى ٣١٩

www.abulhasanalinadwi.org